صوت البوم

Twitter: @alqareah
9.4.2015

تأليف : كارل هياسن

صـــوت البـــوم

تأليف : كـــارل هياســـن

Twitter: @alqareah

العنوان: صوت البوم

تأليف: كارل هياسن

ترجمة: منى الدروبى

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Original English title: HOOT
Copyright © 2002 by Carl Hiaasen. All rights reserved.
Published by Nahdet Misr for Printing, Publishing & Distribution,
upon agreement with Carl Hiaasen c/o International Creative Management, Inc.,
40 West 57th Street, New York, NY 10019, USA.

ترجمة كتاب HOOT تصدرها شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
بترخيص من Carl Hiaasen c/o International Creative Management, Inc.

يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من هذا الكتاب سواء النص أو الصور بأية وسيلة
من وسائل تسجيل البيانات، إلا بإذن كتابى صريح من الناشر.

الترقيم الدولى: 3-4054-14-977 رقم الإيداع: 2007/17581 الطبعة 2: يونيو 2008

الإدارة العامة:
21 شارع أحمد عرابى - الهندسين - الجيزة
تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462570 02

المركز الرئيسى:
80 المنطقة الصناعية الرابعة - 6 أكتوبر
تليفون: 38330287 - 38330289 02
فاكس: 38330296 02

مركز التوزيع:
18 شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
تليفون: 25908827 - 25908895 02
فاكس: 25903395 02

فرع الإسكندرية:
408 طريق الحرية - رشدى
تليفون: 5462090 03

فرع المنصورة:
13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع
من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
تليفون: 2221866 050

Website: www.nahdetmisr.com E-mail: publishing@nahdetmisr.com — customerservice@nahdetmisr.com

Twitter: @alqareah

جائزة نيوبرى

تقدم هذه الجائزة كل عام لأفضل كاتب للأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية.. والكاتب الذى يحصل عليها، يحجز لنفسه مكانًا فى قائمة أعظم الكتّاب.. فهى أكبر وأقدم جائزة فى الولايات المتحدة.

وقد بدأ تقديمها عام 1922، عندما اقترح فريدريك ميلشر على اتحاد المكتبات الأمريكية إنشاء هذه الجائزة، على أن تقدم باسم جون بيرى، وهو أقدم بائع لكتب الأطفال فى القرن الثامن عشر فى إنجلترا.

يهدف الاتحاد من تقديم الجائزة إلى التشجيع على الابتكار والأفكار الخلاقة فى حقل الكتابة للشباب، سواء أكان شعرًا أم رواية أم مسرحية.. كما حدد لها شروطًا كثيرة منها: أن يكون العمل منشورًا فى نفس العام، ولم يسبق نشره، كما أن الكاتب يجب أن يكون مواطنًا أمريكيًا.

ويفوز الكاتب بميدالية برونزية. صممها بول تشامبلان، محفور عليها اسم الكاتب، وتاريخ الفوز بها.

وفى عام 1973، اقترح فريدريك.ج. ميلشر تقديم جائزة كالديكوت لأفضل تصميم، أو رسم لكتاب الطفل، وسميت بهذا الاسم تكريمًا لرسام الأطفال الإنجليزى فى القرن التاسع عشر راندولف كالديكوت.

Twitter: @alqareah

بعض الكتب الحائزة على جائزة نيوبرى

1 ـ صيف البجع.
2 ـ معجزات فوق التل.
3 ـ ساوندر.
4 ـ السفر فى الزمن.
5 ـ الأسير.
6 ـ راسكال.
7 ـ لعبة «ويستنج».
8 ـ سى بيسكيت.
9 ـ إيلا المسحورة.
10 ـ سارة فارعة الطول متوسطة الجمال.
11 ـ سلام منفصل.
12 ـ الواهب.
13 ـ كسرة من آنية فخارية.
14 ـ صور هوليس وودز.
15 ـ صوت البوم.

قصص أخرى للشباب :

1 ـ الأعظم.. محمد على.
2 ـ الأخوان رايت.
3 ـ العصّار.
4 ـ الخاسر.

Twitter: @alqareah

الفصل الأول

ما كان روى ليلحظ الولد الغريب لو لم يلفت انتباهه (دانا ماثرسون) فعادةً لا يتطلع روى من نافذة الحافلة المدرسية؛ لأنه يفضل قراءة الكتب الفكاهية المسلية وكتب الألغاز البوليسية، فى أثناء انتقاله صباحًا إلى (تراس مدل).

ولكن فى يوم الاثنين هذا (الذى لن ينساه روى أبدًا) قبض دانا ماثرسون على رأس روى من الخلف ضاغطًا بإبهاميه على وجنتيه، كما لو كان يعصر كرة قدم. كان من المفترض أن يجلس الأولاد الكبار فى مؤخرة الحافلة، ولكن دانا تسلل خلسة وراء روى متربصًا به. وحينما حاول روى التملص من قبضته ليحرر نفسه ضغط دانا وجهه على النافذة بقوة.

فى تلك اللحظة، وبينما هو يحدق من خلال الزجاج الملطخ، لمح روى الولد الغريب يركض على الرصيف. بدا كأنه يهرول ليلحق بحافلة المدرسة التى توقفت على الناصية ليركبها المزيد من الأولاد.

كان شعر الولد باهتًا كالقش وكأسلاك معدنية، ولون بشرته بنيًّا كالبندق المحمص من كثرة تعرضه للشمس، أما التعبير على وجهه فينم عن تصميم وجدية. كان يرتدي سترة باهتة من (الجرسيه) لفريق (ميامى هيت) لكرة السلة، وسروالاً قصيرًا كاكى اللون مجربًّا. وأما اللافت للنظر حقًّا، فهو أنه لا ينتعل حذاءً. كان باطن قدميه الحافيتين أسود كفحم الشواء.

Twitter: @alqareah

لم تكن مدرسة (تراس مدل) من المدارس المتشددة فى الالتزام بزىٍّ مدرسى، ولكن روى كان متيقنًا، أن انتعال أى شكل من الأحذية أمر مطلوب. لربما حمل الولد حذاء خفيفًا داخل حقيبة الظهر، هذا إن كان يحمل حقيبة بالفعل. بدون حذاء، وبلا حقيبة، وبلا كتب، إنه فى الواقع أمر غريب فى يوم دراسى.

كان روى متأكدًا أن الولد الحافى القدمين سيلقى كل أنواع المنغصات من دانا ومن غيره من الأولاد الكبار فور ركوبه الحافلة. ولكنٍّ هذا لم يحدث...

لأن الولد استمر فى الجرى عابرًا المنعطف، عابرًا صف التلاميذ الذين ينتظرون الحافلة، عابرًا حتى الحافلة نفسها، أراد روى أن يصيح: «هاى. انظروا إلى هذا الولد». ولكن فمه كان محكم الإغلاق، فدانا ماثرسون ظل متحكمًا به من الخلف دافعًا وجهه نحو النافذة.

وبينما كانت الحافلة تسير مبتعدة عن تقاطع الطريق تمنى روى أن يختلس نظرة ثانية إلى الولد الذى ظل بعيدًا عنه فى أول الشارع. ولكن ها هو ذا ينحرف عن الرصيف ليعبر ساحة خاصة وهو يجرى بأقصى سرعة. أسرع بكثير من روى. ولربما أسرع حتى من (ريتشارد) صديق روى المفضل الذى عرفه سابقًا فى (مونتانا). كان ريتشارد يتسم بالسرعة الفائقة، حتى إنه كان يتدرب مع فريق المدرسة الثانوية لألعاب القوى، بالرغم من أنه كان لا يزال فى الصف السابع.

كان دانا ماثرسون يغرز أظافره فى فروة رأس روى محاولاً أن يحمله على الصراخ، ولكنٍّ روى ما كانَ ليشعر بأى شىء بعد أن تملكه الفضول وهو يرى الولد الراكض يخترق ساحة خضراء بعد الأخرى، وحجمه يتضاءل مع ابتعاده عن الحافلة.

شاهد روى كلبًا ضخمًا بأذنين طويلتين مدببتين، على الأرجح من فصيلة الراعى الألمانى، يقفز عبر المدخل الأمامى لأحد المنازل باتجاه الولد. من المذهل أن الولد لم يحِد عن مساره بل قفز فوق الكلب ليتفاداه، ثم اخترق سياجًا من أشجار الكرز البرى واختفى عن الأنظار.

Twitter: @alqareah

تقطعت أنفاس روى وشهق من الدهشة.

– «ما الأمر يا راعية البقر؟ هل نلتَ ما يكفيك؟».

كان هذا دانا يهمس فى أذن روى اليمنى بصوت كالفحيح، وبما أنه كان الوافد الجديد على الحافلة لم يتوقع روى أى مساعدة من الآخرين. أما وصف راعية البقر الذى أطلقه دانا على روى فهو أمر تافه لا يستدعى إثارة غضبه، فحماقة دانا معروفة للجميع. ولكن الأهم هو وزنه الذى يفوق وزن روى بما لا يقل عن خمسين رطلاً. لذا فقد آثر روى عدم الرد؛ لأن مثل هذا الشجار غير المتوازن سيكون مضيعة للطاقة.

– هل نلت كفايتك؟ نحن لا نسمعك يا (تكس). انبعثت من أنفاس دانا رائحة السجائر الفاسدة. فالتدخين وضرب الصبية الأصغر منه سنًّا هما هوايتاه المفضلتان.

أجاب روى وقد نفد صبره: «حسنًا. نعم لقد نلت كفايتى».

وما إن تحرر من قبضة دانا حتى أنزل روى زجاج النافذة وأطل برأسه. ولكن الولد الغريب كان قد اختفى.

من هو؟ ما الذى كان يهرب منه؟

أخذ روى يتساءل إن كان بقية الأولاد قد شاهدوا ما شاهده للتوّ. وظل للحظة يتساءل إن كان هو نفسه قد شاهد ما حدث بالفعل.

فى هذا الصباح ذاته، أُرسل رجل شرطة يدعى ديفيد دلينكو إلى موقع افتتاح أحدث فرع لمحلات بيت (الأم باولا للفطائر الأمريكية) كان الموقع لا يزال أرضًا فضاء. على زاوية شارعى (إيست أوريول) و(وودبيرى) على حافة الجانب الشرقى من المدينة تقابل الشرطى دلينكو برجل يقود شاحنة نصف نقل كحلية اللون.

Twitter: @alqareah

كان الرجل ذا صلعة ملساء ككرة الشاطئ. عرَّف نفسه بلقب (كيرلى)(*). خمَّن الشرطى دلينكو أن الرجل خفيف الظل فيما يبدو لأنه لقَّب نفسه بكيرلى. ولكنه كان مخطئًا. فقد كان كيرلى شخصًا غريب الأطوار، مزاجيًّا، عابس الوجه. قال لرجل الأمن:

«يجب أن ترى ما فعلوا».

- من؟

قال الرجل الملقب بكيرلى : «اتبعنى».

تتبع الشرطى دلينكو خطوات الرجل ثم ما لبث أن قال: «يبدو أنك تريد أن تُبلغ عن تخريب متعمد».

همهم كيرلى من وراء ظهره: «هذا صحيح».

لم يستطع الشرطى أن يرى أى أثر للتخريب فى هذا الموقع الذى لم يكن سوى بضعة أفدنة جرداء من الأعشاب الضارة.

توقف كيرلى وأشار إلى عصا قصيرة من الخشب ملقاة على الأرض. كان هناك شريط بلاستيكى لامع مربوط على أحد طرفى العصا. وأما الطرف الآخر فكان مدببًا وقد التصقت به طبقة سميكة من الوحل.

قال كيرلى: «اقتلعوها كلها من أماكنها».

تساءل الشرطى دلينكو: هل هذه أوتاد لمسح الأرض، للمعاينة؟

«نعم. اقتلعوها من الأرض. اللعنة. لم يتركوا واحدًا بمكانه».

«على الأرجح، ليسوا سوى بعض الأولاد».

قال كيرلى وهو يشير بيده المكتنزة: «بعثروها فى كل مكان». وبعدها قاموا بإعادة ردم الحفر.

علَّق رجل البوليس: « هذا شىء غريب فعلاً.. متى حدث هذا؟».

(*) كيرلى: الشعر الكثيف الأجعد.

Twitter: @alqareah

قال كيرلى بلهجته السوقية: «البارحة بالليل أو اليوم صباحًا. ربما لا يبدو الأمر ذا أهمية، ولكن سنحتاج إلى بعض الوقت لنعيد مسح الأرض من جديد. لن نتمكن حاليًا من البدء فى التقييم أو عمل أى شىء. كنا أحضرنا آلات الجرف والحفر التى استأجرناها مسبقًا. والآن توقف كل شىء. أعلم أنها ليست جريمة العصر ولكن مع هذا..».

قال الشرطى دلينكو: «أنا متفهم للأمر. بتقديرك كم تبلغ الأضرار المادية؟».

- «الأضرار؟».

-«نعم. حتى أسجلها فى تقريرى» التقط رجل البوليس الوتد وتفحصه ثم أضاف: «فى الواقع لم يُكسر».

-« حسنًا. لا».

سأل الشرطى دلينكو: «هل دُمر أىٌّ منها، وما ثمن الواحد منها؟ دولار أم دولاران على الأكثر.

فقد الرجل الملقب بكيرلى أعصابه ورد بفظاظة: «لم يكسروا أى وتد».

تجهَّم وجه رجل البولس وتساءل: «ولا حتى واحدًا منها؟»

كان يحاول أن يتصور الصيغة التى سيكتب بها تقريره. لا يمكن الاتهام بالتخريب المتعمد للممتلكات الخاصة ما لم يكن هناك ضرر مادى. فإن لم يكن هناك عطل أو ضرر بالممتلكات.....

قال كيرلى وقد ثارت حفيظته: «هذا ما أحاول أن أوضحه لك. فالمشكلة ليست فى عبثهم بأوتاد مسح الأرض بل فى إعاقة برنامجنا المحدد فى عملية البناء. وهذا ما سيكلفنا مبلغًا كبيرًا من الدولارات».

نزع الضابط دلينكو قبعته وهرش رأسه وقال: «دعنى أفكر فى الأمر».

Twitter: @alqareah

وبينما هو يمضى عائدًا إلى سيارة الدورية تعثر ووقع على الأرض فانتزعه كيرلى بيد واحدة وأوقفه على قدميه مما سبب بعض الحرج لكلا الرجلين.

قال كيرلى: «بوم أبله».

تساءل الشرطى وهو يزيح القاذورات والعشب والأشواك الشائكة عن زيه الرسمى: «هل تقول بوم؟».

أومأ كيرلى إلى حفرة دائرية على الأرض بمقاس كعكات الأم باولا الشهيرة، وظهرت على قمة الحفرة كومة من الرمال البيضاء. أوضح كيرلى للشرطى دلينكو: «هذا الذى سبب تعثرك».

انحنى رجل الشرطة وأخذ يتفحص الحفرة ثم قال: «هل يعيش البوم داخل هذه الحفرة؟ كم يبلغ طول الواحدة منها؟».

-«بطول علبة المشروب المثلج».

قال الشرطى دلينكو: «أنا لا أمزح».

-«ولكن أنا لم أرَ أية واحدة منها. أُقر بهذا رسميًّا».

عاد رجل الدورية إلى سيارة الدورية وأخرج لوحه المشبكى وبدأ فى كتابة التقرير. وقد تبين أن اسم كيرلى الحقيقى هو (لروى برانيت) ووظيفته المهندس المشرف على البناء الإنشائى. تجهَّم وجهه وعبس حين رأى رجل البوليس يدوِّن فى تقريره أنه رئيس للعمال بدلاً من مهندس إشراف.

فسر الشرطى دلينكو لكيرلى المعضلة لو أنه ذكر فى ملف الشكوى أنها عملية تخريب متعمد فقال:

«سيقذفنى رئيسى بالملف ويرفضه لأنه - عمليًّا- ليس هناك فعل تخريبى بالمعنى الحقيقى. حضر بعض الصبية إلى هذا العقار وقاموا باقتلاع رزمة من العصى من الأرض».

Twitter: @alqareah

تمتم كيرلى: «كيف خمنت أنهم بعض الصبية؟».

- «حسنًا . من سيفعلها غيرهم؟».

- «ما قولك فى أنهم ردموا الحفر وألقوا بالأوتاد لنعيد مسح الموقع من جديد. لم تفسر هذا؟».

شعر رجل الشرطة أيضًا بالحيرة، فعادةً لا يتورط الأولاد بهذا القدر من المشاكل حين ينزعون إلى المزاح.

- «هل لديك من تشتبه بهم بشكل خاص؟».

اعترف كيرلى بأنه لا يشك فى أحد وأضاف: «حسنًا فلنفترض أنهم صبية، هل يعنى هذا أنه لا توجد جريمة؟».

أجاب الشرطى: «طبعًا هناك جريمة ولكنى أقول إنها - من ناحية التصنيف - ليست عملية تخريب. إنها عدوان على حقوق الملكية. ومزاحٌ مزعج».

قال كيرلى وهو يهز كتفيه مستهجنًا: «أنا متفق معك، مادمت سأحصل على نسخة من تقريرك لأقدمها لشركة التأمين، هذا على الأقل سيغطى خسارة الوقت والمصاريف».

قدم الشرطى دلينكو لكيرلى بطاقة مدوَّنًا عليها عنوان مكتب فرع إدارة قسم الشرطة واسم الموظف المسئول عن كتابة التقرير.

وضع كيرلى البطاقة فى جيب قميصه الذى كُتب عليه ما يدل على وظيفته كرئيس للعمال.

وضع رجل الشرطة نظارته الشمسية وانزلق إلى داخل سيارة الدورية التى كانت ساخنة كفرن من الآجر. أدار بسرعة مفتاح التشغيل ولوى مفتاح التكييف إلى الدرجة القصوى للتبريد.

وبينما كان يربط حزام مقعده قال للسيد برانيت:

Twitter: @alqareah

-«بقى أمر آخر أود أن أستفسر عنه. إنه مجرَّد فضول».

قال كيرلى وهو يمسح جبهته بشريط رأس أصفر: «قل ما لديك».

-«إنه بخصوص هذه البوم».

- «بالتأكيد. اسأل ما تريد».

سأل الشرطى دلينكو: «ما الذى سوف يصيبها. أعنى حين تبدءون بتشغيل عربات الحفر والجرف».

قهقه كيرلى - رئيس العمال - ضاحكًا. وفكر: لابد أن رجل البوليس يمزح وقال: «أى بوم؟».

لم يتمكن روى طوال اليوم أن يمنع نفسه من التفكير فى الولد الغريب الراكض، أخذ يتفحص وجوه الأولاد فى ممرات المدرسة لعلَّ الولد وصل متأخرًا. لعله عاد مسرعًا إلى بيته ليبدل ثيابه وينتعل حذاءه. ولكن روى لم ير شبيهًا للولد الذى قفز من فوق الكلب ذى الأذنين الطويلتين المدببتين، وواصل التفكير فى الولد وهو يتناول غداءه: ربما كانَ يتابع جريه، ففلوريدا صممت للجرى. لم يرَ روى فى حياته مكانًا مستويًا بهذا الشكل.

فحين كان يقيم فى (مونتانا) سابقًا كان مندهشًا من منظر الجبال الصخرية الشديدة الانحدار التى ترتفع قممها إلى عشرة آلاف قدم لتصل إلى الغيوم. أما هنا فالتلال الوحيدة هى من صنع الإنسان، وهى جسور الطرقات، العلوية (السريعة) الأسمنتية التى تنحدر بلطف وانسيابية.

ثم تذكر روى حرارة الجو العالية والرطوبة التى تبدو فى بعض الأيام وكأنها تمتص لُباب رئتيه. فكر روى بأن الركض لمدة طويلة تحت شمس فلوريدا الساخنة عذاب حقيقى.

لابد أن الصبى صلب العود كالمسامير ليتخذ من الركض منهجًا (روتينًا).

جلس أمام روى ولد اسمه (جاريت). أومأ له روى محييًا (هاى) وردَّ جاريت التحية بمثلها. عادا بعدها لتناول (المكرونة) الملزقة (المعجنة) من صينيتى طعامهما. كان روى يفضل دائمًا الجلوس منفردًا في نهاية طاولة الطعام كلما دخل إلى (كافتيريا) المدرسة لأنه كان قد التحق أخيرًا بالمدرسة. ويعتبر وافدًا جديدًا عليها. وأصبحَ متمرِّسًا قديمًا فى تجربة إحساسه بأنه وافد جديد. فمدرسة «تراس مدل» هى سادس مدرسة ينتقل إليها منذ بدء التحاقه بالمدارس.

كما أن (كوكنت كوف) هى المدينة العاشرة التى انتقلت إليها عائلته حسبما يتذكر.

يعمل والد روى موظفًا فى الحكومة. تقول والدته: إن سبب تنقلهم المستمر يعود لكفاءة والده فى عمله (مهما كان هذا العمل)، ولترقيته فى مجال عمله مرات عديدة. من الواضح أن الحكومة تكافئ موظفيها على حسن أدائهم بنقلهم من مكان إلى آخر بشكل مستمر.

قال جاريت: «هااى. هل لديك لوح تزحلق؟».

-«كلا. ولكنى لدىَّ لوح للتزحلق على الجليد».

صرخ جاريت بصخب: «ماذا تفعل به؟».

- «فى البلد الذى كنت أقيم فيه كان الثلج يتساقط بكثرة».

- «إذن، عليك أن تتعلم التزحلق على اللوح. إنه ممتع يا رجل».

- «آه. أعلم كيف أتزحلق على اللوح، ولكنى لا أملك واحدًا».

- «إذن، احصل على واحد. إننى أتزحلق مع أصحابى فى المراكز التجارية المغلقة (المولات). ويجب أن تصحبنا».

حاول روى أن يبدو متحمسًا وأجاب: «هذا رائع» ولكنه فى الواقع لم يكن يحب المراكز التجارية المغلقة. ومع هذا قدَّر لجاريت محاولته أن يكون ودودًا.

Twitter: @alqareah

كان جاريت ضعيفًا فى الدراسة، ولكن كانت له شعبيته فى المدرسة؛ لأنه كان يشيع المرح فى الفصل، حتى إنه اعتبر مهرج الفصل. كان يصدر أصواتًا بفمه، وتصدرُ عنه حماقات، كإخراج الريح كلما طردته المدرسة من الفصل، واعتُبر جاريت ملك إطلاق أصوات الريح المفتعلة فى مدرسة تراس مدل. من أشهر مكائده فرقعة هذا الصوت خلال تأدية تحية الصباح عند بدء اليوم الدراسى.

ومن دواعى السخرية أن أم جاريت تعمل مرشدة اجتماعية فى تراس مدل. ويرى روى أنها على ما يبدو، تستنفد كل يوم كافة مهاراتها فى الإرشاد والتوجيه خلال اليوم الدراسى؛ لتعود إلى البيت خائرة القوى لا تقوى على الاهتمام بابنها جاريت وتقويم سلوكه.

قال جاريت: «نعم. نستمر فى التزحلق إلى أن يأتى رجال الأمن لطردنا. ننتقل بعد ذلك للتزحلق فى ساحة انتظار السيارات حتى يرموا بنا خارجها. وهذا مثير جدًّا».

قال روى: «شىء جميل». بالرغم من أن قضاء صباح يوم السبت فى التزحلق داخل مراكز تجارية مغلقة يعتبر تسلية مملة له. كان يتطلع للقيام بأول رحلة فى مركب هوائى إلى منطقة (إيفرجلادس). كان والده قد وعده باصطحابه إليها فى إحدى عطلات نهاية الأسبوع.

سأل روى جاريت: هل هناك مدرسة أخرى فى هذه المنطقة؟

نقنق جاريت وقال وهو يغمس ملعقته فى كومة من حلوى التفاح الرخو: «لماذا؟ هل مللْتَ هذه المدرسة؟»

-«أبدًا. ولكن سبب سؤالى أنى لمحت هذا الولد الغريب اليوم على موقف الأتوبيس. وبما أنه لم يركب الحافلة ولم يحضر إلى المدرسة استنتجت أنه ليس من تلامذة مدرسة تراس مدل».

Twitter: @alqareah

- «حسب علمى لايوجد أحد لايذهب إلى مدرسة تراس مدل. هناك مدرسة كاثوليكية فى أول شارع (فورت مايرز)، ولكنها تبتعد كثيرًا عن هنا. هل كان الولد يرتدى زيًا مدرسيًا؟ لأن مدارس الراهبات تفرض زيًا محددًا على تلاميذها».

-«كلا. قطعًا. لم يكن يرتدى زيًا مدرسيًا».

قال جاريت: «هل أنتَ على يقين من أنه فى الإعدادية. لعله ذهب إلى (جراهام)». وكانت جراهام المدرسة الثانوية العامة وتقع بالقرب من مدينة كوكنت كوف.

قال روى: «لا يمكن، فشكله صغير، لا يناسب المرحلة الثانوية».

كشر جاريت مستهزئًا، ثم قال وهو يصدر صوت فرقعة من أحد خديه: «ربما إنه لقزم». «هل قلت إن شكله بدا غريبًا؟».

قال روى: «لم يكن ينتعل حذاءً. وكان يركض كالمجنون».

-«ربما كان هناك من يلاحقه. هل كان يبدو خائفًا؟».

-«فى الواقع لا».

أومأ جاريت برأسه وقال: «أراهنك بخمسة دولارات. إنه بالمدرسة الثانوية».

ولكن ظل الأمر غامضًا بالنسبة لـ «روى». فالدراسة فى فصول جراهام الثانوية تبدأ قبل مدرسة تراس بخمس وخمسين دقيقة. حيث تخلو الشوارع من طلاب المدرسة الثانوية بفترة طويلة قبل انتهاء حافلات المدارس الإعدادية فى إتمام دورتها.

قال جاريت: إذن فهو ولد هارب من المدرسة. وكثيرًا ما يهرب الأولاد من الفصول. هل تريد بعض الحلوى؟».

دفع روى بصينية طعامه بعيدًا وتساءل: «هل سبق أن هربتَ يومًا من المدرسة؟».

Twitter: @alqareah

قال جاريت متهكمًا: «مرات عديدة».

-«هل تهرب وحدك؟».

فكر جاريت لبرهة ثم قال: «كلا. فعادةً أهرب برفقة أصدقائى».

- «أرأيت؟ ذلك ما أعنيه».

- «إذن. قد يكون الولد مختلاً. فمن ذا يبالى بذلك؟».

قال روى: «أو خارج عن القانون؟»

بدا جاريت متشككًا وتساءل: «خارج عن القانون؟ هل تعنى مثل جس جيمس؟».

- «كلا. ليس تمامًا. مع أننى لمحت شيئًا غريبًا فى عينى ذلك الولد». ضحك جاريت ثانية وقال: «خارج عن القانون. هذا كثير يا (إيبرهاردت) إنَّ لديك خيالاً جامحًا وخطيرًا».

قال روى: «نعم». ولكنه كان قد بدأ بالفعل التفكير فى خطة. كان مصممًا على العثور على الولد الراكض.

الفصل الثانى

وفى اليوم التالى، بدَّل روى مقعده ليكون قريبًا من الباب الأمامى للحافلة، وحين انعطفت باتجاه الشارع الذى شاهد روى فيه الولد راكضًا، أنزل حقيبة الظهر عن كتفيه وأخذ يستكشف من خلال النافذة منتظرًا ظهور الولد من جديد، وفى الخلف، وعلى بعد سبعة صفوف من مقعد روى كان (دانا ماثرسون) يعذب تلميذًا فى الصف السادس يدعى (لويز). كان لويز من (هايتى) ولم يرحمه دانا.

فى اللحظة التى هدَّأت فيها الحافلة من سرعتها لتقف عند التقاطع ، لاحظ روى بطرف عينه حركة، فرفع نظره عن كتابه وأطل برأسه خارج النافذة وتفحص الطريق من أوله لآخره. لم يلحظ أحدًا يركض. استقل الحافلة فى الموقف سبعة أولاد، ولكن الصبى الغريب الحافى القدمين لم يكن بينهم.

تكررت القصة يومًا بعد يوم. ومع حلول يوم الجمعة استسلم روى وتوقف عن البحث. كان يجلس على بعد عشرة صفوف من الباب الأمامى يقرأ المجلة المصورة (إكس مان) حين انعطفت الحافلة حول الناصية المعهودة وبدأت فى تهدئة سرعتها. لاحظ روى بطرف عينه حركة، وها هو ذا الولد نفسه يركض على الرصيف من جديد مرتديًا ذات السترة (الجرسيه) الخاصة بلاعبى كرة السلة، وبذات السروال القصير الباهت، وبنفس القدمين الحافيتين المسودتين. وحين أزَّت مكابح الحافلة المدرسية التقط روى حقيبة ظهره من فوق الأرض ووقف. وفى تلك اللحظة أطبقت يدان ضخمتان متعرقتان على رقبته.

Twitter: @alqareah

شهق روى بصوت مبحوح وهو يحاول أن يتملص ليخلص نفسه من القبضة قائلا: «خلِّ سبيلى».

اشتدت القبضة حول (حلقه) وأحس بأنفاس دانا الشبيهة برائحة منفضة السجائر تنفث حول أذنه اليمنى ويقول له هامسًا: «لم لا تنتعل حذاء راعية البقر؟ هل سمعتم عن راعية بقر تلبس حذاء كرة السلة ماركة (إيرجوردان)؟».

- «إنها ماركة (ريبوك)» أجاب روى بصوت كالصرير.

كانت الحافلة قد توقفت وأخذ الأولاد فى الصعود. شعر روى بالغضب. عليه أن يصل إلى الباب بسرعة قبل أن يغلقه السائق؛ لتنطلق الحافلة من جديد. ولكن دانا لم يخلِّ سبيله وشدد قبضته على القصبة الهوائية. وجد روى صعوبة فى التنفس. كان يعلم أن مقاومته إياه ستزيد الأمر سوءًا. قهقه دانا فرحًا من خلفه وقال: «انظر إلى وجهك أحمر كالطماطم!».

يعلم روى جيدًا (النظام) الذى يمنع الاقتتال داخل الحافلة.

ولكن لم يكن أمامه تصرف آخر. ضم قبضته اليمنى وقذف بها - كما اتفق إلى ما وراء كتفه - بكل ما أوتى من قوة.

حطت اللكمة على شىء رطب ومطاطى.

سُمعَ صوت صرخة كالحشرجة، وما لبثت يدا دانا أن ارتخت عن رقبة روى. جاهد روى لاهثًا حتى وصل إلى باب الحافلة، فى اللحظة التى كان يصعد إليها آخر تلميذ، وكانت هناك فتاة طويلة بشعرٍ أشقر مجعد، ونظارة بإطار أحمر.

شقَّ روى طريقه بصعوبة ليتخطاها ويقفز إلى الشارع.

سألته الفتاة: «إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟».

وصرخ سائق الحافلة: «هيى. انتظر عندك». ولكن روى كان قد اختفى عن البصر.

Twitter: @alqareah

ابتعد الولد الراكض. وتصور روى أن بإمكانه اللحاق به ليظل تحت ناظريه ولو حتى عن بعد، فهو يعلم أن الولد لن يستطيع الجرى بهذه السرعة الفائقة إلى الأبد.

تتبعه راكضًا وهما يتجاوزان عدة صفوف من البيوت، ثم من وراء الأسوار، ومن خلال الأشجار القصيرة، وهما يتجنبان الاقتراب من الكلاب النابحة، ومن بين رشاشات مياه المروج الخضراء، وبعدها وهما يشقان طريقهما حول أحواض النباتات الحارة، وأخيرًا شعر روى بالتعب والإرهاق، وفكر: إنه لولد مذهل حقًّا، لعله يتمرن على الجرى ليشترك فى مسابقات فريق الجرى.

ظنَّ روى أنه شاهد الولد يتلفت وراءه مرة، كما لو أنه أحسَّ بأن هناك من يتتبعه، ولكنه لم يكن متيقنًا. فالولد لا يزال بعيدًا جدًّا عنه.

أخذ روى يلهث وهو يزدرد ريقه كسمكة ملقاة على الشاطئ. تشرَّب قميصه العرق الذى تدفق أيضًا من جبينه ولسَعَ عينيه.

لايزال آخر منزل من تلك المنازل المتلاصقة والمعروضة للبيع تحت الإنشاء. ولكن الولد الحافى اندفع دون أن يكترث نحو ألواح الخشب المليء بالمسامير والأخشاب الملقاة.

توقف ثلاثة رجال عن العمل، كانوا يقومون بتعليق حائط جاف. صاحوا محاولين إبعاده عن موقع العمل، ولكن الولد لم يكبح سرعة انطلاقه. حاول أحدهم مدَّ يده لإيقافه، ولكنه أخفق فى الوصول إليه.

وفجأة كان هناك عشب من جديد تحت قدميه. عشبٌ لم يرَ روى فى حياته أشد منه خضرة ونعومة. أدرك أنه يجرى على ملعب جولف، وأن الصبى الأشقر يندفع وسط ممر طويل ومورق وغزير الخضرة.

من ناحية كان هناك صف من أشجار الصنوبر الأسترالية، ومن الناحية الأخرى بحيرة صناعية فى لون الحليب.

Twitter: @alqareah

استطاع روى أن يرى أربعة أشخاص يرتدون لباسًا متألقًا ويلوحون إلى الصبى الحافى وهو ينطلق راكضًا.

ضغط روى على أسنانه واستمر فى ركضه. كان يشعر برجليه كما لو كانتا من الأسمنت الرطب وبأن رئتيه تكادان تشتعلان.

على بعد مائة ياردة من روى استدار الولد بحدة نحو الجهة اليمنى واختفى بين أشجار الصنوبر. ظل روى يتتبعه بإصرار عنيد وتوجه وراءه نحو الغابات.

سَمعَ روى صدى أصوات غاضبة تدوى، ولاحظ أن الناس على الممر يشيرون إليه أيضًا، ولكنه استمر فى الجرى. وبعدها بلحظات لمح على البعد وميض أشعة الشمس على شىء معدنى، تبعه صوت ضربة مكتومة. لم يرَ روى فى الواقع كرة الجولف إلاَّ بعد أن سقطت على بعد ستة أقدام منه. لم يكن أمامه من الوقت ما يمنحه الفرصة للابتعاد عن طريقها. كل ما استطاع فعله هو أن يقفز ويلفت رأسه وينتظر تلقى الضربة.

أصابته الضربة القوية المفاجئة بزاوية فوق أذنه اليسرى مباشرة لم يشعر بأى ألم فى الحال ولكن بعد برهة أخذ يترنح وأحس بشىء يدور بسرعة، كانفجار فتيل لامع لسهم نارى داخل رأسه.

ولم يشعر بنفسه إلا وهو يقع مُغمًى عليه لفترة بدت له طويلة. وقع بخفة كما تقع قطرة الماء على نسيج مخملى.

وحينما هرع لاعبو الجولف ورأوا وجه روى مغروزًا فى الرمل ظنوا أنه قد مات. سمع روى صوت صراخهم الملتاع، ولكنه لم يتحرك. شعر ببرودة الرمال الناعمة كالسكر على وجنتيه المتوهجتين كما شعر برغبة شديدة فى النوم.

فكر روى أن تسميته بلقب «راعية البقر» كان لخطأ منه، فهو الذى أخبر الأولاد فى المدرسة بأن (مونتانا) هى بلده الأصلى. وهى منطقة مشهورة بتربية الماشية. مع أنه فى الحقيقة مولود فى (ديترويت) (ميتشيجان)، انتقل أبوه وأمه من

Twitter: @alqareah

ديترويت حينما كان لا يزال طفلاً، ولذا وجد أن من الحماقة أن يعتبرها مسقط رأسه، فهو يعتقد حقيقةً أن لا موطن له، فعائلته لم تمكث فى أى مكان بما يكفى حتى يشعر بالاستقرار.

من بين جميع المدن التى انتقلت إليها عائلة (إيبرهاردت) كانت المدينة المفضلة لديه بلدة (بوزمان) فى (مونتانا) ذات الجبال المرتفعة بقممها الحادة، وأنهارها المضفرة بالخضرة ، والسماء الشديدة الزرقة التى تبدو لك كأنها لوحة فنية. لم يتصور روى أى مكان آخر يضاهيها جمالاً. أمضت عائلة إيبرهاردت بها عامين وسبعة أشهر وأحد عشر يومًا. وودَّ روى لو يستقر بها إلى الأبد.

فى الليلة التى أعلن فيها والده أنهم سينتقلون إلى فلوريدا ألزم نفسه بالبقاء فى غرفته وجلس يبكى. أمسكت به والدته وهو يحاول التسلل من النافذة ومعه لوح التزحلق على الجليد، وحقيبة الصيد البلاستيكية التى وضع داخلها غياراً داخلياً وجوربًا وسترة. وشهادة توفير بنكية بقيمة مائة دولار، كان جده قد أعطاها له كهدية فى عيد ميلاده.

أكدت له والدته أنه سيُحب فلوريدا وأضافت أن معظم الناس فى أمريكا يرغبون فى الانتقال إليها، فهى ولاية مشمسة. بعد ذلك أدخل والده رأسه من باب الغرفة وقال له بحماس مفتعل: «ولا تنسَ عالم ديزنى». وردَّ روى عليه حينذاك بفتور: «لا أرى أى إثارة فى عالم ديزنى مقارنة بمونتانا. فأنا أريد أن أبقى وأعيش هنا فى مونتانا».

وكالعادة رجح صوت الوالدين؛ ولذا فحين سألته المدرسة المسئولة عن إثبات الحضور فى الصباح من أين جئت؟ وقف وأعلن بفخر من مدينة (بوزمان) فى (مونتانا). كان هذا هو الجواب نفسه الذى ردده فى حافلة المدرسة حين بادره (دانا ماثرسون) بالسؤال، فى أول يوم دراسى له، ومن يومها أصبح لقبه إما (تكس) وإما «راعية البقر» أو روى - روجرز - هاردت.

Twitter: @alqareah

كانت غلطته أنه لم يعلن أنه من (ديترويت). سألته (فيولا هينيبين)، نائبة مدير مدرسة (تراس مدل) التى كان روى يجلس الآن أمامها فى غرفة مكتبها الصغير ينتظر التحقيق معه. سألته: «لماذا لكمتَ مستر ماثرسون؟».

- «لأنه كان يخنقنى، وكاد يقتلنى».

- «هذا يختلف عما رواه لنا السيد ماثرسون ياسيد إيبرهاردت».

كان وجه الآنسة هينيبين ذا تقاطيع حادةٍ جدًّا، وكانت طويلة القامة نحيلة وناتئة العظم، ترتسم على تعابير وجهها قسوة دائمة. واستأنفت تأنيبها قائلة: «فهو يقول إنك هاجمته من غير أن يستفزك».

أجاب روى: «هذا صحيح. فأنا دائما أختار أضخم وأرذل ولد فى الحافلة وألكمه على وجهه. فقط من أجل التسلية».

قالت الآنسة هينيبين : «نحن هنا فى مدرسة تراس مدل لا نتقبل اللهجة التهكمية. هل تعلم أنك كسرت أنفه؟ لا تندهش إذا ما تسلَّم أهلك بالبريد ورقة حساب من المستشفى بتكاليف العلاج».

قال روى: «كان المغفل، المعتوه على وشك أن يخنقنى».

- «حقيقة». ولكن سائق الحافلة التى كنتما تركبانها السيد (كيسى) قال إنه لم يلحظ شيئًا.

- «هذا ممكن» فقد كان يركز بالفعل على قيادة الحافلة وعلى الطريق»..

ابتسمت الآنسة ابتسامة خفيفة وقالت: «يبدو يا سيد إيبرهاردت أنك تميل بعض الشىء للرد بوقاحة. كيف تريد أن يكون تصرفنا مع ولد عنيف ومشاغب مثلك؟».

- «إن ماثرسون هو المشاغب المثير للمتاعب، فهو من يزعج كل الأولاد الصغار فى الحافلة».

Twitter: @alqareah

- «لم يسبق أن اشتكى أحد منه غيرك فى الحافلة».

- «لأنهم يخافون منه» كان هذا هو السبب الذى منع بقية الأولاد من مساندة روى فى قصته. لم يرغب أحد أن يتهم دانا حتى لا يُجبر على مواجهته فى اليوم التالى فى الحافلة.

- تساءلت الآنسة هينيبين: «إن كنت لم ترتكب أى خطأ: فلمَ هربت؟».

لاحظ روى أن هناك شعرة سوداء بارزة تنبت على الشفة العليا للآنسة هينيبين. تساءل فى نفسه لم لا تنتزعها؟ هل من المعقول أن تتركها تنمو بهذا الشكل؟

- «ياسيد إيبرهاردت. لقد سألتك سؤالاً».

- «هربتُ لأننى أنا أيضًا كنت خائفًا منه».

- «أو لعلك كنت خائفًا مما سيصيبك حين يصلنا التقرير بما حدث».

- ليس هذا صحيحًا على الإطلاق.

قالت الآنسة هينيبين: «تبعًا لنظام المدرسة من الممكن أن تُطرد لفترة».

- «كان يخنقنى بالفعل. ما الذى كان مفروضًا علىَّ فعله؟».

- «قف من فضلك».

فعل روى ما طُلب منه.

- «اقترب منى أكثر. كيف حال وجع رأسك الآن؟ هل هذا هو المكان الذى أصابتك به كرة الجولف؟ قالت هذا هينيبين الآنسة وهى تلمس النتوء القرمزى فوق أذن روى.

- «نعم ياسيدتى».

- «أنت شاب محظوظ. كان من الممكن أن تكون الإصابة أسوأ».

شعر روى بأصابع الآنسة هينيبين الناتئة العظم تتحسس تحت ياقة قميصه.

Twitter: @alqareah

ضاقت عيناها الرماديتان الباردتان وزمت شفتيها الشمعيتين مركزة، وقالت: «همم». ثم أخذت تحدق فيه بازدراء.

تراجع روى ليفلت من قبضتها متسائلاً: «ما هذا؟».

تنحنحت نائبة الرئيس وقالت: «هذا الانتفاخ على رأسك يؤكد لى أنك لُقِّنت درسك بالطريق الصعب. ألستُ على حق؟»

أومأ روى برأسه وهو يفكر: لا مجال فى محاولة التفاهم مع شخص يزرع شعرة طويلة مزيتة على شفته. منظر الآنسة هينيبين أصاب روى بالقشعريرة.

قالت الآنسة وهى تربت على ذقنها بالقلم: «ولذا فقد قررت عدم طردك من المدرسة، ولكنى سأمنعك من ركوب الحافلة لفترة».

- «حقًّا». كاد روى ينفجر ضاحكًا. إنه فعلاً لعقاب رائع، لن يركب الحافلة. ولن يعذبه دانا!!

قالت هينبين: «لمدة أسبوعين».

حاول روى أن يبدو حزينًا وقال: «طوال أسبوعين كاملين»!

- وأضافت. «أريد منك أن تكتب رسالة اعتذار إلى السيد ماثرسون «رسالة حميمية»..

قال روى: حسنًا .. حسنًا.. ولكن من الذى سيساعده على قراءتها؟

كزَّت الآنسة هينيبين على أسنانها البارزة المصفرة وهى تقول: «لا تعتمد كثيرًا على حسن حظك يا سيد إيبرهاردت».

- كلا يا سيدتى.

وما إن خرج من المكتب حتى هرع إلى حمام الأولاد. تسلَّق إحدى المغاسل التى تعلوها مرآة وجذب ياقة قميصه إلى أسفل؛ ليرى ما الذى كانت الآنسة هينيبين تحدق فيه.

Twitter: @alqareah

ضحك روى. فقد تمكن من رؤية العلامات الزرقاء بوضوح - من أثر الكدمات - على جانبى تفاحة آدم على رقبته بحجم أربع أصابع. استدار على حافة الحوض. فوجد علامتين متشابهتين للإبهام فى أعلى رقبته.

قال روى فى نفسه: شكرًا لك أيها الأبله دانا. لا بد أن الآنسة هينيبين تعلم جيدًا الآن أننى كنت صادقًا.

حسنًا.. ليس كل الصدق.

فروى لم يذكر شيئًا عن الولد الغريب الراكض. لم يكن واثقًا ما الذى منعه من ذكر هذا الجزء من القصة. ولكن يبدو أنه كان من الأمور التى من الأفضل عدم ذكرها لنائبة الرئيس ما لم تكن مضطرًا لذلك.

كان قد تغيَّب عن حصص الدراسة الصباحية، و لم يتبق له سوى وقت قصير للغداء. أسرع ليأخذ دوره فى صف الكافتيريا ووجد لنفسه طاولة شاغرة. جلس وظهره إلى الباب يلتهم شريحة هامبرجر بالفلفل الأحمر ويشرب علبة من اللبن الفاتر. كانت الحلوى قطعة من الكعك المحمَّص بالشيكولاتة بحجم قرص (الهوكى) وبنفس سوء الطعم.

- سمع صوت طرقعة الكعك على الصحن وعلَّق روى: شىء مقزز.

حمل صينيته ووقف ليغادر الكافتيريا. قفز عن الأرض حين حطَّت يد على كتفه بقوة. خاف أن يرى وجه المعتدى. هل هو دانا ماثرسون؟ انقبض صدره وفكر (هذه نهاية ملائمة ليوم سيئ).

سمع صوتًا من ورائه. بالقطع ليس صوت دانا. أمره الصوت:

- «اجلس».

أزاح روى اليد من على كتفه واستدار.

كانت تقف هناك وقد ضمت ذراعيها؛ الفتاة الطويلة الشقراء بإطار نظارتها الأحمر، تلك الفتاة التى اصطدم بها روى فى الحافلة.

Twitter: @alqareah

كانت التعاسة الشديدة واضحة عليها حين قالت له: «كدت تطيح بى وترمينى أرضًا هذا الصباح».

- «أنا آسف».

- «لماذا كنت تركض؟»

حاول روى أن يتملص منها ويتفاداها مبتعدًا، لكنها تحركت هذه المرة خطوة إلى الأمام لتواجهه وقطعت عليه الطريق. قالت الفتاة: «كان من الممكن أن تؤذينى حقًا».

شعر روى بالحرج لمجابهة الفتاة له. فهو بالتأكيد مشهد لا يريد أن يشاهده باقى الأولاد فى المدرسة. والأسوأ من ذلك كان روى يشعر فعلاً بأنه مهدَّد. فالفتاة ذات الشعر الأجعد كانت أطول منه بكثير. كانت كتفاها عريضتين وساقاها معضلتين وملوحتين بسُمرة الشمس.

يبدو أنها تمارس رياضة ما، ربما كرة القدم أو الكرة الطائرة.

قال لها: «انظرى. لكمتُ ولدًا فى أنفه».

- «أوه! سمعت القصة بحذافيرها». قالت الفتاة بسخرية: «ولكن هذا ليس سبب هروبك؟»

- «طبعًا ذلك هو السبب»

تعجب روى، فربما وجهت الفتاة له اتهامًا آخر مثل سرقة نقود غذائها من حقيبة ظهرها.

قالت الفتاة بجرأة وهى تمسك بالطرف الآخر من صينية طعامه؛ لتمنعه من الحركة: «أنت تكذب».

قال روى بحدة: «اتركينى.. تأخرت على الفصل».

«تمهل. مازال أمامنا ست دقائق على موعد رنين الجرس يا راعية البقر».

كانت تبدو كما لو أنه لا مانع لديها أن توجه له ضربة فى البطن .

قالت: «والآن قل الحقيقة.. كنت تلاحق أحدًا ما.. أليس كذلك؟»

تنفس روى الصعداء. فلم يكن متهمًا بجريمة خطيرة وتساءل قائلاً: «هل شاهدتِ أيضًا الولد الحافى وهو يركض؟»

ظلت الفتاة ممسكة بصينية روى، وتقدمت خطوة إلى الأمام دافعة بروى إلى الوراء.

خفضت صوتها وقالت: «لدىَّ لك نصيحة».

نظر روى حوله قلقًا. كانا الوحيدين الباقيين فى الكافيتريا.

دفعته الفتاة مرة أخرى وهى تقول: «هل تسمعنى؟».

- «نعم».

- «حسنًا» ولم تتوقف عن دفعه إلى أن ألصقته بالحائط وهو ممسك بصينية الطعام. حدقت فى وجهه بحزم من وراء إطار نظارتها الأحمر وقالت: «من الآن فصاعدًا. اهتم بشئونك الملعونة وابتعد عن شئون غيرك».

كان على روى أن يعترف بأنه شعر بالخوف. كانت حافة الصينية تُغرز فى قفصه الصدرى. هذه الفتاة مثيرة للشغب ومؤذية.

همس قائلاً: «لقد شاهدتِ ذلك الولد أيضًا. أليس كذلك؟»

- «لا علْمَ لى عما تتحدث. أكرر. اهتم بشئونك فقط. إن كنت تعرف مصلحتك».

تخلت عن صينية روى ودارت على عقبيها.

نادى عليها روى قائلاً: «انتظرى.. من هو؟».

ولكن الفتاة ذات الشعر المجعد لم ترد أو حتى تنظر إلى الوراء.. استمرت فى سيرها. وببساطة رفعت ذراعها اليمنى وهزت سبابتها متوعدة إياه.

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث

حمَى الشرطى دلينكو عينيه من وهج شمس الظهيرة.

قال (كيرلى) رئيس العمال المسئول عن المشروع الإنشائى: «لقد استغرق منك الوصول إلى هنا زمنًا طويلاً».

شرح له الشرطى سبب تأخره قائلاً: «كان هناك تصادم بين أربع سيارات فى شمال المدينة نتج عنه عدة إصابات».

قاطعه كيرلى: «على أية حال، بإمكانك أن ترى ما فعلوا».

مرة ثانية وبنفس الأسلوب، قام المخربون بانتزاع كل وتد مغروز من أوتاد مسح الأرض من مكانه وأعادوا ملء الحُفر. لم يكن الشرطى دلينكو من أمهر المسئولين فى الشرطة ولكنه بدأ يشك فى أن هذا ليس عملاً تخريبيًّا عاديًّا قام به حفنة من الصبية «الأحداث». يبدو أن أحدًا يحمل ضغينة ضد الأم باولا وعالمها المشهور فى صنع فطائر (البانكيك).

قال كيرلى وهو يشير نحو الشاحنة: «هى ذى أمامك واقعة واضحة من التخريب المقصود لتذكرها هذه المرة فى تقريرك الرسمى، فقد قاموا بانتهاك ممتلكات شخصية للشركة».

ثم قاد الشرطى دلينكو إلى الزاوية الجنوبية الغربية من الموقع حيث انبطحت الشاحنة على قاعدتها. كانت عجلاتها الأربع لاصقة بالأرض. رفع كيرلى كفيه وقال: «دوّن عندك. كل عجلة من هذه العجلات تساوى مائة وخمسين دولارًا».

Twitter: @alqareah

سأل رجل الشرطة: ماذا حدث؟

هزَّ كيرلى صلعته اللامعة مُظهرًا قرفه وقال: «مُزقت جوانب العجلات».. ركع الشرطى دلينكو على الأرض ليتفحص عجلات الشاحنة. لم يجد أثرًا لقطع بالسكين فى العجل المطاطى، وقال: «أظن أن أحدهم قام بتفريغ الهواء منها فقط».

رد كيرلى ردًّا كان من الصعب على رجل البوليس سماعه..

وعده رجل البوليس قائلاً: «على أية حال سأكتب تقريرًا».

قال كيرلى: «ما رأيك فى إضافة المزيد من رجال الدورية حول هذا الموقع».

- «سأتحدث مع رئيسى الملازم بهذا الخصوص».

همهم كيرلى: «افعل هذا. لدىَّ بعض الأشخاص المهمين فى الحكومة بإمكانى الاستعانة بهم بنفسى. فقد أصبح الأمر لا يطاق».

- «نعم يا سيدى».

لاحظ الشرطى دلينكو وجود ثلاث دورات مياه متنقلة تحتل مؤخرة الشاحنة المنبسطة. وضبط نفسه يبتسم وهو يقرأ الاسم الملوَّن على الأبواب الزرقاء لدورات المياه (جونى المتجول).

فسَّر له كيرلى: «هذه لاستعمالات طاقم عمال البناء. حينما يبدأ العمل فى تنفيذ المشروع. وإذا ما تمكنا من العمل فعلاً».

سأل رجل الشرطة: «هل تفحصتها؟».

كشر كيرلى وقال: «ماذا؟ المراحيض؟ ولماذا؟».

- «لا يمكنك أن تعرف».

- «لا يمكن لأى عاقل أن يعبث بدورة مياه» ردَّ رئيس العمال بصوت أخنف.

سأل الشرطى دلينكو: «هل يمكننى إلقاء نظرة؟».

Twitter: @alqareah

- تفضل.

تسلق رجل الشرطة إلى مؤخرة الشاحنة. من الخارج بدت الغرف الصغيرة لدورات المياه وكأنها لم تستعمل.

كانت السيور الجلدية التى تحيط بالحمولة مُحكمة الربط، وأبواب الوحدات الثلاثة مقفلة. فتح الضابط باب واحدة منها وأطل برأسه إلى الداخل. كانت رائحة مواد التطهير تفوح من المرحاض. نادى عليه كيرلى: «هل لاحظت شيئًا؟».

أجاب رجل الأمن: «كل شىء على ما يرام».

- فى الواقع. لا يوجد شىء مهم فى وعاء تغوُّط (قصرية) متجول ليعبثوا به.

- هذا ما أفترضه.

كان الشرطى على وشك إقفال الباب حين سمع صوتًا مكتومًا هل هذا صوت (حركة فى الماء)؟ حملق رجل الأمن منزعجًا نحو الغطاء البلاستيكى. مرت عشر ثوان ثم سمع الحركة من جديد. بالقطع، هذا صوت تناثر (طرطشة) فى الماء.

- سأله كيرلى: ما الذى تفعله عندك؟.

أجاب الشرطى دلينكو: «استمع».

وأخرج الشرطى دلينكو مصباحه الكهربائى من حزامه، وتقدم إلى الأمام. ووجه النور إلى داخل كل فجوة من فجوات دورات المياه.

سمع كيرلى صرخة رعب وشاهد مندهشًا رجل الشرطة وهو يندفع خارجاً من باب دورة المياه الصغيرة ويقفز من مؤخرة الشاحنة مثل لاعب محترف لرياضة القفز فى الألعاب الأوليمبية.

تساءل رئيس العمال بتعاسة: «والآن ما الجديد؟».

نهض الشرطى دلينكو من الأرض وسوَّى بدلته ماسحًا التراب عن الجزء

Twitter: @alqareah

الأمامى من زيِّه الرسمى. أخذ مصباحه من الأرض وتفحصه؛ ليتأكد أن زر مصباح الإضاءة لم يُكسَر.

ناوله كيرلى قبعته التى وقعت منه لتستقر بالقرب من حفرة جُحر البوم.

قال رئيس العمال: والآن.. أفصح عمَّا رأيت.

أومأ رجل الشرطة حانقًا قائلاً: «تماسيح!!».

«أنت تمزح. أنت تهزأ بى».

قال الشرطى دلينكو: «كنت أتمنى ذلك. لقد وضعوا تماسيح فى أوعية قضاء الحاجة لديك ياسيدى.. تماسيح حية حقيقية».

- «أكثر من واحد؟».

- «نعم يا سيدى».

تلعثم كيرلى من الخوف والدهشة وسأل: «هل هى..... تما..... سيح كبيرة».

هزَّ الشرطى دلينكو كتفيه وهو يومئ صوب المراحيض المتنقلة وقال: حين تسبح تحت مؤخرتك، سيخيل إليك أنها جميعًا من النوع الكبير».

هاتفت الآنسة هينيبين والدة روى؛ ولذا كان عليه سرد القصة لأمه بعد عودته إلى البيت من المدرسة. ومرة أخرى حين عاد والده من العمل.

سأل السيد إيبرهاردت روى: «لماذا قام ذلك الشاب بخنقكَ؟» هل فعلت شيئًا لتستفزَّه؟

أجابت زوجته: «روى يقول إنه ولد مؤذٍ يتلذذ بالتنغيص على الجميع، ولكن مع هذا لا يمكن اعتبار العراك الحل الأمثل».

أصر روى: «لم يكن عراكًا، لكمتُه فقط ليبعد قبضته عنى، ثم نزلت من الحافلة وهربت».

Twitter: @alqareah

سأله والده: «وهل أصابتك كرة الجولف بتلك الضربة حين نزولك من الحافلة؟» قال الوالد هذا وهو يغمز بعينه لذلك الخاطر.

قالت الأم: «فرَّ هاربًا لمسافة بعيدة، بعيدة جدًّا».

تنهد روى وقال: «كنت خائفًا».

عادة لا يحب روى أن يكذب على أهله، ولكنه كان متعبًا لدرجة لا تمكنه من شرح السبب الحقيقى لجريه كل هذه المسافة البعيدة.

تفحص السيد إيبرهاردت الكدمة فوق أذن ابنه وقال: «لقد تلقيت ضربة قاسية هنا. من الأفضل أن يلقى الطبيب شولمان نظرة عليها».

- «كلا يا أبى، فأنا بخير» وقد قام الطبيب المسئول فى ملاعب الجولف بفحصه على أرض الملعب. كما وضعته الطبيبة المسئولة فى مدرسة تراس ميدل تحت المراقبة لمدة أربع وخمسين دقيقة فى حال بدت عليه علامات ارتجاج فى المخ. أمَّنت أم روى على قوله وقالت: «يبدو أنه على ما يرام. ولكن الشاب الآخر أصيب بكسر فى أنفه».

ارتفع حاجبا الأب وقال: «أووه!!».

لدهشة روى، لم يبدُ والده غاضبًا. وإن لم تظهر عليه علامات الرضا تمامًا إلا أن نظرته كانت مفعمة بعاطفة حب لا يمكن إغفالها، وربما بالفخر.

فكر روى فى أن هذه مناسبة ليستميل والده إلى جانبه فقال: «ولكنه كان يخنقنى يا أبى. ما الذى كان بإمكانى فعله؟ ماذا كنت ستفعل لو كنت مكانى؟» ثم أنزل ياقة قميصه ليعرض العلامات الزرقاء لآثار الأصابع على عنقه.

اكفهرت أسارير السيد إيبرهاردت وسأل والدة روى: «ليز، هل شاهدتِ هذه؟» أومأت الوالدة بتفجُّع. وأكمل الأب: «هل تعلم المدرسة بما فعل هذا المتخلف بابننا؟».

رد روى بسرعة: «نائبة الرئيس تعلم. لقد شاهدت هذه الآثار».

- «وماذا فعلت؟».

- «منعتنى من ركوب الحافلة لمدة أسبوعين. كما طلبت منى أن أكتب رسالة اعتذار!».

- «ماذا حصل للولد الآخر؟ ألم يعاقب أيضًا؟».

- «لا عِلْمَ لى يا أبى».

قال السيد إيبرهاردت: «إن ما فعله الولد يعتبر حالة تعدٍّ، فلا يمكنك خنق شخص آخر. هذا تصرف غير قانونى».

- «هل تعنى أن بإمكانهم القبض عليه وإيداعه السجن؟».

لم يكن روى راغبًا فى أن يزج بدانا ماترسون فى السجن. فمن شأن ذلك أن يحرض أصدقاء دانا من الصبية الكبار والأشقياء مثله على ملاحقة روى وإيذائه»، فنظرًا لأنه الولد الجديد فى المدرسة فقد كانَ فى حاجة إلى تجنب إيغار صدر هذه الحفنة من الأعداء.

قالت والدة روى: «لن يقبضوا عليه يا روى يا عزيزى، ولكنه بحاجة لأن يُلقن درسًا، فبإمكانه إيذاء الآخرين إيذاءً شديدًا؛ باعتدائه المتكرر على الأولاد الأقل منه حجمًا وسنًّا».

هبَّ السيد إيبرهاردت مستفسرًا: «ما اسم الولد؟».

تردد روى فى الإجابة. فهو لم يكن واثقًا من العمل والمركز الذى يحتله الوالد، ولكنه على دراية بأنها وظيفة لها علاقة بتطبيق القوانين، وفى بعض الأحيان، عندما كان السيد إيبرهاردت يتبادل الحديث مع والدة روى، كان يذكر اسم المؤسسة التى يعمل بها بأنها الـ (و. ع. أ)، والتى كان روى يفك رموزها بأنها وزارة العدل فى الولايات المتحدة الأمريكية.

Twitter: @alqareah

وعلى قدر ما كان روى يكره دانا ماثرسون إلاَّ أنه لم يكن يعتقد أن هذا الولد يستحق اهتمام حكومة الولايات المتحدة به. فدانا ليس إلاَّ ولدًا أبله وضخمًا كالدببة وأبله. والعالم مليء بأمثال هؤلاء.

ضغط عليه والده قائلاً: «روى أرجوك أخبرنى عن اسمه؟».

تدخلت الأم قائلة: اسم الولد ماترسون. دانا ماثرسون. شعر روى فى أول الأمر بالراحة، فوالده لم يدوِّن اسم الولد، آملاً أن هذا يعنى أنه لن يلاحق الحادثة. ثم تذكر روى أن لوالده على ما يبدو، ذاكرة مميزة، فمثلاً كان باستطاعته أن يتذكر المتوسط لضربات البداية لفريق (اليانكى) الشهير للعبة (البيسبول) سنة 1978.

قال السيد إيبرهاردت لزوجته: «عليكِ الاتصال غدًا بالمدرسة لتكتشفى إن كان هذا الولد قد نال عقابًا لاعتدائه وهجومه على روى؟ وكيف كان العقاب؟ يجب أن يؤدب هذا الولد لقيامه بالاعتداء على روى».

وعدته السيدة إيبرهاردت قائلة: «هذا أول ما سأقوم به فى الصباح الباكر».

زمجر روى فيما بينه وبين نفسه؛ إنه المخطئ الوحيد، فما كان عليه أن يجعل رد فعل والديه بهذا العنف. ما كان عليه أن يريهما الآثار على عنقه.

- «أمى، أبى سأكون بخير. صدقانى. هل يمكن أن نكف عن التفكير فى هذا الموضوع؟».

قال والده بلهجة حاسمة: «كلا بالطبع». وقالت أمه: «أبوك على حق. هذا موضوع جدى وخطير. والآن تعالَ إلى المطبخ ودعنى أضع بعض الثلج على كدماتك، وبعدها يمكنك كتابة رسالة الاعتذار هذه».

على أحد جدران غرفة نوم روى علقت صورة حائط تمثل حلبة ليفنجستون للرودیو يظهر فيها راع للبقر وهو يمتطى ثورًا هائجًا بدون سرج. كان راعى البقر يرفع يدًا واحدة عاليًا فى الهواء، بينما طارت قبعته من على رأسه.

كل ليلة، وقبل أن يطفئ الأنوار كان روى يتمدد ورأسه على مخدته يتأمل الصورة وهو يتخيل نفسه فى مكان هذا الشاب المفتول العضلات يمتطى ظهر هذا

Twitter: @alqareah

الثور الهائج. فالقدرة على الثبات فوق هذا الثور الهائج لمدة ثمانى أو تسع ثوانٍ بمثابة زمن (أبدى). يتخيل روى نفسه معلقًا فوقه بإحكامٍ لدرجة لا تسمح للحيوان بهزّه أو إزاحته مهما بلغت قوة محاولاته.

تبدأ (دقات) الثوانى فى التقدم إلى أن يجثو الثور فى النهاية على ركبتيه ويستسلم من شدة الإرهاق. وبعدها وبكل هدوء ينزل روى من على ظهر الثور الهائج ملوحًا للجمهور الصاخب. هكذا كان يدور المشهد فى ذهنه.

تأمل روى أنه ربما انتقل والده ثانية إلى مونتانا، حيث سيكون بإمكانه تعلم ركوب الثيران مثل راعى البقر الذى يظهر فى الصورة.

على نفس الجدار فى غرفة نومه كانت هناك تعليقة أخرى صفراء اللون، وقد سُلِمت له باليد كما تسلَّم إلى جميع السائقين الذين يدخلون محمية (بلوستون) الوطنية. كتب على التعليقة:

تحـــذيـــر!

تعرَّض العديد من الزوار لنطحات (البافالـو) الثور.

يصل وزن الثور إلى نحو 2000 رطل،
يمكنه الاندفاع بسرعة 30 كيلو مترًا
فى الساعة، ثلاثة أضعاف معدل سرعة الإنسان.

هذه الحيوانات تبدو أليفة ولكنها متوحشة،
لا يمكن التنبؤ برد فعلها.. فهى خطرة.

لا تقتـربـوا مـن الثيـران!

Twitter: @alqareah

فى أسفل التعليقة صورة لسائح نطحه ثور هائج من فصيلة (البيزون) وقذفه من فوق قرنيه وبدت آلة تصوير السائح طائرة فى الجو من ناحية، وقبعته من الناحية الأخرى. مثل قبعة راعى البقر فى صورة الحائط المجاورة.

احتفظ روى بتعليقة (بلوستون)؛ لأنها أصابته بدهشة شديدة. فكيف تصل الحماقة بإنسان، أيًّا كان لأن يقف فى طريق ثور ضخم ليلتقط له صورة؟ ولكن هذا ما كان يحدث فعلاً كل صيف. وكل صيف تقوم الثيران الهائجة بنطح بعض السائحين الحمقى.

فكر روى وهو يحاول صياغة رسالة الاعتذار لدانا. هذه الحماقة تشبه تمامًا الأعمال البلهاء التى قد يحاول القيام بها دانا ماثرسون. كان بإمكانه بكل سهولة تصور الولد الضخم الأحمق وهو يحاول أن يقفز فوق ظهر ثور من البيزون كما لو كان حصاناً قزمًا من تلك التى تجر العربات الصغيرة.

أخذ روى ورقة مخططة من دفتر واجبات اللغة الإنجليزية وكتب:

عـزيـزى دانـــا :

أنا آسف لأنى حطمت لك أنفك. أرجو أن يكون النزيف قد توقف.

أعدُك بأننى لن أعيد ضربك أبدًا بعد اليوم، مادمت ستكف عن إزعاجى فى أثناء ركوبنا الحافلة المدرسية. أظن أن هذا (افاق) عادل.

المخلص أبدًا

روى ا. إيبرهـاردت

أخذ الورقة إلى الدور السفلى وعرضها على أمه التى قطبت جبينها قليلاً وهى تقول: «يا عزيزى. إنها تبدو بعض الشىء... حسنًا».

- «ماذا تعنين يا أمى؟».

- «لا أعنى فحوى الرسالة بل أعنى النبرة المتشددة».

ناولت الأم الرسالة والد روى الذى قرأها وقال: «أظن أن النبرة صحيحة تمامًا. ولكن من الأفضل لك أن تبحث فى القاموس عن التهجية الصحيحة لكلمة افاق (حيث إن روى كان قد نسى وضع حرف التاء فى كلمة اتفاق).

تهاوى رئيس الشرطة على مكتبه. لم يكن هذا هو التخطيط الذى ينوى أن ينهى به مستقبله المهنى. فبعد خمسة وعشرين شتاءً، ظل يخوض فيها طرقات بوسطن الباردة، ها هو ذا ينتقل إلى فلوريدا على أمل قضاء خمس أو ست سنوات دافئة، من غير حوادث مزعجة قبل أن يُحال إلى التقاعد.

بدت له مدينة (كوكنت كوف) مثالية. ولكن يظهر أنها ليست هذه القرية الناعسة التى تصورها رئيس الشرطة. كان المكان ينمو ويتسع مثل النباتات الشيطانية الزاحفة. كما أن هناك ازدحامًا فى السير، مع وجود الكثير من السائحين، وقد بدأت تحدث فيها بعض الجرائم، لا كجرائم المدن الكبرى الخطيرة، ولكن جرائم خفيفة تتفق مع نسق فلوريدا الهادئ. سأل الملازم: «كم كان عددها؟».

نظر الملازم إلى الشرطى دلينكو الذى قال: «مجموعها ستة».

- «اثنان فى كل مرحاض».

- «نعم يا سيدى».

- كم يبلغ حجمها؟

Twitter: @alqareah

– أضخمها طوله نحو أربعة أقدام. والأصغر إحدى وثلاثين بوصة. أجابه الشرطى دلينكو وهو يقرأ الأرقام بشكل عادى كما سجلها فى التقرير.

سأل الرئيس: هل هى تماسيح حقيقية؟

– نعم يا سيدى إنها حقيقية.

تكلَّم الملازم مقاطعًا الشرطى دلينكو قائلاً: لقد تخلصنا منها الآن أيها الرئيس. لا تقلق. جاء خبير فى الزواحف وأخرجها من المراحيض.

ثم قهقه ضاحكًا وهو يقول: كاد أصغرها يقضم إبهام الرجل.

سأل الرئيس: «من هو خبير الزواحف؟ أوه! لا تشغل بالك».

– «صدق أو لا تصدق. وجدنا اسمه مدوَّنًا فى دليل الهاتف».

علَّق رئيس الشرطة : «معقول».

فضابط بمستواه الوظيفى رئيسًا للشرطة عادةً لا يتدخل لحل مثل هذه القضية السخيفة، ولكن للشركة التى تعمل على تشييد المبانى لمؤسسة فطائر (البانكيك) بعض التأثير على السياسيين المحليين فى المنطقة. اتُّصل أحد الرجال المهمين من ذوى النفوذ الذين يعملون مع مؤسسة الأم باولا، هاتفيًّا بالمستشار جراندى الذى اتصل فى الحال برئيس الشرطة، فسرعانَ ما أرسل كلمة إلى من دونه فى الرتبة الوظيفية، إلى الضابط مدير الشرطة الذى حولها بدوره إلى الملازم الذى استدعى الأخير والأصغر رتبة ذلك الشرطى دلينكو.

تساءل مدير الشرطة: «ما سبب كل هذه المشاكل التى تحدث هناك؟»

لماذا يخص حفنة من الأولاد هذا الموقع بمثل هذا التخريب؟

أجاب الملازم: «هناك سببان؛ الملل أولاً، وثانيًا: ملاءمة المكان لهم. أراهنك بخمسة دولارات أنهم أحداث يعيشون فى منطقة مجاورة».

نظر رئيس الشرطة إلى الشرطى دلينكو وقال: «ما رأيك أنت؟».

Twitter: @alqareah

قال الشرطى دلينكو: «تبدو عملية التخريب أكثر دقة وتنظيمًا من أن نعزوها لبعض الصبية. فاقتلاع الأوتاد جميعها قد تمَّ، لا مرة واحدة، بل مرتين. إضافةً لما حدث اليوم. تُرى، كم هو عدد الأولاد الذين يمكنهم الإمساك بتمساح بطول أربعة أقدام ممن تعرفهم؟ فالعملية فيها مخاطرة كبيرة بالحياة إنها أهم من أن تكون مجرد مزاح من صبية».

فكر رئيس الشرطة فى نفسه. فالشرطى دلينكو ليس شارلوك هولز(*) ولكن هناك وجهة نظر فيما قاله؛ ولذا قال لرجل الدورية: «حسنًا إذن، فلنستمع إلى وجهة نظرك».

قال الشرطى دلينكو: «فى رأيى أن هناك من يقوم بتنفيذ هذا التخريب نكاية بالأم باولا. أظن أنه عمل من أعمال المنافسة».

ردد الرئيس وقد بدا متشككاً: «تقول منافسة؟».

قال رجل الدورية: «هذا صحيح، قد تكون شركة منافسة لبيت فطائر (البانكيك).

تحرك الملازم منزعجًا على كرسيه وقال: لا يوجد بيت آخر للفطائر فى (كوكنت كوف).

قال الشرطى دلينكو وهو يفرك ذقنه: «إذن، فقد يكون زبونًا لم تعجبه الخدمة! ربما قدم له أحد المستخدمين إفطارًا سيئًا فى مطعم الأم باولا!».

قال الملازم ضاحكًا: «كيف تطوع لأحدٍ نفسه أن يُفسد قطعة من حلوى (الفلاب جاك)؟»(**).

قال مدير الشرطة: «أنا أتفق معك». كان قد استمع لما فيه الكفاية من هذه القصة، واستدار نحو الملازم وقال: أيها الملازم، أريد منك أن تبعث بسيارة دورية لاستكشاف الموقع كل ساعة».

(*) شخصية سينمائية شهيرة كرجل شرطة يحل الألغاز المستعصية.

(**) باتر ميلك فلاب جاك حلوى أمريكية شهيرة تشبه الغريِّبة Butter milk flap-jacks

Twitter: @alqareah

- نعم يا سيدى.

- هكذا إما أن تمسك بهؤلاء المخربين وإما أنهم سيخافون ويبتعدون عن المكان. بالنسبة لى فالأمران سيان، مادام رئيس الشرطة لن يتلقى مزيدًا من المكالمات الهاتفية من المستشار (بروس جراندى). هل هذا واضح؟

وما إن غادروا مكتب الرئيس حتى سأل الشرطى دلينكو رئيسه الملازم إن كان بإمكانه الحضور فى الصباح الباكر للعمل على سيارة الدورية للإشراف على موقع عمل الأم باولا.

- «لا سبيل إلى ذلك يا ديفيد، فميزانية العمل الإضافى قد استنفدت».

قال رجل الدورية: «أوه! أنا لا أريد أى راتب إضافى». لقد كان كل ما يريده هو حل هذا اللغز الغامض.

الفصل الرابع

طلبت والدة روى منه البقاء فى البيت طوال عطلة نهاية الأسبوع. حتى تتأكد من عدم حدوث رد فعل متأخر لإصابته بكرة الجولف فى رأسه. وعلى الرغم من أنه لم يكن يشكو من وجع فى الرأس لم يتمكن من النوم بشكل مريح فى ليلتى السبت والأحد.

سألته والدته - وهما فى الطريق إلى المدرسة من صباح يوم الاثنين - عما يشغل باله، وأنكر روى وجود أى شىء، ولم يكن هذا صحيحًا، فهو يشعر فعلاً بالقلق مما سيحدث له حين يلتقى بـ (دانا ماثرسون).

ولكن لم يكن هناك أى أثر لدانا فى مدرسة تراس مدل. أخبر (جاريت) روى بأن دانا اتصل وأبلغَ أنه سيتغيب عن المدرسة لأسباب مرضية، وأخبره أنه حصل على هذه المعلومات السرية من أمه التى تعمل كمستشارة ومشرفة اجتماعية فى المدرسة.

قال جاريت: «ما الذى فعلته بهذا الولد المسكين؟ سمعتُ أن الدماء انتشرت فى كل مكان فى الحافلة».

- «هذا ليس صحيحًا».

- «سمعت أنك لكمته بقسوة. أطاحت الضربة بأنفه لتلصقه بجبينه. كما سمعتُ أنه يحتاج إلى عملية تجميل لإعادة أنفه إلى مكانه».

Twitter: @alqareah

أدار روى عينيه متهكمًا من المبالغة وقال: «نعم هذا صحيح».

أصدر جاريت نفثةً مفتعلةً من بين أسنانه وقال:

- «هيى.. اسمع..... المدرسة بأجمعها تتحدث عن الحادثة - إنهم يتحدثون عنك يا إيبرهاردت».

- رائع.

كانا يقفان فى الرواق بعد تجمع الحضور بانتظار جرس الحصة الأولى.

قال جاريت: «إنهم مقتنعون الآن بأنك صبى صعب المراس».

- من الذى يعتقد ذلك؟ ولماذا؟

لم يرغب روى فى أن يتصف بهذه الصفة. فهو على الأخص لا يريد أن يظنوا به شيئاً إطلاقًا. كان كل ما يريده هو أن يختلط بهم فى هدوء من غير أن يجذب انتباههم، كبعوضة على حافة نهر.

استرسل جاريت قائلاً: «إنهم يعتقدون أنك ولد قوى شرس. فما سبقَ لأحد أن ضرب أى فرد من عائلة ماثرسون».

على ما يبدو كان لدانا ثلاثة إخوة أكبر منه فى المدرسة، ولم تكن ذكرى أىٍّ منهم طيبة فى (تراس مدل).

- ما الذى ستكتبه فى رسالة اعتذارك؟ هل ستكتب: عزيزى دانا إننى آسف؛ لكونى لكمتك؟ أرجوك لا تكسر كل عظمة من عظام جسمى. اترك لى، على الأقل يدًا واحدة؛ حتى أستطيع أن أطعم نفسى».

قال روى بحدة: «مضحكٌ جدًّا حضرتك». وفى الواقع كان جاريت مرحًا بالفعل، خفيف الظل.

- «تُرى ماذا ستفعل هذه الغوريللا حينما تراك ثانية؟» ثم أضاف:

Twitter: @alqareah

«لو كنت مكانك لبدأت أفكر فى إجراء جراحة تجميلية أغير بها ملامحى؛ حتى لا يعرفنى دانا. إننى جاد يا رجل».

- «جاريت، أريد منك خدمة».

- «ماذا؟ مكاناً لتختبئ؟ حاول فى القطب الجنوبى».

قرع الجرس، وانطلق تيار من التلاميذ ليملأ الساحة، جذب روى (جاريت) إلى جانب وقال: «هناك فتاة طويلة بشعر أشقر مجعَّد، تلبس نظارة ذات إطار أحمر».

بدا جاريت مستاءً وقال: «لا تخبرنى!».

- «أخبرك بماذا؟».

- «أنك مغرم بـ (بياتريس ليب)؟».

- «هذا هو اسمها؟». تعجب روى؛ فقد مضى مائة عام منذ أن سمَّى أحدهم ابنته بهذا الاسم (بياتريس). لا عجب أنها بهذه القسوة والتشدد.

وسأل جاريت: «ما الذى تعرفه عنها؟».

«أعرف ما يكفى ليبعدنى عن طريقها كل البعد. فهى لاعبة بارزة فى فريق كرة القدم وذات شخصية مميزة وتصرفات منفرة. لا أستطيع أن أصدق أنك مغرم بها».

اعترض روى قائلاً: «أنا حتى لا أعرفها.. لقد تهجَّمت علىَّ لسبب غريب وشاذ، وأنا أحاول فقط أن أتصور سببًا لهجومها».

أصدر جاريت صوتًا كالأنين وقال: «بدأت بدانا، والآن الدبة بياتريس. يبدو أنك تتمنى الموت يا (تكس)».

- «احكِ لى عنها.. ما قصتها؟».

- «ليس الآن.. سنتأخر على الفصل».

وأصرَّ روى: «هيا.. هيا.. أخبرنى ما تعرفه عنها.. أرجوك».

Twitter: @alqareah

اقترب جاريت منه وهو يتفحص ما حوله بعصبية وقال له هامسًا: «اسمع. سأخبرك بكل ما تحتاج إلى معرفته عن بياتريس ليب. ففى السنة الماضية، قام أحد نجوم صف الدفاع فى لعبة كرة القدم من مدرسة جراهام الثانوية بالتسلل من خلفها وضربها مداعبًا، حدث هذا فى المركز التجارى المغلق الكبير، (بيج سايبرس مول) فى وضح النهار. طاردت الفتاة الولد، ثم أمسكت به ورمته فى مياه النافورة. مما تسبب فى كسر عظمة الترقوة فى ثلاث مناطق، فتغيب عن الدراسة لمدة فصل كامل».

قال روى: «هذا أمر لا يصدق».

- «لعلَّ من الأفضل لك أن تفكر فى الانتقال إلى المدرسة الكاثوليكية».

أطلق روى ضحكة غير ذات معنى وقال: «لن ينفع، فنحن نتبع المذهب الأرثوذكسى».

أجاب جاريت: «إذن، تحوَّل إلى المذهب الكاثوليكى. أنا جاد فيما أقول يا صاح».

تطلَّع الشرطى دلينكو للخروج فى الصباح الباكر لاستكشاف موقع البناء. فهذا تغيير مرحب به من جانبه، يبعده عن رتابة العمل المكتبى اليومى الذى لا يوفر له إلا فرصة ضئيلة للمراقبة وللعمل الحقيقى. فعادة ما تترك مثل هذه المهمات لرجال التحرى.

على الرغم من أنه يحب مدينة (كوكنت كوف)، فإنه أصبح يشعر بالملل من عمله اليومى الذى أصبح يدور معظمه حول تنظيم المرور. كان قد انضم إلى قوات الشرطة؛ لأنه يريد أن يكتشف الأعمال الإجرامية ويقبض على المجرمين. ولكنْ، (وباستثناء القبض فى فترات متباعدة على بعض سائقى السيارات المخمورين، لم تتح الفرصة بعد للشرطى دلينكو ليقبض على أحد المجرمين والزج به فى

Twitter: @alqareah

السجن. ظلت القيود (الكلبشات) المعلقة فى حزامه لامعة لم تُلمس منذ اليوم الأول الذى التحق فيه بالشرطة منذ حوالى سنتين.

تعتبر عمليات التخريب والاعتداء على ممتلكات الآخرين من الجرائم الكبيرة التى يجرمها القانون؛ ولذا شعر الشرطى دلينكو بالرغبة فى كشف لغز عمليات التخريب المستمرة على الموقع الجديد لبيت الأم باولا لفطائر (البانكيك) الأمريكية. كان لديه حدس بأن المعتدى أو المعتدين يخططون لأمر أكثر خطورة، وأنهم ليسوا مجرد صبية «أحداث».

فمنذ أن بدأ الضغط على رئيس الشرطة للعمل فى إيقاف هذه الحوادث، عرف الشرطى دلينكو أن القبض على المخربين سيمنحه بعضًا من التميز ومن الجائز أن يخطو خطوته الأولى لنيل ترقية. فأمنيته فى مستقبله العملى تتمثلُ فى أن يترقى ويصبح رجل تحرٍّ. وقضية الأم باولا فرصة ليثبت للرؤساء أن لديه المؤهلات المطلوبة.

فى أول يوم من أيام الاثنين، بعد حادثة التماسيح، ضبط الشرطى دلينكو المنبه على الساعة الخامسة صباحًا. نهض من سريره. وأخذ حمَّامًا سريعًا. حمَّص لنفسه فطيرة وتوجه نحو موقع البناء.

وحين وصل كان الظلام لايزال مخيمًا على المكان. دار حول الموقع ثلاث مرات ولم يجد شيئًا لافتًا للنظر، باستثناء شاحنة القمامة. كانت الطرقات خالية، وراديو الشرطة صامتًا. لا أمور كثيرة تحدث فى (كوكنت كوف) قبل الفجر ولا بعد الفجر، ومن أجل ذلك أوقف سيارة التحرى بالقرب من مقطورة رئيس العمال (لروى برانيت) وأخذ ينتظر شروق الشمس. كان الجو ينبئ بصباح جميل. بدت السماء صافية بشعاع وردى جهة الشرق. لم يكن الشرطى دلينكو معتادًا على الاستيقاظ مبكرًا، وتمنى لو أنه أحضر معه (ترموس) للقهوة. ضبط نفسه مرة وهو يغفو وراء عجلة القيادة؛ ولذا أخذ يربت على وجنتيه بخفة وسرعة

Twitter: @alqareah

ليظل مستيقظًا. وبينما كان يحدق فى غمام الصباح الباكر الرمادى ظنَّ الشرطى دلينكو أنه لمح حركة فى الحقل المفتوح أمامه.

أضاء الأنوار الأمامية لسيارة الدورية وهناك على بقعة مرتفعةٍ من العشب عُلِّمت بوتد معاينة، غُرز حديثًا، كان يقف زوجان من البوم من نوع الحفار. إذن فكيرلى لم يكن يمزح بخصوص البوم، وإنهما لتبدوان من أكثر أنواع البوم غرابة، وما وقع نظر الشرطى دلينكو على مثيلاتها من قبل أبدًا. كانتا بطول لا يزيد عن ثمانى أو تسع بوصات، بلون بنى غامق وأجنحة منقطة وعنق أبيض وعيون كبيرة الاتساع سوداء بلون العنبر.

لم يكن الشرطى دلينكو من المغرمين بالطيور، ولكنه كان مأخوذًا بالبومتين اللتين كانتا فى حجم لعب الأطفال.

ظلتا لبضع دقائق تحدقان فى السيارة. تطرف عيناهما الواسعتان بنظرة قلق وتردد ثم ما لبثتا أن طارتا محلقتين على ارتفاع منخفض فوق العشب.

أطفأ الشرطى دلينكو الأنوار الأمامية للسيارة آملاً ألا يكون قد سببَ الرعب للطائرين، اللذين طارا بعيدًا عن عشهما. حكَّ جفنيه المثقلين بالنعاس وأسند رأسه إلى زجاج النافذة. شعر ببرودة الزجاج على جلده. أزَّت (بعوضة) حول أنفه ولكنه كان غارقًا فى سباتٍ عميق لم يمكنه من إزاحتها.

سرعان ما تيقظ على صوت فرقعة صوت راديو المراسلة يسأله بشكل روتينى عن موقعه. بحث الشرطى بارتباك عن الميكرفون وردد ذكر عنوان موقع الإنشاء، ردت المراسلة من الجانب الآخر، عشرة، أربعة. ثم ختمت الإرسال.

أصلح الشرطى دلينكو من جلسته، ولكن - لغرابة الأمر - بدا المكان أشدَّ ظلامًا مما كان عليه عند الفجر حينما وصل إلى الموقع، فما أمكنه فى الواقع أن يرى أى شىء، ولا حتى مقطورة الإنشاء التى تقف بجانبه.

Twitter: @alqareah

شعر الشرطى دلينكو برهة بالرعب. هل من المعقول أنه أمضى يومه كله نائمًا وقد حلّ الآن الليل؟

بعدها سمع صوت ضربة خفيفة على جانب السيارة، ثم ضربة أخرى، وتلتها أخرى، ومن بعدها ضربات عنيفة متتالية، منتظمة وغير مرئية.

أمسك بمسدسه، ولكنه لم يستطع إخراجه من جرابه لأن حزام أمان السيارة عاق حركته.

وبينما كان يعافر ليفك حزام الأمان، انفتح باب السيارة.

وسُلط على وجهه نور متدفق من وهج أشعة الشمس الأبيض.

حجب عينيه ثم تذكر ما كان قد تعلمه فى أكاديمية الشرطة، وصرخ بأعلى صوته: «الشرطة.. الشرطة».

ـ «نعم؟ لا يمكنك أن تخدعنى». كان هذا كيرلى رئيس عمال المبانى العابث وأردف: «ماذا حصل لك؟ ألم تسمعنى وأنا أضرب على السيارة؟» حاول الشرطى دلينكو أن يلمّ شتات فكره، وقال: «أظن أننى غفوت.. هل حصل شىء؟».

تنهد كيرلى وقال: «اخرج من السيارة، وشاهد بنفسك» خرج رجل الدورية نحو نور النهار الباهر وعلّق: «أووووه!! كلا».

قال كيرلى: «أووووه. نعم».

فبينما كان الشرطى يغفو ملء جفنيه رشّ أحدهم زجاج نوافذ سيارة الشرطة كلها بطلاء أسود.

سأل الشرطى كيرلى: «كم الساعة الآن؟».

«التاسعة والنصف».

أطلق الشرطى صرخة يأس لا إرادية وقال: «التاسعة والنصف!». لمس بأصابعه

Twitter: @alqareah

زجاج السيارة. كان الطلاء جافًا. علّق قائلاً: «سيارتى!!» انحنى كيرلى إلى الأرض ولمَّ رزمة ملءَ اليد من أوتاد المعاينة المقتلعة. وهو يقول: «ومن يبالى بما جرى لسيارتكَ الرخيصة؟».

قضى روى طوال فترة الصباح وهو يشعر بانقباض فى معدته. لابد له أن يفعل شيئًا قاطعًا فهو لا يرغب فى تمضية العام الدراسى مختبئًا من دانا ماثرسون وبياتريس ليب. بإمكانه التصرف مع دانا فيما بعد، ولكن مشكلته مع الدبة بياتريس لا يمكنها الانتظار.

فى فترة الغداء لمحها من (الكافيتريا). كانت تجلس مع ثلاث بنات أخريات من فريق كرة القدم، كان يبدو عليهن الشراسة والحزم على الرغم من أنهن لم يصلن إلى لياقة وتمييز بياتريس.

أخذ نفسًا عميقًا، وسار ليجلس معهن على نفس الطاولة، حدَّقت به بياتريس وهى ترغى وتزبد غير مصدقة عينيها، بينما أخذت صديقاتها فى تسلية أنفسهن وهن يراقبنه مع استمرارهن فى تناول طعامهن. سألته بياتريس: «ما مشكلتك؟». كانت تمسك فى إحدى يديها شطيرة مليئة باللحم المشوى. ظلت الشطيرة معلقة فى الهواء ما بين الصينية وفمها الذى ارتسمت عليه ابتسامة تهكم واستهزاء.

ابتسم روى على الرغم من أنه كان عصبيًّا جدًّا وقال: «أظن أنك أنتِ التى تعانين مشكلة». بدا الإعجاب على محيا صديقات بياتريس فى فريق كرة القدم. أنزلن شوكاتهن من أيديهن وأخذن يرقبن ما الذى سيحدث بعد ذلك.

شقَّ روى طريقه إلى الأمام وبادرها قائلاً: «ليس لدى أى فكرة يا بياتريس عن سبب غضبك لما حدث فى الحافلة. فلستِ أنتِ من تمَّ خنقه. ولست أنتِ من تمَّ لكمه على الأنف. ولذا فأنا سأقول ما عندى لمرة واحدة فقط. إن كنتُ قد تصرفتُ بما أزعجك فأنا آسف، وما فعلته لم يكن متعمَّدًا».

Twitter: @alqareah

من الواضح أن بياتريس لم تُواجه قطُّ بهذا الأسلوب المنصف المباشر، لأنها بدت كمن أصابتها صدمة.

ظلت شطيرتها معلقة فى الهواء وصلصة لحم الشواء تنساب منها لتلوث أصابعها. سألها روى دون أن يبدو عليه أى انزعاج: «كم وزنك؟».

تأثأت بياتريس قائلة: «لماذا.. أف؟».

قال روى: «حسنًا. وزنى بالضبط أربعة وتسعون رطلاً. وأنا أراهن أن وزنك على الأقل مائة وخمسة...».

قهقهت إحدى صديقات بياتريس ضاحكة. فقذفتها بياتريس بنظرة تأنيب.

قال روى: «وهذا يعنى أن بإمكانك - على الأرجح - أن تُطيحى بى فى أرجاء (الكافيتريا) طوال اليوم، ولكن هذا لن يُثبت أى شىء. فى المرة القادمة إذا واجهتك أى مشكلة معى أخبرينى فقط ودعينا نجلس لنتحدث معًا مثل أى شخصين متحضرين، هل توافقيننى على هذا؟».

رددت بياتريس من ورائه: «متحضر». قالت هذا وهى ترمقه من خلف إطار نظارتها، تذبذبت عينا روى باتجاه يدها التى كان يسيل عليها دهن وصلصة الشواء، كان من الممكن رؤية خليط من اللحم والخبز والصلصة يُعتصر بين أصابعها المضمومة بشدة، اعتصرت الشطيرة بقوة فأصبحت متفككة.

مالت إحدى فتيات كرة القدم نحو روى، وقالت له: «أنصت إلىَّ يا صاحب اللسان الطويل، خيرٌ لك أن تبتعد من هنا بأسرع ما يمكن، فالجو لم يعد هنا هادئًا أبدًا».

وقف روى فى غاية الهدوء، وقال: «هل وضحت لك الأمور الآن يا بياتريس حول هذا الموضوع؟ إذا كان هناك ما يزعجك، فلتخبرينى إذن، فإننى أمامك».

Twitter: @alqareah

رمت الدبة بياتريس ما تبقى من شطيرتها على الصحن ومسحت يديها بفوطة ورقية، ولم تتلفظ بأية كلمة.

تعمد روى أن يبتسم من جديد وهو يقول: «مهما حصل فأنا سعيد بأننا انتهزنا هذه الفرصة لنتعرف على بعضنا البعض بشكل أفضل».

ثم سار إلى الناحية الأخرى من الكافيتريا وجلسَ بمفرده ليتناول طعامه.

تسلَّل «جاريت» نحو مكتب أمه ونقل العنوان من قائمة تسجيل الأسماء الرئيسية، وكلفت روى هذه المعلومة دولارًا.

ناول روى أمه قطعة الورق التى كتب عليها العنوان وهما فى طريق العودة إلى البيت فى السيارة وقال لها: أريد أن أتوقف عند هذا العنوان، نظرت السيدة إيبرهاردت إلى الورقة وقالت: «حسنًا يا روى إنه فى طريقنا، افترضت أن العنوان لصديق من أصدقائه وأنه ربما يريد أن يأخذ منه كتاب نصوص أو واجبًا منزليًّا محددًا».

وبينما كانا يركنان السيارة أمام مدخل البيت قال لها روى: «لن أستغرق أكثر من دقيقة، سأعود على الفور».

وكان من سوء حظه أن فتحت والدة دانا ماثرسون باب المنزل، وقد بدت شديدة الشبه بابنها.

سأل روى: «هل دانا بالمنزل؟».

ـ «من أنت؟».

ـ «إننا نركب الحافلة المدرسية معًا».

ابتسمت السيدة ماثرسون، واستدارت منادية اسم دانا. شعر روى بالراحة لأنها لم تدعه للدخول، وما لبث أن سمع صوت أقدام ثقيلة ودانا بذاته يملأ فراغ الباب، كان يلبس منامةً (بيجامة للنوم) زرقاء طويلة تناسبُ دبًّا قطبيًّا ضخمًا، وقد احتلت ضمادة كبيرة من الشاش السميك مثبتة بشريط لاصق أبيض ولامع،

Twitter: @alqareah

وسط وجهه الذى يشبه وجه الخنازير، كانت عيناه منتفختين على نحوٍ سيئ وقد أحاطت بهما كدمات بنفسجية.

وقف روى صامتًا، كان من الصعب أن يصدق أن لكمة واحدة يمكن أن تفعل كل هذا التشويه.

تمعن دانا وهو يخفض بصره لينظر نحو روى ثم قال بصوت أخنف مكتوم: «لا أستطيع أن أصدق هذا!».

ـ «لا تقلق، جئت فقط لأعطيك شيئًا»، ثم ناوله روى الظرف الذى يحتوى على رسالة الاعتذار.

سأل دانا متشككًا: «ما هذا؟».

ـ «افتحه، وستعرف».

ظهرت والدة دانا من ورائه وسألت: «من هذا الولد؟ وماذا يريد؟».

همهم دانا: «ليس مهمًا».

انطلق روى قائلاً بصوت عالٍ: «أنا الولد الذى حاول ابنك أن يخنقه فى ذلك اليوم، أنا الولد الذى كالَ اللكمة له».

تصلَّبَ كتفا دانا، وأجابت أمه باستهزاء: «لابد أنك تمزح»! والتفتت نحو ابنها قائلة: «هل يمكن أن يكون هذا الضعيف الصغير هو من شوَّه وجهك؟».

– «إنما جئت لأعتذر. كل ما أود قوله مذكور فى الرسالة».

قال هذا وهو يشير إلى الظرف الذى أمسك به دانا فى يده اليمنى. مدَّت السيدة ماثرسون يدها فوق كتفى ابنها وقالت: «دعنى أرَى» ولكنه تراجع مبتعدًا عنها وغضَّن الظرف بين قبضته.

صرخ فى وجه روى: «اغرب عن وجهى يا راعية البقر، أنا وأنت سنسوى أمورنا معًا حين أعود إلى المدرسة».

Twitter: @alqareah

وحين عاد روى إلى السيارة سألته أمه: «لماذا يتشاجر هذان الشخصان على المدخل؟».

- «الشخص الذى يرتدى البيجامة هو الولد الذى حاول خنقى فى الحافلة، والشخص الثانى أمه، وهما يتشاجران حول رسالة الاعتذار التى كتبتها».

- «أووه». راقبت السيدة إيبرهاردت المشهد الغريب من خلال زجاج سيارتها وهى تشعر بالقلق، ثم قالت: «أرجو أن لا يؤذيا بعضهما البعض، فكلاهما محتَدُّ الصوت ضخم الجسد، أليس كذلك؟».

- «بلى. هذا صحيح. هل يمكننا العودة الآن إلى البيت يا أمى؟»

الفصل الخامس

أنهى روى واجبه المدرسى فى خلال ساعة، وحين خرج من غرفته، سَمعَ والدته تتحدث مع والده عبر الهاتف، كانت تبلغه أن تراس مدل قررت ألا تعاقب دانا ماثرسون بسبب إصابته، يبدو أن المدرسة لا تريد إثارة أهل دانا، حتى لا يفكروا برفع قضية ضد روى.

وحين بدأت السيدة إيبرهاردت فى إخبار السيد إيبرهاردت عن الصراع المتهور الذى احتدم بين دانا وأمه، تسلل روى من الباب الخلفى للمنزل وأخرج دراجته من المرآب ثم ركبها وانطلق. بعد عشرين دقيقة وصل إلى موقف الحافلة التى تستقلها بياتريس ليب للذهاب إلى المدرسة، ومن هناك استطاع بسهولة أن يتتبع خطى تلك المطاردة المشئومة التى قام بها على رجليه فى يوم الجمعة الماضى.

حين وصل روى إلى ملعب الجولف، ربط دراجته إلى أنابيب مياه النافورة وأحكم وضع قفل الأمان لقفلها. وبدأ فى الجرى على نفس الطريق الجميل الذى وجد نفسه مطروحًا عليه فى المرة السابقة. كان الجو ساخنًا وخانقًا ومشبعًا بالرطوبة فى هذه الساعة المتأخرة من بعد الظهر، ولم يكن هناك سوى القليلين من لاعبى الجولف، وعلى الرغم من ذلك فقد واصل الركض خافضًا رأسه، ورافعًا يده إلى أعلى لحماية نفسه من أى كرة طائشة قد تضل طريقها وتطير فى اتجاهه، وأبطأ من سرعته فقط حين وصل إلى موقع أشجار الصنوبر الأسترالى التى اختفى الولد الهارب من خلالها.

Twitter: @alqareah

انتهت أشجار الصنوبر وتلتها أشجار الفلفل البرازيلية التى كانت أكثر كثافة وتشابكًا وبدا أنَّ من المستحيل اختراقها، أبعد روى الأغصان باحثًا عن أى أثرٍ أو علامة لإنسان، لم يكن لديه كثير من الوقت قبل أن يحل الظلام، وسرعان ما تخلى عن محاولة البحث عن مكان لينفذ منه، فأخذ يوسِّع طريقه بكتفيه من بين أشجار الفلفل التى جرَّحت ذراعيه وخدشت وجنتيه، وأقفل عينيه واندفع نحو الداخل.

أصبحت أغصان الشجر أرفع تدريجيًّا، وبدأت الأرض من تحت قدميه تميد وتنزلق، ففقد توازنه ومضى ينزلق إلى أسفل الخندق الذى بدا كالنفق من خلال كثافة الأشجار.

وهناك تحت الظلال كان الجو باردًا ورطبًا، لمح روى مجموعة من الصخور المتفحمة تحيط بطبقة من الرماد، آثار نار مخيم، فركع بجوار الحفرة الصغيرة وأخذ يتفحص المخلفات التى تجمعت حولها، استطاع أن يعد نصف دستة من بصمات الآثار المتشابهة لذات القدمين الحافيتين.

وضع روى حذاءه بالقرب من إحدى هذه البصمات، ولم يشعر بالدهشة حينما رأى أنها بنفس مقاس حذائه.

وفى نزوة نادى: «(هالو) أنت يا من هنا»؟

ولم يتلق أى جواب.

وببطء، شقَّ روى طريقه خلال الخندق باحثًا عن مزيد من الدلائل، ووجد ثلاثة أكياس قمامة بلاستيكية، مخبأة تحت حصيرة من أوراق العنب، كل واحد منها مقفول ومعقود عند فوهته. وجد داخل الكيس الأول القمامة العادية اليومية من عبوات فارغة لزجاجات الصودا، عبوات حساء فارغة، أغلفة شرائح البطاطس المقلية (الشيبسى)، بذور تفاح، احتوى الكيس الثانى مجموعة من ثياب الأولاد رُصت بعناية من سترات (تى شيرت) وسروالاً من (الجينز) وثيابًا داخلية، ولكن

لم يكن هناك أى جورب أو حذاء، على نقيض الأكياس الأخرى. لم يكن الكيس الثالث ممتلئًا. فكَّ روى العقدة ونظر إلى الداخل ولكنه لم يستطع أن يرى ما بداخله، مهما كان الذى بداخله فهو يبدو مكدسًا من غير نظام.

ومن غير أن يفكر قلب الكيس وأفرغ ما بداخله إلى الأرض. كومة من الربطات البنية سقطت منه.

ثم بدأت الربطات بالتحرك.

قال روى: «أووه». إنها ثعابين، وليست أى نوع من الثعابين (المعروفة).

كانت ذات رءوس عريضة ومثلثة الشكل، مثل أفاعى الأحراش ذات الأجراس التى كان يجدها فى الماضى حين كان فى مونتانا. ولكن بلون ملطخ مقرف وبامتلاء خطير يُنذر بالسوء، تعرَّف روى عليها، إنها ثعابين من النوع المسمى «كوتون ماوث موكاسان»، وهى سامة جدًّا، لم تكن تصدر جلجلة وفحيحًا لتُنذر مقدمًا قبل أن تهاجم وتنفذ إلى جسم الضحية. ولكن لاحظ روى أن نهايات ذيولها القصيرة والعريضة مغموسة فى طلاء لامع براق باللون الأزرق والفضى، من النوع الذى يُستعمل فى الأعمال الفنية، كانت من أكثر اللمسات الفنية غرابة.

صارع روى ليبقى ساكنًا بدون أى حراك بينما تفكك الزواحف الممتلئة نفسها حول قدميه، استمع روى إلى صوت ألسنتها وهى تضرب ضربات سريعة وخاطفة، كان بعض من ثعابين «الموكاسان» يتمدد مستعرضًا كامل طوله، بينما التف البعض الآخر حول نفسه فى بلادة، عدَّها روى ووجد أنها تسعة ثعابين.

كاد يقفز متخليًا عن حذائه الرياضى حين سمع من ورائه صوتًا منبعثًا من بين الأشجار الكثيفة يأمره:

«لا تتحرك!».

قال روى: «لم أكن مخططًا للقيام بأى حركة. وأنا صادق فيما أقول».

حين كان يقيم فى «مونتانا» ذهب روى مرة فى رحلة طويلة للسير لمسافات

Twitter: @alqareah

طويلة ولتسلق الجبال فى منطقة جبلية تشتهر بأشجار الصنوبر تدعى «أحراش كريك تريل للصنوبر» كانت تطل على منطقة تدعى وادى الجنة «بارادايز فاليه» وعلى نهر الحجارة الصفراء «يلوستون ريفر».

كانت رحلة مدرسية كشفية لزيارة البرارى (الغابات) بصحبة أربعة مدرسين وحوالى ثلاثين تلميذًا، سار روى، عن عمد، فى مؤخرة الصفوف، وحين لاحظ أن الآخرين لا ينظرون إليه تراجع مبتعدًا عن المجموعة، تخلّى عن الممر المطروق والمتعارف عليه، وتراجع إلى الوراء بزاوية وتقدم ليسير إلى جانب قمة الجبل المشجر المليء بالأحراش. كانت خطته أن يعبر من فوق قمة الجبل متسللاً بهدوء نحو الوادى متقدمًا عن أعضاء فريق المدرسة الذين ساروا عن طريق الوادى. ظنّ أنه سيكون أمرًا مسليًا إذا ما وصلوا بعده إلى المخيم ووجدوه هناك يأخذ غفوة.

أسرع روى فى سيره شاقًا طريقه خلال غابة من أشجار الصنوبر الشاهقة الطول كما لو أنها تؤجر لنفسها مكانًا فى القطب، كان المنحدر مكسوًا بقطع من الأشجار الميتة، والأغصان المحطمة، أنقاضٌ خلّفها النهر الجليدى بعد عدة فصول شتاء باردة مثلجة وعاصفة، خطا روى بحذر شديد متحاشيًا إصدار أى ضجة، فهو لا يريد أن يسمعه زملاؤه من المشاة هناك فى أسفل الوادى وهو يتسلق الجبل.

وكما تبين له بعد ذلك، يبدو أنه كان هادئًا أكثر من اللازم، فقد وجد نفسه سائرًا فى خلاء وهو يواجه دبة ضخمة بلون رمادى مخطط مع صغيريها، كان من المتعذر القول أى منهم أكثر رعبًا من الآخر.

ود روى دائمًا لو يشاهد دبًا رماديًا مخططًا فى الغابة على الطبيعة ولكن أصدقاءه فى المدرسة أحبطوا أمله قائلين له أن عليه الاكتفاء بالحلم، وأضافوا: ربما سيلتقى بواحدة فى غابة الحجارة الصفراء (يلوستون)، ولكن ليس فى هذه المنطقة، فمعظم البالغين يمضون حياتهم كلها فى الغرب دون أن تسنح لهم الفرصة وتقع أعينهم على واحد من هذه الدببة الرمادية.

Twitter: @alqareah

ولكن ها هو ذا روى، وعلى بعد مائة قدم فقط داخل الغابة يقف أمامه ثلاثة دببة حقيقية تزمجر وتزفر وترفع قوائمها الخلفية لتصبح فى مجال رؤيتها.

تذكر روى أن أمه كانت قد وضعت فى حقيبة الظهر علبة لرش رذاذ الفلفل الحراق، ولكنه تذكر أيضًا ما قرأه حول الطريقة الصحيحة لمواجهة الدببة فى حال لقاء غير متوقع، فهذه الحيوانات ضعيفة الرؤية، وأفضل ما يفعله الإنسان لاتقاء شرها هو الوقوف ساكنًا وصامتًا فى مكانه بدون حركة أو صوت.

وهذا ما فعله روى، فالدبة «الأنثى» نظرت نحوه شذرًا وزأرت وتشممت رائحته التى كانت تصلها عبر الهواء. ثم عطست عطسة آمرة بصوت هادر، فقام الصغيران طائعين بالاتجاه نحو الغابة.

ابتلع روى ريقه بصعوبة، ولكنه لم يتحرك.

انتصبت الدبة الأم بكامل طولها مكشرة عن أنيابها الصفراء، وتظاهرت بالاندفاع إلى الأمام نحوه.

أما روى، فكان ينتفض من داخله رعبًا، إلا أنه حافظ على هدوئه وثباته دون حركة فى الظاهر. تفحصته الدبة بدقة، ودله تبدل تعبيراتها على أنها قررت ألا تسبب له أى تهديد؛ لضعفه وتفاهته، وبعد بضع دقائق عصيبة نزلت على قوائمها الأربعة وبعد زمجرة تحدٍّ نهائية تحركت بتثاقل وعادت أدراجها لتلتقى بصغارها فى الغابة.

ظل روى على حاله ساكنًا لا يحرك عضلة.

لم يكن على علم إلى أى مدى ابتعدت الدببة، أو إن كان هناك احتمال لعودتها إلى مطاردته. ظل على هذه الحال لمدة ساعتين واثنتين وعشرين دقيقة متحجرًا فى مكانه كتمثال من الجص «الصلصال» على هذا الجانب من الجبل، إلى أن وجده أحد أساتذته، وعاد به بأمان، لينضم إلى بقية المجموعة.

Twitter: @alqareah

إذن فروى يُتقن تمامًا الثبات والتوقف عن الحركة، خاصة فى حالات الخوف الشديد، والآن فإن هناك كثيرًا مما يستدعى الرعب الشديد، مع وجود تسعة ثعابين تحوم وتزحف حول قدميه.

نصحه الصوت الصادر فى خلفه: «خذ نفسًا عميقًا».

قال روى: «أنا أحاول».

«حسنًا. والآن تراجع إلى الوراء ببطء شديد، حينما تسمعنى أعد وأصل إلى رقم ثلاثة».

«أوه.. لا أظننى سأتمكن من فعل ذلك».

«واحد ...».

«والآن انتظر لثانية».

«اثنان».

ترجاه روى: «أرجوك».

«ثلاثة».

«لا أستطيع».

قال الصوت مرة ثانية: «ثلاثة».

شعر روى برجليه وكأنهما من المطاط وهو يتراجع إلى الوراء مترنحًا.

أمسكت يد بقميصه وقذفت به نحو أشجار الفلفل الكثيفة، وحين استقرت مؤخرته فوق الطين أحس بغمامة «تُغطى» وجهه. وبذراعيه تسحبان وراء ظهره. وقبل أن يتمكن من القيام بأى رد فعل التف حبل وعُقد مرتين حول معصميه وأُحكم ربطه إلى جذع شجرة، استطاع روى أن يشعر بلحاء قشر الشجرة اللزج «الصمغى» حين لمس أصابعه.

تساءل: «ما هذا الذى تفعله؟».

Twitter: @alqareah

سمع الصوت وقد تحوَّل وجاء من أمامه يسأله: «أنت أخبرنى، من أنتَ؟ ولماذا جئت إلى هنا؟».

«اسمى روى إيبرهاردت، شاهدتك وأنت تجرى إلى جانب حافلة المدرسة فى ذلك اليوم».

«لا عِلْمَ لى عما تتحدث».

«فى الواقع شاهدتك مرتين، شاهدتك وأنت تجرى، وهذا ما أثار فضولى، كنت تبدو لى غريب الشكل».

«لست ذلك الولد».

«بل هو أنت».

كان مدرب «صائد» الثعابين يفتعل صوتًا مبحوحًا زائفًا ــ صوت ولدٍ يحاول أن يقلد صوت الرجال.

قال روى: «أنا صادق فيما أقول، لم أحضر إلى هنا لإزعاجك. ارفع عن عينى هذه الغمامة حتى نتمكن من رؤية بعضنا البعض». كان باستطاعته سماع صوت تنفس الولد الذى أجابه بحدة وسوقية: «اغرب عن وجهى فى الحال».

«ولكن ماذا عن الثعابين؟».

«إنها لى».

«نعم. ولكن».

«لن تذهب بعيدًا، سأمسك بها ثانية بعد ذلك».

قال روى: «لم يكن هذا ما عنيته».

ضحك الولد وقال: «لا تقلق. سأقودك لتخرج من الطريق الخلفى. افعل فقط ما أُمليه عليك؛ ولن تتعرض للدغ الثعابين».

تمتم روى: يا له من ولد غريب!

Twitter: @alqareah

فكَّ الولد قيده عن شجرة الفلفل البرازيلى، وساعده على النهوض على قدميه وهو يقول: «علىَّ أن أعترف أنك تصرفت بشكل جيد، فمعظم الأولاد كانوا سيبولون فى ثيابهم الداخلية».

سأله روى: «هل هذه الثعابين من فصيلة الصلال «الأفاعى الأمريكية السامة»؟».

بدا السرور واضحًا على الولد لأن روى تعرَّف على هذا النوع من الثعابين وأكد: «نعم».

«فى المنطقة التى كنت أقيم فيها، كان هناك الكثير من الزواحف». تطوَّع روى بالحديث، كان يظن أنه لو بادر الصبى بالحوار بشكل ودى سيلين ويُغير رأيه وينزع الغمامة عن وجهه. «ولكننى لم أسمع قط عن ثعبان الصِّل ذى الذنب اللامع».

«إنها ذاهبة إلى حفل، والآن ابدأ بالسير». قبض الولد على روى من الوراء قبضة عنيفة وساقه إلى الأمام وهو يقول: «سأُخبرك متى تتجنب الأغصان وتبتعد عنها».

كانت الغمامة إما سوداء وإما كحلية اللون، لم يكن بإمكان روى أن يقتفى أى أثر لشعاع من الضوء من خلال النسيج السميك.

ومغمًّى. أخذ يرتطم ويترنح من خلال الأشجار الكثيفة، ولكن الولد الحافى حال دون وقوعه أو اصطدامه. عرف روى أنهما أصبحا خارج منطقة الأشجار حين أصبح الجو أكثر حرارة. واستوت الأرض تحت قدميه. استطاع أن يشم رائحة المواد العضوية المخصبة للزرع على ملاعب الجولف. ولم يلبثا أن توقفا عن السير ثم راح الولد يفك العقدة عن رسغى روى ويقول له: «لا تلتفت وراءك».

سأله روى: «ما اسمك؟».

ـ : «ليس لى اسم، لم يعد لى اسم».

ـ : «لابد أن لك اسمًا، كل إنسان له اسم».

Twitter: @alqareah

ضحك الولد وقال: «بعض الناس أطلقوا علىَّ لقب: أصابع المولية[*] كما لُقبت بأسماء أسوأ من هذا».

«أنت لا تقيم هنا بالخلاء فى الواقع. أليس كذلك؟».

«هذا أمر لا يعنيك، وماذا لو أننى كنت أعيش هنا بالفعل؟».

سأله روى: «بمفردك؟ أين هى عائلتك؟».

دفعه الولد برقة على عنقه من الخلف وقال: «أنت توجِّه الكثير من الأسئلة المزعجة».

«أنا آسف».

لاحظ روى أن يديه تحررتا، ولكنه استمر فى وضعهما خلف ظهره.

أصدر إليه الولد التعليمات: «لا تلتفت وراءك حتى تستكمل العد إلى الخمسين وإلاَّ ستصحو يومًا فى الصباح لتجد ثعبانًا كبيرًا من هذه الصِّلال معك فى السرير. هل تفهمنى؟».

أومأ روى برأسه.

«حسنًا والآن ابدأ فى العد».

ردد روى بصوت عالٍ: «واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة...».

وحين وصل إلى رقم خمسين رفع الغمامة عن رأسه وتلفت حوله.

كان بمفرده وسط مجال المرمى محاطاً بعدد كبير من كرات الجولف. واختفى الولد الحافى الهارب من جديد.

ركض روى طوال المسافة عائدًا إلى دراجته، أخذها وقاد بأقصى سرعة ممكنة نحو منزله. لم يكن خائفًا، أو مثبط الهمة. بل كان أكثر شعورًا بالإثارة من أى وقت مضى.

(*) نوع من السمك الصغير يشبه سمك البساريا.

Twitter: @alqareah

الفصل السادس

فى اليوم التالى، تساءل روى وهم يتناولون إفطارهم. هل يعتبر عدم ذهاب ولد فى سِنّه إلى المدرسة خرقًا للقانون؟

أجابت والدته: «حسنًا. أنا لست متيقنة إن كانت هناك صفة قانونية تجرِّم هذا بالفعل، ولكن...».

قاطعها والده: «أوه. نعم. بل توجد، ويسمى تسكعًا وتسيبًا أو تغيبًا عن الدراسة».

سأل روى: «وهل يمكن أن يُزجَّ بالولد إلى السجن لهذه التهمة؟»

قال السيد إيبرهاردت: «عادةً. يكتفون بإعادتك ثانية إلى المدرسة».

ثم أضاف مازحًا: «هل تفكر فى عدم الذهاب إلى المدرسة؟».

قالت السيدة إيبرهاردت: أراهنك أننى أعلم السبب، فأنت قلق من التصادم ثانية مع هذا الولد ماثرسون أرأيت؟ ألم أقل لك إن رسالة الاعتذار كانت مستفزة أكثر مما يجب؟».

قال الوالد وهو يفتح الصحيفة: «لقد كانت الرسالة جيدة كما ينبغى».

«لو أنها كانت جيدة، إذن، فلماذا يشعر روى بالخوف؟ ولمَ يتحدث عن الامتناع عن الذهاب إلى المدرسة؟».

Twitter: @alqareah

أجاب روى: «أنا لست خائفًا، ولا أنوى الامتناع عن الذهاب إلى تراس مدل. إنه فقط».

أمعنت والدته النظر إليه وتساءلت: «ماذا»؟

- «لا شيء يا أمى».

قرر روى ألا يخبر أهله عن لقائه مع «أصابع المولية»، الولد الهارب، فإنَّ عمل والده فى وزارة العدل يحتم عليه أن يقدم التقارير عن أى جريمة، حتى عن التسكع والغياب عن المدرسة.

لم يشأ روى أن يسبب مشكلة للولد:

قال السيد إيبرهاردت: «استمعا إلى هذا، وبدأ يقرأ بصوت عالٍ من الصحيفة: تعرض رجل دورية من رجال شرطة كوكنت كوف لعملية تخريب فى سيارة الدورية فى ساعة مبكرة من صباح يوم الاثنين، فبينما كان الشرطى يوقف سيارته بموقع بناء شرقى شارع أوريول غفا داخل سيارته. هذا نقلاً عن متحدث مسئول فى مركز البوليس. هل يمكنكما تصديق هذا؟».

علقت أم روى: «نام فى أثناء تأدية العمل؟ هذا شيء مخزٍ، عليهم أن يطردوا هذا الشاب».

ودارَ بخاطر روى أنَّ الخبر كان مسليًّا فعلاً.

قال الأب: «القصة تزداد إثارة. اسمعا». تمت الحادثة قبل شروق الشمس بقليل، حين تسلل شخص محب للمزاح مجهول الهوية نحو سيارة الدورية من نوع 2001 كراون فيكتوريا ورش زجاج السيارة بطلاء رش أسود.

كان فم روى ممتلئًا بعصيدة اللبن بالزبيب، حين انفجر ضاحكًا فانتثر اللبن على ذقنه.

Twitter: @alqareah

كان السيد إيبرهاردت يبتسم أيضًا وهو يواصل القراءة:

«رفض رئيس شرطة كوكنت كوف ميرل دياكن الإفصاح عن اسم الشرطى الذى استغرق فى النوم قائلاً بأنه واحد من فريق تحرٍّ خاص عُيِّن للكشف عن جرائم التعدى وانتهاك الممتلكات الخاصة فى الجانب الشرقى من المدينة. قال دياكن: إن الشرطى كان مريضًا. من وقت قريب كان يعانى من البرد، وأُعطى علاجًا تسبب فى شعوره بالنعاس»..

رفع والد روى عينيه عن الموضوع وقال هازئًا: «أدوية... ها!!» وسألت السيدة إيبرهاردت: «وماذا تقول القصة أيضًا؟».

«دعونا نرى... فالخبر يقول إن هذه هى ثالث عملية اعتداء مثيرة للشك فى غضون أسبوع واحد على هذا الموقع الذى سيُبنى عليه البيت الجديد للأم باولا لفطائر البانكيك الأمريكية فى هذه المنطقة».

أشرق وجه والدة روى وعلَّقت: «سيُفتتح فرع جديد لسلسلة مطاعم الأم باولا هنا فى كوكنت كوف. هذا شىء جميل».

مسح روى ذقنه بالمنشفة وقال: «ما الذى حدث أيضًا هناك يا أبى؟».

قال السيد إيبرهاردت: «هذا ما كنت أتساءل عنه أنا أيضًا».

استخلص السيد إيبرهاردت بقية الموضوع وقال: سأقرأ من هنا «قام معتدون مجهولو الهوية بانتزاع أوتاد المعاينة عن أرض الملكية، بعدها بأربعة أيام قام المخربون بدخول الموقع ووضع تماسيح حية فى ثلاثٍ من دورات المياه المتنقلة المحمولة، هذا نقلاً عن أقوال قسم الشرطة، التُقطت الزواحف من غير أن تصاب بأى أذى وأُطلقت فى قناة قريبة من المنطقة.. ولم يتمكنوا من القبض على المعتدين بعد».

Twitter: @alqareah

نهضت السيدة إيبرهاردت وبدأت فى تنظيف أطباق الإفطار وهى تقول: «تماسيح!! يا إلهى. ما الذى سيحدث بعد ذلك؟».

طوى السيد إيبرهاردت الصحيفة ووضعها على الرف فى المطبخ وقال: «فى نهاية الأمر، ها نحن نكتشف أن هذه البلدة الصغيرة لا تعدم الكثير من التسلية، أليس كذلك يا روى؟».

التقط روى الصحيفة ليقرأ بنفسه: «شرق أوريول» يبدو الاسم مألوفًا له، وبينما كان يقرأ القصة تذكَّر أين شاهد العلامة الدالة على هذا الشارع، إنه موقف الحافلة الذى تركب منه «بياتريس لوب»، المكان الذى لمح فيه لأول مرة الولد الهارب، كان غرب شارع أوريول على الجانب الآخر من الطريق العام «الطريق العلوى».

علَّق روى: «ألم يذكر الخبر حجم هذه التماسيح؟».

ضحك والده وقال: «لا أظن أن هذا مهمٌّ. إن العبرة فى الفكرة».

قال ضابط الشرطة: «قرأت تقريرك يا ديفيد، هل هناك شىء جديد تريد إضافته؟».

هز الشرطى دلينكو رأسه بالنفى، كانت يداه مضمومتين ومثنيتين فى حجره، فماذا بوسعه أن يقول؟

تكلم رئيسه الملازم نيابة عنه وقال: «ديفيد يعلم خطورة هذه المهمة».

قال مدير الشرطة: «الكلمة الصحيحة هى أنه يشعر بالإحراج». وأردف: «تبادلت مع الرئيس بعضًا من الرسائل الإلكترونية والرسائل الهاتفية. ما حدث لم يكن لطيفًا، هل قرأت الخبر فى الصحيفة؟».

Twitter: @alqareah

أومأ الشرطى دلينكو برأسه، وكان قد قرأ الموضوع وأعاد قراءته مرات عديدة، وفى كل مرة كان تقلص معدته يزداد حدة.

قال المدير: «لعلك لاحظتَ أنهم لم يأتوا على ذكر اسمك؛ هذا لأننا رفضنا الإفصاح عنه للإعلام».

قال الشرطى دلينكو: «نعم. شكرًا لك. وأنا أشعر بالأسف الشديد لما تسببت به من إحراج».

«لقد قرأت توضيح الرئيس دياكون لما حدث، وأفترض أنك تشعر بالراحة لهذا التبرير».

«للأمانة والصدق يا سيدى، لم أكن مصابًا بالبرد، ولم أتناول البارحة أى دواء...».

قاطعه الملازم قائلاً: «يا ديفيد إذا قال الرئيس أنك تناولت أدوية لعلاج البرد، فمعنى هذا أنك قد تناولتها بالتأكيد. وإذا قال الرئيس إن هذا هو سبب استسلامك للنعاس فى سيارة الدورية فهو ما حدث بالضبط. هل فهمت؟».

- «أوه. نعم يا سيدى».

أمسك المدير قطعة من الورق الأصفر وقال: «هذه فاتورة حساب من عميل شركة فورد للسيارات بأربعمائة وعشرة دولارات عن خدمتهم لتنظيف الطلاء الأسود المرشوش على نوافذ سيارتك. هذه هى الأخبار السارة، استغرقت منهم هذه العملية اليوم بطوله، ولكنهم فى النهاية أتموا العمل».

كان الشرطى دلينكو واثقًا أن مدير الشرطة سيسلمه فاتورة تصليح السيارة، ولكنه لم يفعل، وبدلاً من ذلك وضَعها داخل الملف الشخصى لرجل الدورية والذى كان مفتوحًا على مكتبه.

Twitter: @alqareah

- «أيها الشرطى. لا أعلم حقًا ماذا أفعل بك؟ فعلاً لا أعرف». بدا فى نغمة صوته إحساس أبوى بخيبة الأمل.

- «أشعر بالأسف الشديد، وأعدك بأن هذا لن يتكرر ثانية يا سيدى».

قال الملازم: «سيدى الضابط، أود أن أخبرك بأن الشرطى دلينكو تطوَّع من نفسه للقيام بمراقبة موقع البناء، وخرج مبكرًا فى الصباح بدون أجرٍ مدفوع خارج وقت العمل».

- «خارج وقت العمل؟» ضم الضابط ذراعيه وقال: «حسنًا. هذا أمر جدير بالثناء يا ديفيد. هل يمكننى أن أسألك لماذا؟».

قال الشرطى دلينكو: «لأننى أردت القبض على المخربين، فأنا أعلم أنه أمر على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لك وللرئيس».

- «هل هذا هو السبب الوحيد، ألا يوجد لديك فائدة خاصة تجنيها من هذه القضية؟».

فكر الشرطى دلينكو فيما بينه وبين نفسه، فقد أصبح لديه الآن اهتمام خاص بعد أن جعلوا منه أضحوكة. وقال: «لا يا سيدى».

وجه المدير اهتمامه نحو الملازم وقال: «علينا أن نفرض عقابًا ما، شئنا أم أبينا. لقد عانى الرئيس كثيرًا بسبب هذا الإهمال».

قال الملازم: «أنا أتفق معك فى الرأى».

سقط قلب الشرطى دلينكو، فأى عمل تأديبى سيصبح بشكل آلى جزءًا من ملفه الدائم، ولربما أصبحت عثرة تقف فى طريق ترقيته فى المستقبل.

عرض الشرطى دلينكو قائلاً: «سأدفع هذه الفاتورة من حسابى» إن أربعمائة

Twitter: @alqareah

وعشرة دولارات مبلغ لا يستهان به ليُخصم من الشيك المدفوع من راتبه، ولكن المحافظة على نظافة سجله تساوى كل بنس يُدفع.

قال الضابط: «ليس من الضرورى تغريم الشرطى بدفع الفاتورة، فلن يرضى هذا رئيس الشرطة بأى حال».

ثم قال: «سنلزمك بالقيام بالأعمال المكتبية لمدة شهر».

قال الملازم: «سيتمكن ديفيد من التعايش مع هذا الأمر».

تساءل الشرطى دلينكو: «ولكن من الذى سيقوم بمراقبة موقع الأم باولا؟»

- «لا تقلق سنغطّى هذا الأمر، سنسحب واحدًا من الذين يعملون فى وردية منتصف الليل».

- «أمرك يا سيدى». شعر الشرطى دلينكو بالإحباط لفكرة انغرازه وراء المكتب، لا عمل له طوال شهر كامل سوى الإحساس بالملل، ومع هذا فالملل أفضل من الطرد، فأسوأ من الجلوس فى قسم الشرطة الجلوس فى البيت».

نهض الكابتن واقفًا، مما يعنى أن الاجتماع قد انتهى. وقال: «يا ديفيد. لو بدر منك أى شىء من هذا القبيل ثانية...».

- «لن يحدث. وأنا أعدك بهذا».

- «فى المرة القادمة ستجد اسمك بكل تأكيد فى الصحيفة».

- «نعم يا سيدى».

- «تحت عنوان يقول: «انتهى عمل الشرطى. هل هذا واضح؟».

تنحنح دلينكو وقال: «فهمت يا سيدى». قالها بمنتهى الهدوء، وتساءل فيما بينه وبين نفسه: هل يعلم الأولاد الذين قاموا برش سيارته «الكراون فيكتوريا» بمدى الهوان والإهانة اللذين عاناهما بسببهم؟ فمستقبله المهنى معرض

Twitter: @alqareah

للضياع. وفكّر ساخطاً: كل هذا بسبب حفنة من الأولاد الأرذال الخبثاء من الأحداث المخربين.

أصبح أكثر من أى وقت مضى مصرًا على القبض عليهم، وهم متلبسون بالجريمة. فى الممشى، خارج مكتب المدير قال له الملازم: «يمكنك استلام سيارتك من ورشة تصليح السيارات، ولكن تذكر يا ديفيد، فأنت موقوف عن العمل كرجل دورية، مما يعنى أنه مسموح لك بقيادة السيارة من وإلى البيت فقط».

قال الشرطى دلينكو: «من البيت وإلى المكتب وبالعكس».

كان قد بدأ يفكر بالفعل فى طريق يقطعه مباشرة مارًّا بزاوية تقاطع شارعى شرق أوريول وودبرى، الموقع الجديد لبيت الأم باولا لفطائر البان كيك الأمريكية.

ما قال أحد إنه لا يستطيع مغادرة منزله فى ساعة مبكرة جدًّا فى الصباح. ولم يقل أحد أيضًا إنه لا يمكنه قضاء أجمل ساعات يومه وهو يقوم بواجبه.

سُمحَ لدانا ماثرسون بمهلة ثانية للتغيب عن المدرسة. شعر روى إلى حدٍّ ما بالراحة، وإن لم تكن كافية للشعور بالاسترخاء، فكلما طالت مدة نقاهة دانا ليلتئم أنفه من لكمة روى، ازداد رذالة وعنفوانًا بعد عودته أخيرًا إلى تراس ميدل.

اقترح جاريت راغبًا فى مساعدة روى: «لا يزال أمامك متسع من الوقت للهرب من المدينة».

«لن أهرب أبدًا، مهما حدث، فأنا مستعد لقبول ما يحدث». لم تكن هذه محاولة من روى ليبدو هادئًا، كان قد أمعن التفكير فى مشكلته مع دانا. يبدو أنه لن يستطيع تفادى مواجهة ثانية معه، كان شطر من نفسه يودُّ ببساطةٍ لو انتهى

Twitter: @alqareah

الأمر، لم يكن متهورًا، ولكنه كان يتملكه شعور قوى بالعزة والكرامة، لم تكن لديه النية أن يمضى بقية السنة مختبئًا فى الحمامات أو متسللاً خلال الممرات، فقط لتجنب اللقاء مع ثور غبى جامح.

قال جاريت: «ليس من المفروض أن أبلغك بهذا. ولكن بعض الأولاد بدءوا يتراهنون».

- «عظيم: هل الرهان فيما إذا كان سيضربنى مجددًا أم لا؟».

- «كلا. بل عن عدد المرات التى سيقوم فيها دانا بضربك».

قال روى: «هذا شىء ظريف».

فى الواقع أن مواجهته مع دانا حققت له أمرين جيدين؛ أولاً: استطاع روى أن يتعقب بنجاح الولد الحافى حتى ملاعب الجولف، والأمر الثانى: منع نائبة رئيس المدرسة له من ركوب الحافلة لمدة أسبوعين.

كان شيئًا ظريفًا أن تصطحبه أمه إلى المدرسة كل يوم. كانا يتبادلان الحديث فى السيارة، كما كان باستطاعته العودة إلى المنزل مبكرًا عما اعتاده بعشرين دقيقة.

كان الهاتف يرن حين دخلا إلى المنزل، إنها خالته تطلب أمه من كاليفورنيا ليتبادلا الأحاديث والأخبار. استغل روى الفرصة ليأخذ من غرفته علبة حذاءٍ من الورق المقوى ويتسلل بهدوء من الباب الخلفى للمنزل.

اتجه من جديد نحو ملعب الجولف، مع بعض التحول عن الطريق المألوف، فبدلاً من أن يستدير إلى الشمال عند غرب أوريول باتجاه موقف الحافلة قاد دراجته من خلال الطريق السريع العام نحو شرق أوريول. كان قد سار إلى أمدٍ أقل من مجموعتين من البيوت حين وجد عند إحدى الزوايا أدوات رصف الأرض مغطاة ومحملة على مقطورة خُرقت عجلاتها.

Twitter: @alqareah

وقفت بالقرب من المقطورة سيارة نصف نقل كحلية، وغير بعيدٍ منها وقفت ثلاث سيارات لحفر وحمل الأتربة وعلى واحدة منها شاهد صفًّا من دورات المياه المتنقلة، تصور روى أن هذا هو الموقع الذى رُشَّ فيه زجاج سيارة الشرطى ووُضعت فيه التماسيح فى المراحيض.

ما إن أوقف دراجته حتى فُتحَ باب المقطورة، وأطلَّ من الباب رجل أصلع ثائر. كان يلبس سروالاً وقميص العمل ذا النسيج المتين، وقد طُرِزَ اسمٌ على صدر القميص، ولكن روى كان أبعدَ من أن يتمكن من قراءته.

صرخ الرجل وقد ظهر الغضب واضحًا على وجهه قائلاً: «ماذا تريد؟ هيه أنت ياولد. أنا أخاطبك؟»

فكر روى فى نفسه: ما مشكلة هذا الرجل؟

اقترب الرجل منه زاعقًا وهو يشير نحو العلبة: «ماذا وضعت فى هذا الصندوق؟ ما الذى تخطط له أنت ورفاقك الصغار هذه الليلة؟ قل لى؟».

استدار روى بدراجته وبدأ فى تحريك دواسة الدراجة مبتعدًا.

كان الرجل يتصرف كمجنون فقد عقله تمامًا.

- «خيرًا ما فعلت. وإياك أن تعود ثانية». زمجر الأصلع وهو يلوح بقبضة يده، واستأنف تهديده: «إن جئت ثانية ستكون هنا بانتظارك كلاب للحراسة، أشرس أنواع الكلاب التى لم ترَ مثلها قطُّ».

داس روى على دواسة الدراجة بسرعة، ولم يعد للالتفات وراءه. اشتدت السحب كثافة وقتامة. خُيِّل إليه أنه أحس بقطرة مطر على وجنته. ثم ما لبث أن سمع صوت قصف الرعد من بعيد.

لم يبطئ من سرعة دراجته حتى بعد أن عبر الطريق السريع باتجاه غرب

Twitter: @alqareah

أوريول. بدأت زخات المطر تنتظم فى الوقت الذى وصل فيه إلى ملعب الجولف، قفز من فوق دراجته وهو يحمى علبة الأحذية بيديه ثم بدأ فى الركض عبر الخضرة والطريق الجميل المهجور. ما لبث أن وصل إلى أشجار الفلفل حيث التقى سابقًا مع الولد المسمى أصابع المولیت. كان روى قد تهيأ ذهنيًا لأنْ يقوم الولد بتغمية عينيه، وتقييد يديه مرة ثانية، حتى إنه ألَّف حديثًا مقتضبًا لهذا اللقاء. كان مصممًا على إقناع أصابع المولیت بأنه أهل للثقة، وأنه لم يحضر ليتدخل فيما لا يعنيه، بل ليمد يد المساعدة إذا ما احتاج أصابع المولیت إليها.

وبينما كان يشق طريقه خلال الأشجار الكثيفة، التقط غصنًا يابسًا من الأرض، كان الغصن ثقيلاً بما يكفى لإبعاد ثعبان الصل الأمريكى، مع أنه كان يتمنى ألا يضطر لذلك.

وحين وصل إلى الخندق، لم ير أثرًا للثعابين ذات الذنب اللامع، ولا لمخيم الولد الهارب. أُزيلت كل المعالم بما فيها أكياس القمامة. كما دُفنت آثار إشعال النار من الرماد، غرز روى رأس الغصن اليابس داخل الوحل الطرى ولكن لم يعْلَق به أى أثر.

بحث عن آثار أقدام مطبوعة على الطين ولم يجد شيئًا. وحين انطلق نحو الطريق الجميل انفتحت السماء البنفسجية بكامل طاقتها، هطل المطر بغزارة مدفوعًا بقوة الريح ليلذع وجه روى. ولمع البرق بالقرب منه فارتجف وانطلق راكضًا، عندما تعصف صاعقة كهربائية؛ فأسوأ وأخطر مكان هو وجودك فى ملعب مفتوح للجولف محاطًا بالأشجار الشاهقة.

وبينما هو يركض مرتعشًا وهو يثب لدى سماعه أى قصف للرعد، انتابه شعور بالذنب لتسلله خارج المنزل، ستمرض والدته من شدة قلقها عليه حين تكتشف غيابه فى هذا الطقس السيئ، لدرجة أنها قد تقود سيارتها وسط العاصفة للبحث

Twitter: @alqareah

عنه. احتمال أزعج روى. لم يكن يريد أن تتجول فى سيارتها فى مثل هذه الظروف الخطرة. فالمطر يهطل بكثافة لن تمكّنها من رؤية الطريق بشكل سليم.

ومع أنه كان مبللاً ومرهقًا فقد أجبر نفسه على الركض بسرعة أكبر.

كان يبحث عن نافورة المياه التى ترك دراجته عندها، وأخيرًا حينما تفجّر البرق الموحش مرة أخرى وأنار الطريق الجميل لمح النافورة على بعد عشرين فرسخًا أمامه. ولكنّ دراجته لم تكن موجودة، ظن روى فى أول الأمر أنها نافورة أخرى، وأنه ضلّ طريقه وسط العاصفة، ولكنه تعرّف بعد ذلك على كشك من الخشب به آلة للمشروبات الغازية.

هذا هو المكان بعينه. وقف روى تحت سيل المطر يائسًا وأخذ يحدق فى المكان الذى ترك عنده دراجته. عادةً ما يحرص على إحكام القفل عليها، ولكنه اليوم كان عجولاً جدًّا، والآن ها هى الدراجةُ قد فقدت، ولا شك أنها سُرقت.

دخل روى الكشك الخشبى ليحتمى من المطر، تمزقت علبة الورق المقوى الغارقة بالماء بين يديه، وعليه الآن أن يسير مسافة طويلة جدًّا إلى أن يصل إلى بيته، كان يعلم أنه لن يصل إليه قبل هبوط الليل، سيكون والداه فى حالة يُرثى لها من القلق. ظل واقفًا فى الكشك عشر دقائق منتظرًا أن يهدأ هطول المطر. يبدو أن الرعد والبرق انزاحا باتجاه الشرق ولكن المطر لم يكف، أخيرًا خطا روى خارج الكشك. خفض رأسه وبدأ المسيرة باتجاه منطقة سكنه. أصدرت كل خطوة طرطشة، وانسابت قطرات المطر من على جبينه وعلقت على جفنيه. تمنى لو كان يلبس قبعة.

وحين وصل إلى الرصيف حاول أن يركض، ولكنه كان كمن يخوض داخل بحيرة ضحلة لا نهاية لها. هذا ما لاحظه روى فى فلوريدا؛ فالأرض شديدة الانخفاض والاستواء، وتحتاج السهول إلى فترة من الزمن حتى تجف.

Twitter: @alqareah

سار إلى الأمام وما لبث أن وصل إلى موقف الحافلة، الذى لمح عنده لأول مرة الولد الهارب. لم يتوقف روى لينظر حوله. فالجو يزداد قتامة مع مرور كل دقيقة.

وما إن وصل إلى الزاوية التى تقع بين غرب أوريول والطريق السريع حتى أضيئت أنوار الشارع.

قال لنفسه: أوه .. لقد تأخرت بالفعل.

كانت السيارات تسير بانسياب على جانبى الطريق، وتزحف خلال المياه المتدفقة. انتظر روى بفارغ الصبر، كانت كل سيارة تدفع بكمية من المياه تصل طرطشتها إلى ذقنه. لم يهتم. فقد كان غارقًا بالفعل حتى العظام.

لاحظ انفراجة فى السير، فتجرأ وانطلق نحو الشارع، صرخ صوت من ورائه: «ها أنا قد وجدتك».

قفز روى إلى الخلف عند المنحنى واستدار بسرعة، كانت هناك بياتريس لوب تجلس على دراجته.

قالت له: «ماذا تضع فى علبة الأحذية هذه يا راعية البقر؟».

Twitter: @alqareah

الفصل السابع

كيف حدث كل هذا! لم يكن ما حدث لغزًا كبيرًا.

فبياتريس الدبة: مثلها مثل بقية التلاميذ، تعيش فى نفس المنطقة التى تستقل منها الحافلة إلى المدرسة، وعلى ما يبدو أن روى مرَّ أمام منزلها وهو يقود دراجته، فما إن لمحته حتى سارعت إلى اقتفاء أثره إلى ملعب الجولف.

ابتدرها قائلاً: «هذه دراجتى».

- «نعم. إنها دراجتك».

- «هل يمكننى استعادتها؟».

قالت: «ربما.. فيما بعد. اقفز واركب الدراجة».

- «ماذا؟».

«اقفز إلى مقود الدراجة فسوف نقوم بجولة».

رضخ روى للأمر وقفز فوق المقود، فكل ما يريده هو استعادة دراجته والعودة إلى المنزل.

بعد أن أمضى سنتين من عمره وهو يدفع بدراجته صاعدًا بها إلى التلال العالية ونازلاً منها نحو الوديان أصبح قائدًا قويًّا متمرسًا وهو يشق طريقه خلال هواء مونتانا الرقيق، لكن بياتريس لوب كانت أشد منه مراسًا وقوة، فهى تدوس على محركات العجل وتندفع عبر السهول المنخفضة بخفة وسهولة كما لو أنه لا وزن له، جلس روى منزعجًا على مقود الدراجة وهو يمسك بعلبة الورق المقوى المبللة بالماء، وصاحَ قائلاً:

Twitter: @alqareah

«إلى أين نحن ذاهبان؟».

قالت بياتريس: «هش. اصمت».

انطلقت عابرة المدخل الآجرّى الأنيق للملعب الجولف، ولم يلبث الطريق المعَّبد أن انتهى ليحل محله طريق موحل بلا حافة للرصيف ولا إنارة. تمالكَ روى نفسه حينما أخذت الدراجة تتأرجح لتعرضها لحفر عميقة. خفَّ هطول المطر وأصبح رذاذًا، وشعر ببرودة بعد أن تبلل قميصه والتصق بجسمه.

توقفت بياتريس بعد أن وصلا إلى سياج عالٍ من الحلقات المتصلة. لاحظ روى وجود فتحة فى السور قُطعت بمقص للأسلاك للدخول منها.

نزل من على مقود الدرَّاجة وسوى سرواله الجينز الذى التصق بجسده.

أسندت بياتريس الدراجة وأشارت لروى ليلحق بها من خلال الفتحة فى السياج. دخلا ساحة ملأى بالخردة من السيارات المحطمة. كان هناك أطنان منها. زحف روى وبياتريس على ضوء الغسق وظلا يتنقلان من كومة صدئة إلى أخرى تليها. خمن روى من الطريقة التى كانت تتصرف بها بياتريس أنهما ليسا الوحيدين فى المكان.

ثم ما لبثا أن وصلا إلى مقطورة قديمة مقفلة الجوانب بقماش سميك تستند على ركيزة من الركام. استطاع روى بصعوبة أن يتبين الخط الباهت المكتوب على القماش الممزق: آيس كريم جو ـ جو وأكواز من رقائق «البسكويت».

دخلت بياتريس إلى العربة وروى فى أعقابها، قادته خلال باب ضيق نحو مؤخرة المقطورة التى كانت تزدحم بالأقفاص والعلب وأكوام من الثياب، كما لاحظ روى مرتبة النوم ملفوفة فى زاوية العربة.

وحين أغلقت بياتريس الباب أصبحا فى ظلام دامس، ولم يعد باستطاعة روى أن يرى أصابعه التى رفعها أمام وجهه.

سمع صوت بياتريس وهى تقول: «أعطنى علبتك».

Twitter: @alqareah

قال روى: «لا».

«أمُغرمٌ أنت بأسنانك الأمامية يا إيبرهاردت؟».

قال روى كاذبًا: «لست خائفًا منك».

كان الجو داخل شاحنة المثلجات خانقًا ورطبًا، وكان أزيز البعوض يطن فى أذنيه وهو يلطمها بشكل عشوائى، شم رائحة بدت غريبة عن المكان، رائحة مألوفة له تمامًا. رائحة كعكات الحلوى عبقت المقطورة برائحة تشبه رائحة خبيز كعكات الفول السودانى بالزبدة اللذيذة التى تعدها له أمه.

اخترق عينيه شعاع المصباح الكهربائى، الموجه بدقة نحوه، فأدار روى بصره. قالت بياتريس مهددة:

- «ماذا تضع فى علبة الأحذية؟ أسألك هذا السؤال للمرة الأخيرة».

قال روى: «حذاء».

- «أنا على يقين من هذا».

- «إنى لصادق».

اختطفت العلبة من بين يديه وفتحتها وهى توجه نور المصباح إلى داخلها.

قال روى: «هذا ما أخبرتك به».

اغتاظت بياتريس وأجابته: «لمَ تحمل حذاء ألعاب إضافيًا وتتجول به؟ إن هذا أمر غريب بالفعل يا راعية البقر».

قال روى: «هذا الحذاء لا أنوى انتعاله».

وكان هذا الحذاء جديدًا بالفعل. فما انتعله روى أكثر من مرة أو مرتين.

«إذن لمن هذا الحذاء؟».

«إنه لولد التقيت به».

«أى ولد؟».

Twitter: @alqareah

– «الولد الذى حدثتك عنه فى المدرسة، الولد الذى كان يركض بالقرب من موقف حافلة المدرسة التى كنت تستقلينها فى ذلك اليوم».

ردت بياتريس بسخرية: «أوه. ذلك الولد الذى مضيت تطارده فى حين أنه كان عليك الاهتمام فقط بشئونك، والالتزام بعدم التدخل فى شئون الآخرين؟».

أطفأت المصباح الكهربائى، فخيَّم الظلام من جديد.

قال روى: «أتعلمين؟ لقد قابلته أخيرًا على نحوٍ ما».

– «أنت لا تستسلم أبدًا».

– «افهمينى. هذا الولد بحاجة لحذاء. من الممكن أن يخطو على زجاج مكسور أو مسامير صدئة، أو حتى على ثعبان».

«كيف علمت أنه يرغب فى انتعال حذاء يا إيبرهاردت؟ لعلَّ بإمكانه الركض أسرع بدونه».

لم يكن روى واثقًا من مشكلة «بياتريس لوب». ولكنه كان يعلم أنه تأخر كثيرًا عن موعد العشاء، وعلى الأرجح أن والديه يشعران بالجزع عليه، وخطط لمحاولة الخروج، بعد أن تشعل بياتريس المصباح من جديد؛ فلو أنه استطاع أن يسبقها إلى الدراجة سيتمكن من الفرار.

قال روى: «على أى حال، إن لم يكن راغبًا بالحذاء فسأحتفظ به لنفسى. وإن وافق، فهو على الأرجح على مقاسه، فالولد يماثلنى فى الطول».

خيم الظلام والصمت على المكان.

– «يا بياتريس. إن كنت تنوين ضربى، فهل من الممكن أن تسرعى ولننته من هذا الأمر بأقصى سرعة! فعلى الأرجح أن أبى وأمى اتصلا بالحرس الوطنى للبحث عنى».

ازداد الصمت كثافة.

- «بياتريس هل أنت مستيقظة»؟

- «يا إيبرهاردت، ما الذى يجعلك تهتم بهذا الولد؟»

كان هذا سؤالاً حسنًا، ولم يكن روى واثقًا من قدرته على التعبير بإجابة ملائمة، كان هناك شىء غير عادى فى النظرة التى بدت على وجه الصبى حين شاهده يركض عابرًا الحافلة المدرسية فى تلك الأيام، نظرة تعبِّر عن أن وراءه شيئًا ملحًّا محددًا ولا يمكنه نسيانه.

قال روى لبياتريس لوب: «لا أعلم. لا أعلم السبب».

ومضَ نور المصباح الكهربائى، تسلق روى ليصل إلى الباب، ولكن بياتريس أمسكت به بهدوء من مقعد سرواله الجينز وسحبته بالقرب منها إلى أرض الشاحنة.

جلس روى هناك لاهثًا، منتظرًا أن يُفكَّ أسره.

ومع هذا فلم يبدُ الغضب فى صوتها وهى تحمل الحذاء الرياضى فى يدها وتسأله: «ما مقاس هذا الحذاء؟».

قال روى: «تسعة».

«هممم».

ومن خلال وهج نور المصباح شاهد روى بياتريس، وهى تضع إصبعها على شفتيها مشيرة إلى ما وراء كتفيها، سمع روى صوت خطوات أقدام خارج المقطورة.

أقفلت بياتريس المصباح وجلسا ينتظران، بدا صوت الخطوات على الحصى ثقيلاً أخرق مثل خطوات رجل ضخم الجسم، سمعا صوت شىء يصلصل، ربما كانت سلسلة مفاتيح، أو نقودًا معدنية فى جيب الشخص. كتم روى أنفاسه. وبينما اقترب الحارس من عربة الأيس كريم ضرب بقوة إحدى الصادمات فى مقدمة السيارة بما بدا كقضيب من الرصاص. قفز روى ولكنه لم يصدر ضجة، ولحسن الحظ استمر

Twitter: @alqareah

الرجل فى سيره. بين فترة وأخرى كان يعيد طرق الأنبوب على قطعة أخرى من بقايا القطع الحديدية كما لو أنه يحاول أن يخيف أحداً سيبرز من خلال الظلال.

وبعد أن مضى الرجل همست بياتريس: «رجل أمن مأجور».

سألها روى وهو يشعر بالضعف: «ما سبب وجودنا هنا؟».

استطاع روى من خلال الظلمة أن يستمع إلى حركة بياتريس تنتصب واقفة وهى تقول: «هل تعلم ماذا سأفعل يا راعية البقر؟ سأعقد معك صفقة صغيرة».

قال روى: «واصلى كلامك».

- «سأعطى الحذاء الرياضى للولد الحافى، على أن تعدنى بأنك ستكف عن ملاحقته، وبأنك لن تتجسس عليه بعد الآن».

- «إذن فأنت تعرفينه».

ساعدت بياتريس روى على الوقوف على قدميه وهى تقول: «نعم أعرفه. فهو أخى».

ينتهى عادة الشرطى دلينكو من عمله فى الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر، تكدس مكتبه بالعديد من أوراق العمل، ولا يزال أمامه العمل على ملء كثير من الاستمارات والتقارير عما حدث لسيارة الدورية، ظل يكتب إلى أن شعر بالألم فى معصم يده ولم ينتهِ من الكتابة إلا الساعة السادسة.

كان المرأب الذى يضع سيارته عنده على بعد عدة مجمعات سكنية، ولكن المطر كان يهطل بغزارة حين خرج دلينكو مرهقًا من قسم الشرطة الرئيسى، وكَرِهَ أن تبتل سترته الرسمية؛ ولذا وقف ينتظر تحت الإفريز، مباشرة تحت حرف العين من العنوان المكتوب فوق باب القسم: قسم الأمن العام لكوكنت كوف.

بدأ العديد من المدن يشير إلى قوات الشرطة باسم «مديرية الأمن العام». صفة

Twitter: @alqareah

يطلقونها بنية التلطيف. وتقديم صورة أكثر ودًّا، ولكنْ كغيره من معظم رجال الأمن، يرى الشرطى دلينكو أن تبديل الاسم لا معنى له، فرجل الشرطة هو رجل الشرطة حين يتحتم عليه القيام بواجبه.

فمثلاً فى حالة الطوارى لن يصرخ أحدهم قائلاً: أسرع! اطلب مديرية الأمن العام، بل إنه سيزعق قائلاً: «اطلب الشرطة»، وهذه استغاثة سيواصلون النداء بها إلى الأبد.

كان ديفيد دلينكو فخورًا بعمله كرجل شرطة، فوالده يعمل كشرطى سرى فى كليفلاند فى ولاية أوهايو، وأخوه الكبير شرطى يتحرى عن جرائم القتل فى منطقة فورث لوديردال؛ وأن يصبح شرطيًّا للتحرى فى يوم ما، من أكثر ما يتمناه بشغف.

وقد أدرك شاعرًا بالحزن أن هذا اليوم أصبح على الأرجح صعب المنال فى المستقبل، بسبب عملية التخريب التى حدثت على موقع إنشاء بيت الفطائر «البانكيك».

أخذ الشرطى دلينكو يفكر فى وضعه هذا، وهو يراقب تدفق مياه الأمطار فى الشارع، وحين لمع البرق وارتج العمود العازل للصواعق فى نهاية الشارع، تراجع ودخل إلى قاعة الانتظار الرئيسية حيث تذبذب نور السقف مرتين ثم انطفأ.

تمتم الشرطى دلينكو لنفسه: «آه، شىء مزعج». لم يكن أمامه ما يفعله سوى انتظار مرور العاصفة.

لم يستطع أن يكف عن التفكير فى الحوادث الغريبة التى تحدث على موقع الأم باولا. ففى أول الأمر قام أحدهم باقتلاع أوتاد المعاينة، ثم تعمد رمى التماسيح فى المراحيض، وبعدها قام برش سيارة الشرطة التى كان ينام فى داخلها بالدهان الأسود، وهذه أعمال تنم عن جرأة وتحدٍّ من مجرمين غير ناضجين بلا ريب، ولكنهم مع ذلك يتصفون بالكثير من الجرأة.

Twitter: @alqareah

وقد دلته خبرته فى هذا المجال، أن المراهقين لا يتحلونَ بهذا القدر من الإصرار والجرأة، ففى قضايا مماثلة قام بها أحداث بأعمال تخريبية عادة ما قاد اقتفاء آثار الجريمة إلى مجموعة من المتشردين يحاول كل منهم التغلب على الآخر رغبةً فى إثارة الرعب.

ولكن لم تكن هذه قضية من هذا القبيل كما رأى الشرطى دلينكو، ويمكن أن يكون من قام بتنفيذها شخص واحد، بدافع الانتقام أو لتوصيل رسالة ما.

بعد فترة هدأت العاصفة وتراجعت الغيوم المحملة بالرعد عن مركز وسط المدينة، غطى الشرطى دلينكو رأسه بصحيفة وجرى نحو البحيرة التى تشكلت عند موقف سيارات الشرطة من المطر، عند وصوله كان حذاؤه الذى قام بتلميعه بيديه غارقًا بالماء.

وقفت سيارته من نوع الكراون فيكتوريا تلمع كما لو كانت جديدة خارج باب المرآب المغلق. كان قد طلب من حارس المرآب أن يخبئ مفاتيح السيارة فى الفتحة التى تُملأ منها السيارة بالوقود، ولكنه وجدها عند مفتاح التشغيل واضحة لأى عابر، فحارس المرآب يعتقد أنه لن يبلغ الجنون بأى شخص ليقدمَ على سرقة سيارة تحمل علامات سيارة الشرطة.

أدار الشرطى دلينكو السيارة ومضى باتجاه شقته، خفف السرعة ليلف حول حدود بيت الفطائر، ولكنه لم يجد أثرًا لأى مخلوق. ولم يدهشه هذا. فالمجرمون شأنهم شأن المواطنين الملتزمين بالقانون يكرهون الطقس السيئ.

من شأن الشرطى دلينكو أن يلتزم بالاستماع إلى الاتصالات عبر المذياع المخصص حتى ولو كان خارج الخدمة، فهذا أمر من جملة الأوامر الصارمة التى يجب أن يلتزم بها كل شرطى دورية يُسمح له بالذهاب بسيارة الدورية إلى منزله ـ التعليمات تنص على استمرار الإصغاء فى حالة احتياج أحد الزملاء للمساعدة.

أبلغه المرسال فى هذه الليلة عن بعض حوادث الشغب البسيطة، وعن حادثة اختفاء ولد يدعى روى، كان يقود دراجته خلال العاصفة الرعدية الصاعقة، ولم يتبين اسم العائلة.

Twitter: @alqareah

فقد حدث تشويش فى الإرسال الإذاعى جعل من الصعب سماع لقب الولد.

فكَّر الشرطى دلينكو، لابد أن والديه يشدان شعرهما من الجذع، ولكن الولد عادة ما يعود سالمًا إلى ذويه، على الأرجح، تراه قد عُلِّقَ خارج أحد المراكز التجارية ينتظر توقف العاصفة الرعدية.

وبعد مضى عشر دقائق، وهو لايزال يفكر فى الولد الغائب، لمح الشرطى دلينكو طيفًا نحيلاً غارقًا بالمياه يقف على الزاوية بين شارعى غرب أوريول والطريق العلوى السريع، كان الولد يشبه الوصف الذى سمعه عبر الراديو من المراسل: طول الولد حوالى خمسة أقدام، ووزنه تسعون رطلاً، وشعره بنى فاتح.

حرك الشرطى دلينكو سيارته نحو المنحنى وأنزل زجاج النافذة ونادى عند التقاطع: «هيه. أنت أيها الشاب الصغير!».

لوَّح الولد بيده واقترب من حافة الشارع، لاحظ الشرطى دلينكو أنه يسير جارًا دراجته التى بدت عجلتها الخلفية فارغة من الهواء.

سأله رجل الشرطة: «هل اسمك روى؟».

«نعم أنا روى».

«ما رأيك؟ سأصحبك إلى منزلك».

عبر الولد الشارع مع دراجته التى دخلت بسهولة داخل الصندوق الواسع للكراون فيكتوريا. اتصل الضابط دلينكو بالمرسال وقدم تقريره بعثوره على الولد المفقود، وأنه بحالة جيدة.

قال رجل الدورية: «سيشعر والداك بالسعادة لرؤيتك».

ابتسم الولد بعصبية وقال: «آمل أن تكون محقًّا».

هنأ الشرطى دلينكو نفسه فى سريرته، لم تكن نهاية اليوم سيئة لإنهاء ورديته بالنسبة لشاب أُلزم بالعمل المكتبى الممل. وربما أتاحت هذه العملية له الفرصة للخروج من خنقة المكتب الشبيهة ببيت للكلاب.

Twitter: @alqareah

لم يسبق لروى أن ركب سيارة شرطة، جلس فى المقعد الأمامى إلى جانب الشرطى الشاب الذى استحوذ على معظم الحوار، حاول روى أن يُحسن السلوك ويتابع الحديث، ولكن ذهنه كان مشغولاً بما قصته عليه بياتريس لوب عن الولد الهارب.

فقد قالت له: «فى الحقيقة إنه ليس أخى، بل أخى غير الشقيق».

- «ما اسمه؟».

- «تخلَّص من اسمه».

- «لمَ أعطى لقب الأصابع الصائدة للموليت؟ هل هو من أصل هندى؟».

فى الماضى حين كان يقيم فى بوزمان كان روى يذهب إلى المدرسة مع ولد يسمى «تشارلى ذو الغربان الثلاثة».

ضحكت بياتريس لوب وأجابت: «كلا، فهو ليس هندياً. أنا من أطلقت عليه هذا الاسم؛ لأن باستطاعته صيد أسماك المولیت بأصابعه وبدون وسيلة صيد. هل تعلم مدى صعوبة هذا؟».

فأسماك المولیت من الأسماك الشديدة الانزلاق، وتُستعمل كطعم، وهى سريعة القفز وتسبح على شكل سرب يضم المئات منها. يمتلئ الخليج بالقرب من مدينة كوكنت كوف فى الربيع بها، الطريقة المتبعة لصيدها هى قذف شباك الصيد نحو تجمعها.

تساءل روى: «ولمَ لا يعيش معكم فى المنزل؟».

- «إنها قصة طويلة، فضلاً عن أن هذا أمر لا يعنيك».

- «ولمَ لا يذهب إلى المدرسة؟».

- أُلحق أخى بمدرسة من نوع خاص، ولم يتحمل أكثر من يومين قبل أن يهرب منها، ثم عاد فاراً إلى هنا على طول الطريق من مدينة موبايل فى ولاية «ألاباما».

- «وماذا عن أهلك؟».

Twitter: @alqareah

- «لا علم لهم بعودته إلى هنا، وليس فى نيتى إخبارهم، ولن يخبرهم أحد. هل تفهم ما أقول؟».

وعد روى بعدم إفشاء السر بكل رزانة.

وبعد أن زحفا متسللين خارج نطاق خردة السيارات المحطمة أعطت بياتريس لوب لروى قطعة من كعكات الفول السودانى بالزبدة، التهمها بشراهة، ومع تقدير الظروف التى مرت عليه، فقد وجد روى أن هذه القطعة من الحلوى من ألذ الكعكات التى تذوقها طوال حياته.

سألته بياتريس عن الخطة التى وضعها ليبرر سبب غيابه لأمه وأبيه. واعترف روى بأنه لم يفكر بهذا الأمر بعد.

حينذاك قامت بياتريس بعمل بطولى مدهش، رفعت دراجة روى من الترس وغرزت أسنانها فى العجلة الخلفية للدراجة وثقبتها ثقبًا واسعًا. كما لو أنها تقضم قطعة من البيتزا.

لم يستطع روى سوى أن يفغر فاه مندهشًا، فقد حظيت الفتاة بفك أشبه ما يكون بفك حيوان الشره(*) الأمريكى.

قالت الفتاة: «كما ترى. لديك الآن دراجة غير صالحة تمنحك عذرًا مقبولاً بعض الشىء لتأخرك عن موعد العشاء».

- «أحسبنى مدينًا لك بالشكر».

- «إذن ماذا تنتظر؟ ابتعد من هنا فى الحال».

تأمَّل روى فى سرِّه. أما إنها لعائلة غريبة فعلاً! كان يستعيد مشهد قطع العجلة بالأسنان فى ذهنه، حين سمع صوت رجل الشرطة وهو يسأله:

- «هل يمكننى أن أسألك عن أمرٍ أيها الشاب الصغير؟».

(*) الشره حيوان ثديى من اللواحم يعيش فى أمريكا الشمالية.

Twitter: @alqareah

- «بكل تأكيد».

- «أنت تذهب إلى مدرسة تراس ميدل. أليس كذلك؟ هل سمعت بأى حديث يدور حول التخريبات التى حدثت فى الموقع الجديد لبيت الفطائر؟».

قال روى: «كلا. ولكنى قرأت موضوعًا فى الصحيفة المحلية».

تحرَّك الشرطى فى مقعده مضطربًا. وأضاف روى: «كان الموضوع يدور حول تماسيح، وعن رش سيارة دورية الشرطة بدهان أسود».

توقف الشرطى عن الكلام لبرهة ليلتقط أنفاسه إثر إصابته بنوبة سعال قصيرة ثم قال: «هل أنت واثق من عدم ذكر هذا الموضوع فى المدرسة؟ ففى بعض الأحيان يلجأ الأولاد الذين ينفذون مثل هذا المزاح السخيف إلى الحديث ليتباهوا بما فعلوا».

أكد روى أنه لم يسمع أية كلمة حول الموضوع، ثم أشار قائلاً: «هذا هو الشارع، بيتنا سادس بيت على الشمال».

قاد رجل الشرطة السيارة إلى مدخل منزل آل إيبرهاردت وشد مكبح السيارة وتوقف وهو يقول لروى: «هل بإمكانى أن أسألك معروفًا يا روى؟ هل يمكنك الاتصال بى إذا سمعت شيئًا حول موضوع الأم باولا؟ أى شىء. حتى مجرد شائعة. هذا أمر مهم جداً».

ناول الشرطى روى بطاقة مطبوعة وهو يقول: هذا رقم المكتب. وهذا رقم هاتفى المحمول، فوق أرقام الهاتف، كُتب على البطاقة:

الشـرطـى ديـفـيـد دلـينـكـو

فـرقـة الـدوريـة

قسم الأمن العام لكوكنت كوف

نصحه الشرطى دلينكو قائلاً: «بإمكانك الاتصال بى فى أى وقت، كل ما أطلبه منك أن تفتح سمعك وبصرك اتفقنا؟».

Twitter: @alqareah

- أجاب روى بلا حماس: «كما ترى». لقد كان رجل البوليس يطلب منه أن يقوم بدور المخبر، وأن يشى بزملائه فى الفصل. على ما يبدو أن عليه دفع ثمن باهظ مقابل توصيله إلى منزله.

ولا يعنى هذا أن روى لم يكن مقدرًا للخدمة، ولكن لم يخالجه شعور بأنه مدين للشرطى بأى شىء أكثر من جزيل الشكر، فخدمة الناس ومساعدتهم جزء من عمل رجل الشرطة.

خرج روى من السيارة ولوَّح لوالديه اللذين كانا يقفان على السلالم الأمامية للبيت. أخرج الشرطى دلينكو الدراجة من صندوق السيارة وأوقفها على مسندها وهو يقول لروى: «تفضل استلمها».

قال روى: «شكرًا».

- «سيقومون بترقيع هذا الثقب إذا ما ذهبت إلى محطة الوقود.. هل ثُقبت بمسمار؟».

- «شىء من هذا القبيل».

أقبل والد روى وشكر رجل البوليس لنقله ابنه إلى البيت، سمع روى الرجلين وهما يتبادلان حديثًا حول تنفيذ القانون، وهكذا خمن الولد أن والده قد أخبر الشرطى بأنه يعمل فى وزارة العدل.

وحين ذهب السيد إيبرهاردت ليضع دراجة روى فى المرأب. خفض الشرطى صوته وقال هامسًا: «هيه. أيها الشاب الصغير».

فكر روى فى سريرته: «والآن ما وراء هذا الرجل؟».

قال رجل الشرطة: «ما رأيك. هل يقبل والدك أن يكتب رسالة شكر إلى رئيس الشرطة، أو حتى إلى المدير؟ مذكرة مقتضبة لطيفة عمَّا حدث هذا المساء، شيئًا يضعونه فى ملفى الدائم، فالأشياء الصغيرة تسعف إنها لتسعف حقًّا، وهى تضاف إلى سجلّى».

Twitter: @alqareah

أومأ روى برأسه دون أى تعليق وقال: «سأطلب منه».

«رائع. أنت شاب صغير قوى الشكيمة».

عاد الشرطى إلى سيارته.

وعادت السيدة إيبرهاردت التى كانت قد دخلت إلى المنزل لتحضر فوطة لتنشف يديها وتشدَّ على يد رجل الدورية بحرارة وهى تقول:

- «فقدنا عقلنا من شدة القلق، شكرًا جزيلاً لك».

- «أوه.. لم أفعل شيئًا يذكر». قالها الشرطى وهو يغمز لروى.

استرسلت والدة روى: «لقد أعدت لى ثقتى برجال الشرطة، فقد اهتزت فكرتى عنهم بالفعل، بعدما قرأته فى الصحيفة عن تلك القصة المهينة التى تتحدث عن الشرطى الذى رُش زجاج سيارته بالطلاء الأسود!».

وكان انطباع روى أن الشرطى دلينكو بدا فجأة وكأنه يشعر بالغثيان.

«أُسعدتم مساءً جميعًا». قالها الشرطى لعائلة إيبرهاردت وهو يدير المفتاح لتشغيل السيارة.

وتساءلت والدة روى ببراءة: «هل تعرف -بالمناسبة- هذا الشرطى الذى غفا داخل سيارته؟ ما الذى سيحدث له؟ هل سيُطرد من وظيفته؟».

تراجع الشرطى بالسيارة إلى الوراء بسرعة خارقة محدثًا صوتًا حادًّا بسبب احتكاك العجلات المطاطية بالأرض، ثم مضى مسرعًا.

قالت السيدة إيبرهاردت: «ربما كانت هناك حالة طوارئ عاجلة».

قالت هذا وهى تشاهد الأنوار الخلفية لسيارة الدورية تختفى فى الظلام.

قال روى مبتسمًا: «نعم. قد يكون مشغولاً».

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن

التزم روى بوعده، توقف عن البحث عن الأخ غير الشقيق لبياتريس لوب، رغم ما تطلبه ذلك من أن يستجمع كامل إرادته ليسيطر على هذه الرغبة.

كان سوء الطقس أحد العوامل التى جعلته يلتزم بالبقاء فى البيت، استمرت العاصفة طوال ثلاثة أيام، فتبعًا لما ذكرته نشرة الأخبار فى التليفزيون هبت موجة استوائية استمرت فوق جنوب فلوريدا بعض الوقت، وكان من المتوقع أن يصل ارتفاع منسوب المياه من ثماني بوصاتٍ إلى اثنتى عشرة بوصةً.

وحتى ولو أشرقت الشمس ببهاء ساطع، فما كان بوسع روى أن يتجول فى أى مكان، وقد قال الشاب فى محطة الوقود: إن إطار العجلة غير قابل للإصلاح.

وقد سأل والد روى: «هل تقتنون قردًا من القرود الأليفة فى البيت؟ فأنا أكاد أقسم أن القطع تبدو عليه آثار أسنان على جانب الإطار».

لم يحاول والداه أن يسألاه عما حدث، فقد اعتادا منذ إقامتهما سابقًا فى مونتانا على التعامل مع العجلات المخروقة. وهذا تطلب شراء إطارين جديدين، ولكن فى أثناء ذلك ظلت دراجة روى تقف متعطلة فى المرآب، وهكذا وخلال ساعات ما بعد الظهيرة الندية أمضى روى وقته وهو يعمل على إتمام مشاريع واجباته المدرسية، وقراءة قصص عن رعاة البقر. وحين كان يتطلع خارج نافذة

Twitter: @alqareah

غرفة نومه كان كل ما يراه بحيرات صغيرة موحلة. انتابه شعور بالحنين إلى الجبال أكثر من أى وقت مضى. وحين وصلت أمه لاصطحابه فى سيارتها بعد انتهاء اليوم الدراسى من يوم الخميس قالت له إن لديها أخبارًا سعيدة: «لقد أُلغى أمر منعك من ركوب الحافلة».

لم يكن روى مستعدًا بالضبط لإعادة الكرَّة. فتساءل: «لماذا؟».

- «ماذا حدث؟».

- «أظن أن الآنسة هينيبين أعادت تقييم الموقف».

- «ما الذى دعاها لذلك؟ هل اتصلتِ بها؟».

أقرت أمه: «فى الواقع. تحدثت معها عدة مرات. لم يكن من العدل أن تعاقبك وتمنعك من ركوب الحافلة، بينما يظل الولد الذى ابتدأ الشجار بدون عقاب».

- «لم يكن شجارًا يا أمى».

- «حتى لو أغفلنا هذا الأمر، فعلى ما يبدو أن الآنسة هينيبين اقتنعت بوجهة نظرنا، وهكذا فأنت منذ صباح الغد ستستقل الحافلة من جديد». يا للفرحة! فكر روى: إنك تستحقين منى الشكر يا أمى.

تشكك روى أن ربما كان لدى أمه دافع آخر حضها على الاتصال وتوبيخ نائبة المدير، فربما كانت تتطلع لاستعادة دورات اليوجا الجماعية فى الصباح الباكر، والتى انقطعت عنها لتقوم بتوصيله إلى مدرسة تراس ميدل.

لا يريد روى أن يبدو أنانيًّا، فلن يستمر فى الاعتماد على والديه إلى الأبد، وقد لا يسعى الأولاد الآخرون فى الحافلة إلى التنغيص عليه عند عودته.

- «ما الحكاية يا عزيزى! ظننت أنك ستبتهج لعودتك إلى نظامك السابق».

- «أنا على ما يرام يا أمى».

Twitter: @alqareah

وفكر روى. سيمر الغد بسلام كغيره من سائر الأيام، وقد لا أشعر بأى إزعاج.

* * *

كان «ليروى برانيت» - الرجل الأصلع الذى يلقب نفسه بـ«كيرلى» - يعانى من ضغوط كبيرة، كان جفناه ينتفضان من قلة النوم، كما كان يتعرق طوال اليوم مثل خنزير من «أركنساس».

فالإشراف على عملية الإنشاء مسئولية كبيرة جدًا. يأتى كل صباح ومعه الجديد والمزيد من العوائق وأوجاع الرأس، ويعود الفضل فى إعاقة العمل فى مشروع بيت الفطائر الذى تأخر بالفعل أسبوعين عن جدول العمل المفروض إلى لغز أولئك المتطفلين، ويكلف التأخير زيادة فى المصاريف، وهو ما لا يسر الرؤساء الذين يطلقون قذائفهم من بعيد من مؤسسة الأم باولا المساهمة.

كان كيرلى يتوقع أن يطرد من العمل إذا ما حدث تخريب جديد، وهو ما هدده به عدة مرات مسئول كبير فى مؤسسة الأم باولا. كان المنصب الذى يحتله هذا الرجل هو نائب الرئيس المنظم للعلاقات العامة. واسمه «تشاك ماكل» وهو اسم أكثر ملاءمة لمهرج فى سيرك منه لنائب رئيس شركة كما يرى كيرلى.

لم يكن تشاك ماكل فى الأصل رجلاً ظريفًا ومرحًا، وخاصة بعد أن قرأ فى الصحيفة خبر رش سيارة الشرطة بالطلاء الأسود على الموقع الجديد لممتلكات الأم باولا. وكان من مسئوليات تشاك ماكل أن يعمل على إبعاد العلامة التجارية لاسم الأم باولا المرموق عن الإعلام إلى حين يتم افتتاح فرعها الجديد الذى يحمل امتياز اسمها، أو حين يدخلون صنفًا جديدًا فى قائمة طعامهم مثل حلوى «فلاب جاكز» بالليمون المثيرة للشهية. طوال سنين عمله كمشرف على الأعمال الإنشائية لم يتلقَ كيرلى اتصالاً هاتفيًا يماثل هذا الذى تلقاه من تشاك ماكل بعد نشر الحادثة فى

Twitter: @alqareah

الصحيفة. لم يتعرض سابقًا لمثل هذه الإهانة أبدًا. ظل نائب رئيس الشركة ينال منه بكلام جارح لمدة خمس عشرة دقيقة بدون توقف.

وقد اعترض كيرلى فى آخر الأمر قائلاً: «هاى. لم يكن هذا خطأ منى. لم أكن من نام فى أثناء تأدية الواجب، إنه الشرطى!».

أمره تشاك ماكل أن يكف عن التذمر ويتصرف كرجل مسئول قائلاً: «أنت مراقب للعمال. أليس كذلك يا سيد برانيت؟».

- «بلى. ولكن...».

- «حسنًا. ستصبح مراقب عمال عاطلاً عن العمل إذا ما تكررت هذه الأفعال. فمؤسسة الأم باولا شركة تجارية ذات شعبية وشهرة على مستوى عالمى، وعلينا أن نحميها، هذا النوع من لفت الأنظار والدعاية السيئة فى غير صالح الشركة، ويضر بصورتها. هل تفهم هذا؟».

أجاب كيرلى: «نعم. فهمت». لقد أقر بأنه فهم مع أنه لم يفهم شيئًا. فالمغرمون بأكل فطائر «البان كيك» لن يهتموا لما حدث لسيارة الشرطة أو حتى بالتماسيح التى وضعت فى دورات المياه، وعندما يفتتح المطعم سينسى الناس كل هذه الأحداث السخيفة.

ومع هذا، فمزاج تشاك ماكل كان عكرًا لدرجة لا تسمح له بمناقشة الأمر بتعقل، وقد انبرى قائلاً: «أنصت إلىّ بتركيز يا سيد برانيت. يجب أن تتوقف هذه الأعمال السخيفة فى الحال. بمجرد إنهاء حديثنا ستهرع إلى استئجار أشرس وأضخم كلاب حراسة مهاجمة تتعطش لسفك الدماء يمكنك العثور عليها. كلاب من فصيلة «روتويلرز» وهى الأفضل. كما أن «دوبرمان» سيفى بالغرض».

- «أمرك يا سيدى».

Twitter: @alqareah

- «هل أتممت عملية تسوية أرض الموقع؟».

قال كيرلى: «إنها تمطر. ومن المتوقع أن يستمر المطر طوال الأسبوع. تصور كيرلى أن تشاك ماكل سيضع اللوم عليه ويؤنبه ويحمله كذلك مسئولية سوء الجو.

تمتم نائب الرئيس: «إنه شىء لا يصدق. لن أسمح بمزيد من التأخير. هل تسمعنى؟ لن أسمح بالمزيد».

كانت الخطة أن تُسوى أرض الموقع قبل حضور كبار القوم من المسئولين والمهمين ورجال الإعلام لحفل افتتاح تدشين الأرض، والتى ستركز الأضواء فيها على الظهور المميز للنجمة التى تقوم بتمثيل دور الأم باولا فى فترة الإعلانات التجارية التليفزيونية التى تذاع ما بين برنامجين.

اسمها «كمبرلى لو ديكسون». كانت قد حازت لقب ملكة جمال أمريكا فى سنة (1987 أو 1988)، ومنذ ذلك الحين دخلت عالم التمثيل، بالرغم من أن كيرلى لا يتذكر أنه شاهدها فى أى مكان آخر غير الإعلانات التجارية لبيت فطائر «البانكيك».

فى الإعلان الجديد تظهر كمبرلى وهى تلبس (مريلة) سميكة من الكتان وتضع على رأسها شعرًا مستعارًا رمادى اللون شائبًا، وتلبس نظارة كالتى تلبسها الجدات لتبدو كامرأة مسنة.

قال تشاك ماكل لكيرلى: «دعنى أفسر لك سبب طردك من العمل معنا. إذا توقف العمل فى المشروع من جديد، فإمكانية حضور الآنسة ديكسون إلى هنا ضعيفة جدًا، بعد أن ارتبطت ببدء تصوير فيلم سينمائى مهم بعد أسبوعين».

- «لا تمزح. ما اسم الفيلم؟». كان كيرلى وزوجته من المغرمين بالأفلام السينمائية».

Twitter: @alqareah

قال تشاك ماكل: «الغزاة القادمون من زحل 7 المشكلة يا سيد برانيت فى تأجيلنا لافتتاح الموقع هو عدم تمكن الآنسة كمبرلى من الحضور. ستكون فى طريقها إلى «لاس كروسوس» فى «نيومكسيكو» لتستعد لدورها الجديد كملكة للجراد الملتهم للزرع».

فكر كيرلى. «أووه. تمثل دور الملكة!».

- «من غير حضور الآنسة ديكسون لن يكون لدينا حدث مهم صارخ من الناحية الدعائية، فهى أيقونة الشركة يا سيد برانيت. وهى بالنسبة لشركتنا كالعمة «جميما»، أو «بيتى كروكر». هى...».

قال كيرلى: ««تونى النمر؟».

- «أشعر بالبهجة لأنك فهمت أهميتها بالنسبة لنا».

- «فهمت تمامًا يا سيد ماكل».

- «ممتاز. إذا ما سارت الأمور بيسر فلن نحتاج لمحادثة أخرى. ألن يكون هذا أمرًا لطيفًا؟»

وأمَّن كيرلى موافقًا: «نعم يا سيدى».

كان أول عمل يجب عليه تنفيذه هو نصب سياج عالٍ من الحلقات المتشابكة حول موقع الإنشاء. لم يكن من السهل العثور على من يعمل تحت الأمطار الكثيفة. ولكن كيرلى وجد المعدات وطاقم عمل فى منطقة «بونيتا سبرنج». والآن بعد أن انتهى العمل فى السياج لم يبق أمامه سوى انتظار وصول كلاب الحراسة.

تعصَّب كيرلى بعض الشىء، فهو فى الواقع لا يألف الكلاب. لم يقتن هو وامرأته أى حيوان أليف أبدًا، إلاَّ إذا استثنينا القطة الشاردة التى كانت تنام من

Twitter: @alqareah

وقت لآخر تحت الممر الخلفى المسقوف للمنزل. حتى إنه لم يطلق عليها اسمًا، وهذا ما يلائمه تمامًا؛ فلديه ما يكفيه ممن يقلق عليهم من البشر.

فى الساعة الرابعة والنصف تقدمت شاحنة حمراء تجر مقطورة، غطيت جوانبها بقماش الخيم السميك. وضع كيرلى غطاء أصفر واقيًا للمطر على صلعته اللامعة وخطا خارجًا نحو رذاذ المطر المنهمر إلى ما لا نهاية.

كان المدرب رجلاً ممتلئًا بشارب، عرَّف نفسه باسم «كالو». يتحدث بلكنة أجنبية، تلك اللكنة التى يتحدث بها دائمًا الجنود الألمان فى الأفلام السينمائية التى تدور فى أثناء الحرب العالمية الثانية.

سمع كيرلى صوت الكلاب الشرسة وهى تنبح فى المقطورة مندفعةً بأجسادها نحو بابها.

قال كالو بلكنته الألمانية الواضحة:

- «ستعود إلى منزلك. أليس كذلك؟».

نظر كيرلى إلى ساعة معصمه وأومأ برأسه.

- «سأقفل باب السياج ورائى. وسأحضر فى الصباح الباكر لاستعادة الكلاب».

ورد كيرلى: «هذا يوافقنى تمامًا».

أنذره كالو: «إذا وقع أى خطبٍ، فاتصل بى فى الحال. لا تلمس الكلاب، ولا تتحدث معها، ولا تطعمها. هذا مهم جدًّا. مفهوم؟».

- «أووه. مفهوم». شعر كيرلى بمنتهى السعادة وهو يتحرك بعيدًا عن الحيوانات المتوحشة، وأرجع شاحنته بمنأىً عن الموقع ونزل منها ليقفل بوابة السياج وراءه.

لوَّح له كالو بدماثة ثم قام بإطلاق سراح كلاب الحراسة المهاجمة. كانت كلابًا ضخمة من فصيلة «روتويلرز». ظلت تتوثب على طول الحاجز وتتعثر متصادمةً فى

Twitter: @alqareah

البرك الطينية، وحين وصلت إلى بوابة الحاجز استقامت الأربعة جميعها على قوائمها الخلفية، مستندةً إلى السياج، وهى تزمجر وتنهش نابحةً على كيرلى الذى وقف على الجانب الخارجى للسور.

ركض كالو وصاح بها يأمرها باللغة الألمانية، وفى الحال كفَّت كلاب «الروتويلرز» عن النباح وأنزلت قوائمها الأمامية عن السياج، كانت آذانها السوداء منتصبة إلى أعلى ومتيقظة.

قال كالو لكيرلى: «لعلَّ من الأفضل لك الذهاب الآن».

- «هل لها أسماء؟».

قال كالو بلكنته الألمانية الواضحة: «أوه. نعم. هذا الذى هناك اسمه ماكس، وهذا كلاوس، وهذا فون كارل، وذاك الضخم «ذو الوجه المضحك».

قال كيرلى مستفسرًا: «ذو الوجه المضحك؟».

- «إنه طفلى المدلل الغالى. لقد جئت به من ميونيخ».

- «ألا يزعجها المطر؟».

قهقه كالو ضاحكًا: «لن تتأثر حتى بالأعاصير. اذهب إلى منزلك الآن، ولا تقلق، هذه الكلاب كفيلة بأن تحل لك كل مشاكلك».

لاحظ كيرلى وهو عائد ليركب شاحنته أن كلاب «الروتويلرز» تراقب كل حركة يقوم بها، كانت تلهث ببطء، وكانت أنوفها ملطَّخةً بزبد لعابها.

تخيل كيرلى أن ربما أمكنه أخيرًا أن ينام نومًا وادعًا. فلن يكون أمام المخربين أى فرصة؛ لوجود خمسمائة رطل من لحم الكلاب المتوحشة بانتظارهم. وفكَّر أنهم سيكونون بلا شك من المجانين لو حاولوا القفز وراء الحاجز.

Twitter: @alqareah

فى صبيحة اليوم التالى، عرضت والدة روى أن توصله إلى موقف الحافلة وهى فى طريقها للالتحاق بدرس اليوجا. رفض روى شاكرًا، فقد توقف هطول المطر، وشعر برغبة فى السير، حيث تهب النسمات المنعشة من جهة الخليج محملة بالهواء المشبع بنكهة الملح الطيبة. أخذت طيور النورس تحلق فى السماء بينما برز طائران يتبادلان التغريد من عشهما المقام على أعلى العمود الأسمنتى الذى شيد كمانع للصواعق الرعدية على الأرض، وعند قاعدة العمود لاحظ روى كسرات بيضاء من آثار الهيكل العظمى لأسماك «المولیت» التى اصطادتها الطيور الصائدة والتهمتها.

توقف روى ليتفحص عظام السمك. ثم تراجع إلى الوراء وتطلع إلى طيور «الأوسبرى(*)» التى لم يكن مرئيًا له منها سوى رءوسها المطلة من فوق العش الخشن، كان باستطاعته أن يلاحظ رأسين أحدهما أكبر من الآخر، على الأرجح أنها أم تعلم صغيرها طريقة الصيد.

فى مونتانا تعيش طيور «الأوسبرى» على أشجار الحور البيضاء التى تنتشر على طول الأنهار الكبيرة، حيث تقوم بالغطس لاصطياد أسماك «التروت» وقشر البياض، والسمك الأبيض. شعر روى بالسرور والدهشة معًا لعثوره على طيور «أوسبرى» فى فلوريدا. فهو شىء يستدعى الانتباه أن يجد نفس الجنس من الطيور يتأقلم على العيش والنمو فى منطقتين مختلفتين ومتباعدتين تمامًا. فلربما أمكنه هو أيضًا التعود على هذا الاختلاف.

ظلَّ لفترة طويلة فى مكانه يراقب العش حتى إنه كاد يتأخر عن موعد الحافلة المدرسية، وكان عليه أن يهرول عابرًا مجموعة المساكن الأخيرة ليلحق بالحافلة قبل انطلاقها. وكان آخر مَن استقلها من التلاميذ.

(*) الأوسبرى: أحد أنواع طيور العقاب التى تعيش فى أمريكا الشمالية.

Twitter: @alqareah

عمَّ هدوء غريب التلاميذ وهو يسير فى ممر الحافلة، وحين جلس فى المقعد المجاور لفتاة تجلس إلى النافذة نهضت الفتاة من مقعدها وانتقلت لتجلس فى صف آخر.

انتاب روى شعور سيئ غير مريح، ولكنه لم يرغب فى التطلع حوله للتحقق من صحة شعوره. لبَدَ فى مكانه وتظاهر بقراءة كتابٍ هزليٍّ. سمع صوت تهامس الأولاد فى المقعد الخلفى، تبعه صوت حركة سريعة وحمل للكتب وحقائب الظهر، وفى لمح البصر انزاح جميع التلاميذ وأحس روى بوجود شخص ضخم متسكع يجلس بجانبه.

قال روى وهو يتحرك ببطء فى مكانه: «أهلاً يا دانا».

«هااى ــ يا راعية البقر».

بعد مرور أسبوع لايزال أنف دانا ماثرسون وارمًا ومحتقنًا بلون بنفسجى، ولكنه قطعًا لم يكن بارزًا من وسط جبينه كما وصفه جاريت.

ولكن الشىء الوحيد الجاذب للانتباه فى مظهر دانا كان انتفاخًا وندبة ضخمة فوق شفته العليا، لم تكن موجودة حين مرَّ عليه روى ليسلمه رسالة الاعتذار على مدخل بيته. تساءل روى إن كانت أم دانا هى التى تسببت بهذا الورم الظاهر على فمه.

أدت الإصابة المستجدة للولد المشوه الضخم إلى لثغة فى النطق.

قال لروى بلسان ألثغ ونطق غير واضح: «أنت وأنا وراءنا أمرٌ علينا تسويته».

قال روى: «أى أمر؟ لقد قدمت إليك اعتذارًا وسوينا ما بيننا».

ثبَّت دانا يدًا متعرقة. بحجم يد الخنزير أمام وجه روى وهو يقول: «نحن أبعد ما نكون عن تسوية الحساب».

Twitter: @alqareah

لم يتمكن روى من الإجابة فقد كان فمه مغطى بيد دانا، وفى الواقع لم يكن لديه شىء كثير يقوله.

أخذ يتطلع من خلال أصابع دانا المكتنزة التى تعبق برائحة السجائر.

زعق دانا: (تتأفَّف!)... ستأسف على اليوم الذى عرفتنى فيه، فسأكون لك كابوسًا مرعبًا».

توقفت الحافلة فجأة. فأبعد دانا بسرعة قبضته عن وجه روى وشبك يديه معًا خوفًا من أن يراه سائق الحافلة فى المرآة. ركب الحافلة ثلاثة أولاد من عمر روى، وما إن لمحوا دانا حتى تزاحموا للجلوس على المقاعد الأمامية.

بعد أن تحركت الحافلة عاد دانا للإمساك بروى الذى ضربه على يده ليبعدها عنه. تراجع دانا إلى الوراء وهو يحدق بروى غير مصدق ما حدث له.

سأله روى: «ألم تقرأ الرسالة؟ فلتعلم إذن أن الأمور ستظل هادئة ما بيننا لو تركتنى وشأنى».

قال دانا بلثغة: ألم تضربنى حالاً؟ ألم تثفعنى «تصفعنى» على يدى؟

أجاب روى وهو يلثغ مثله هازئًا منه: «إذن اثفعنى بالمثل».

توسعت عينا دانا وهو يقول: «ماذا تقول؟».

أقول إنك بحاجة لاختبار للثمع (للسمع) واختبار آخر للقدرات العقلية.

لم يعد روى واثقًا مما استحوذ عليه ليثير جنون ولدٍ ضخمٍ وعنيفٍ.

فهو بالذات لا يطيق أن يعامله أحد بوقاحة، وبجلافة. ولكن البديل أن يبدو جبانًا أو متوسلاً. وهذا أمر لا يحتمله ولا يسمح لنفسه بالتعرض لهذا النوع من الذل.

وكلما انتقلت عائلة إيبرهاردت من مدينة إلى أخرى، كان على روى أن يلتقى بمجموعة جديدة من الأجلاف المتنمرين المثيرين للشغب.

Twitter: @alqareah

ويعتبر روى نفسه الآن خبيرًا بهذه الفئة من الأولاد. فهو إن تماسك وجابههم، عادة ما يتراجعون أو يبحثون عن ولد آخر لينغصوا عليه.

ولكنَّ النزوع من ناحية أخرى إلى إهانتهم فيه الكثير من المجازفة والخطر.

لاحظ روى وجود ولدين ضخمين من أصحاب دانا يراقبان المشهد فى مؤخرة الحافلة، مما يعنى أن دانا سيجد نفسه مضطرًّا لأن يستعرض قواه العضلية.

قال روى: «اضربنى».

«ماذا؟».

«افعلها. ليستريح بالك».

«أنت قطة مزعجة يا إيبرهاردت».

«وأنت غبى كدلوٍ من الطين يا ماثرسون».

وهكذا انطلت عليه الحيلة، تقدم دانا من مقعد روى ولكمه على جانب رأسه.

قال روى بعد أن سوَّى نفسه: «هل تشعر الآن بأنك أفضل حالاً؟».

علَّق دانا: «هذا صحيح تمامًا».

قال روى وهو يستدير فاتحًا الكتاب الهزلى: «حسنًا».

عاد دانا للكمه من جديد، فانقلب روى إلى الجانب الآخر من المقعد. ضحك دانا بقسوة وصرخ مفضيًا بشىء ما لأصدقائه.

عاد روى لتسوية جلسته بسرعة، كان يشعر بألم شديد فى رأسه ولكنه ودَّ لو لم يعلم أحدٌ بألمه. تعمد التظاهر بعدم الاكتراث، لمَّ كتابه الهزلى من أرض الحافلة ووضعه على حجره.

هذه المرة ضربه دانا باليد الأخرى التى تعادل الأولى ضخامة وتعرقًا.

وحين انطرح روى على الأرض أطلق صرخة ألم غير إرادية غرقت تحت صوت الطرد الغازى العالى لكابح الحافلة.

Twitter: @alqareah

بدت بارقة أمل لروى أن يكون السائق قد لاحظ ما حصل فأوقف الحافلة إلى جانب الطريق لفض الاشتباك، ولسوء الحظ لم يكن هذا سبب توقفه ـ فقد كان السائق غافلاً تمامًا عن سلوك دانا السيئ أكثر من أى وقت مضى ـ كل ما فى الأمر أن الحافلة وصلت للموقف التالى.

وبينما أخذ صف جديد من الأولاد فى الصعود إلى الحافلة، ضبط دانا نفسه وجلس متأدبًا كما لو أنه مواطن مثالى. ركز روى نظراته على كتابه الهزلى. وكان يعلم أن التعذيب سيُستأنف مع تحرك الحافلة. شجَّع نفسه وهو يشعر بالخوف لتلقى الضربة التالية. ولكنها لم تأتِ.

مرت مجموعات البيوت الواحدة تلو الأخرى وهو يجلس متحجرًا على مقعده دون حراك ينتظر أن يُطرح أرضًا مرة أخرى. وأخيرًا تغلب عليه حب الاستطلاع فاختلس نظرة من وراء كتفه الأيسر. كان من الصعب عليه أن يصدق ما رأى. كان دانا يجلس متخاذلاً ومتثاقلاً بمرارة فى المقعد المجاور للنافذة.

صعد أحد الركاب إلى الحافلة فى الموقف الأخير، مما أفسد على دانا تسليته القذرة، وكان يتحلى بقدر من الشجاعة، بحيث جلس فى المقعد المجاور لروى، إلا أنَّ الوافد الجديد باغت روى بقوله: «فيم تحدِّق؟».

وبالرغم من شدة آلام رأسه كان عليه أن يبتسم قائلاً: «أهلاً يا بياتريس».

Twitter: @alqareah

الفصـــل التاسـع

أصبح الذهاب إلى المدرسة مدمرًا لأعصاب روى؛ ففى كل مرة يدخل الفصول الدراسية يتوقف التلاميذ عمَّا يقومون به ليتفرسوا فى وجهه كما لو أنهم يشعرون بالدهشة لكونه لايزال على قيد الحياة، وأن أعضاء جسمه لاتزالُ كتلة واحدة سليمة.

بعد أن خرج روى من حصة الجبر سمع صوتًا ذا نغمة عجيبة مفرقعة وراءه فى فناء المدرسة. إنه جاريت الذى شدَّ روى من كم قميصه وقاده إلى الحمام.

نصحه جاريت قائلاً: «يبدو عليك المرض. عدِ اليوم إلى منزلك مبكرًا».

قال روى : «أشعر أننى بخير». لم يكن هذا صحيحًا، فلايزال يشعر بألم فى رأسه من أثر اللكمات التى صوبها دانا إليه فى الحافلة.

قال جاريت عارضًا النصيحة: «أنت لا ترغب فى الإنصات إلىَّ ولا يهمنى رأيك. إنك مريض بالفعل هل تفهمنى؟ أنت بحاجة لأن تتصل بأمك وتعود إلى منزلك».

- «ما الذى سمعته؟»

- «سيكون بانتظارك بعد الحصة السابعة».

قال روى : إذن، فلنتركه ينتظر.

أدخل جاريت روى إحدى دورات المياه وأقفل الباب من الداخل.

Twitter: @alqareah

قال روى: «هذا تصرف الضعفاء»

وضع جاريت إصبعه على شفتيه وهو يهمس شاعرًا بالإثارة: «أعرف ولدًا يشترك مع دانا فى حصة الألعاب سمع من دانا أنه ينوى أن يمسك بك قبل ركوبك حافلة المدرسة».

- «وماذا سيفعل بى؟»

- «طخ!!!!».

سأل روى : «هنا فى المدرسة؟!».

- «بروو. لن أكون موجودًا لأعرف. هيه! إنك لم تطلعنى كذلك على أنك دمَّرتَهُ وقطعته إربًا».

- «للأسف، لم أفعل». فتح روى قُفل باب دورة المياه، وأخرج صديقه منها بلطف، ونادى عليه جاريت من وراء الباب:

- «قل لى ماذا ستفعل؟»

- «سأتبول».

- كلا، أنت تعلم عمَّن أتكلم».

- «سأفكر بأمر ما».

ولكن، ما هو؟ حتى لو استطاع روى أن يهرب من لقاء دانا ماثرسون من بعد ظهر هذا اليوم، فالمأساة ستبدأ من جديد يوم الاثنين القادم.

سيستأنف دانا اللكم والضرب، وهكذا كان على روى أن يحلم بخطة هرب ثانية. وسيظلان على هذا المنوال حتى نهاية السنة الدراسية فى شهر يونيه.

كان لدى روى اختيار آخر، ليس مفضَّلاً بالضرورة، فلو أنه أخبر الآنسة هينيبين باعتداءات دانا المتكررة فلن تزيد على أن تستدعيه إلى مكتبها؛ لتوجه له محاضرة صارمة يسخر منها دانا، فمن الذى سيأخذ بجديةٍ كلام نائبة رئيس ذات

Twitter: @alqareah

شعرة نابية تنبت فوق شفتها! ولو أن روى أخبر والديه عن مشكلته مع دانا، فربما انزعجا لدرجة تجعلهما ينقلانه من مدرسة تراس ميدل. وهكذا سينتهى به الأمر إلى إحدى المدارس الخاصة؛ حيث سيُجبر على ارتداء الزى المقيت يوميًّا - أو حسب قول جاريت - على تعلم اللغة اللاتينية.

ويبدو أن أمامه خيارًا ثالثًا وهو محاولة الاعتذار إلى دانا مرة أخرى. اعتذار يتسرب منه الشعور بالندم وسلامة النية، ولكن هذا لن يشعره بالذل والمهانة فحسب، بل ربما أخفق فى تحقيق التأثير المطلوب.

سيواصل دانا تعذيبه والتنغيص عليه بلا رحمة.

كان اختياره الأخير أن يصمد ويقاتل. كان روى ولدًا عمليًّا يعلم تمامًا أنه سيتعرض للكثير من الأذى والمواقف الشاذة للتنكيل به، ومن ناحيته كان يملك سرعة التصرف والعقل المفكر، ولكن دانا كان ضخمًا بإمكانه عصره كحبة عنب.

عاد روى بذاكرته إلى الوقت الذى تبادل فيه الحديث مع والده عن القتال. قال له السيد إيبرهاردت فى ذلك الحين: «من المهم جدًّا أن تصمد حين تكون على حق. ولكن أحيانًا هناك خيط رفيع جدًّا بين الشجاعة والغباء».

فكر روى بارتياب. فصراعه مع دانا ماترسون يمكن أن يعد من التصنيف الأخير.

ومع أنه يكره فكرة أن يُعجن من الضرب، إلاَّ أن ما يزيد من قلقه هو الحزن الذى سيبدو على والدته، فهو على وعى تام بأنه ابن وحيد، وبأنها ستنهار إذا ما أصيب بسوء.

كان روى على وشك أن يحظى بأخت صغيرة.. ومن المفترض أنه ليس على علم بالأمر، حملت أمه بجنين لمدة خمسة أشهر، ثم شعرت فى ليلة من الليالى بتعب شديد. ونقلتها سيارة الإسعاف بسرعة إلى المستشفى، وحين عادت بعد

Twitter: @alqareah

عدة أيام لم تعد حاملاً. ولم يعطه أحد أى تفسير. كان روى فى الرابعة من عمره فى ذلك الحين، وكانت خيبة أمل والديه كبيرة لدرجة أنه خاف أن يوجه لهما آنذاك أى سؤال، وبعد مضى عدة سنوات أخبره أحد أولاد عمه عن معنى الإجهاض وأسرَّ له أن أمه فقدت طفلتها.

ومنذ ذلك الحين وهو يحاول ألا يسبب لأهله ما يزيد من قلقهم عليه، فحين كان يمتطى صهوة حصان، أو يركب دراجة، أو يمارس هوايته بالتزحلق على الجليد كان يمنع نفسه من التهور والانسياق وراء بعض الحركات الهوجاء التى عادة ما يحاول الأولاد -فى عمره- القيام بها ليس لأنه خائف على سلامته، ولكن لأنه يشعر بأن هذا واجبه المقدس كولد وحيد.

ولكن ها هو ذا فى ذلك الصباح يُهان ويُستفز فى حافلة المدرسة من نفس الولد السفاح، القاتل، الصغير العقل كحبة البازلاء الذى أخذ بخناقه لدرجة الموت. وأحياناً لم يكن روى يفهم ماذا يعتريه.

فكثيرًا ما يتملكه الغرور لدرجة ليست فى صالحه.

كانت آخر حصة فى ذلك اليوم «تاريخ أمريكا». وبعد أن قُرع الجرس انتظر روى خروج آخر الطلبة فى الفصل، ثم نظر متجسسًا بحرص نحو الفناء، لم يكن هناك من أثر لدانا ماثرسون.

- «روى، هل هناك ما يزعجك؟»

كان هذا هو السيد ريان مدرس مادة التاريخ واقفًا وراءه فى الفصل.

قال روى هامسًا وهو يخطو خارج الفصل: «كلا، كل شىء على ما يرام».

أقفل السيد ريان باب الفصل وراءهما.

سأله روى: هل ستذهب الآن إلى منزلك؟»

- «أتمنى ذلك. ولكن علىَّ أن أضع الدرجات على الأوراق».

Twitter: @alqareah

لم يكن روى على معرفة جيدة بالسيد ريان، ولكنه سار معه طوال الطريق حتى قاعة الاستراحة، وتحدث مع الأستاذ حديثًا قصيرًا، حاول أن يتصرف بتلقائية وهو ينظر باستمرار وراءه؛ ليرى إن كان دانا مترصدًا له فى مكان ما.

حدثه السيد ريان عن ممارسته لعبة كرة القدم حين كان فى الكلية، وأنه منذ ذلك الحين لم يعد يشعر أبدًا بالضعف أو بالدونية. وهذا ما أعطى روى شعورًا نسبيًا بالأمان والراحة، كما لو أنه يسير بجوار والده.

سأله السيد ريان: «هل ستستقل الحافلة إلى البيت؟».

قال روى: «بالتأكيد».

- «ولكن، موقف الحافلات فى الجهة الأخرى من المدرسة.. أليس كذلك؟»

- «أووه! كل ما هنالك أننى أقوم ببعض التمرين».

وحين وصلا إلى باب قاعة استراحة المدرسة، قال السيد ريان: «لا تنس اختبار يوم الاثنين».

قال روى: «هذا صحيح. إنه عن حرب سنة 1812. أنا مستعد له».

- «هل أنت مستعد فعلاً؟ مَنْ كسب معركة بحيرة إيرى؟»

- «إنه كومودور بيتى».

- «أىٌّ منهما ماثيو أم أوليفر؟»

خمَّن روى ثم قال: «ماثيو».

غمز له السيد ريان وهو يقول: «ذاكر أكثر قليلاً، أتمنى لك عطلة أسبوع سعيدة».

بعدها أصبح روى وحيدًا فى البهو. من المدهش ملاحظة السرعة التى تخلو بها المدرسة بعد قرع الجرس الأخير. بدا الأمر كما لو أن أحدًا جذب السدادة من تحت بلاعة مياه ضخمة. أصغى روى منصتًا؛ علَّه يسمع صوت أقدام متسللة

Twitter: @alqareah

ولكنه لم يسمع سوى صوت (التيك ، تيك، تيك) تكات الساعة التى تعلو باب مخبر العلوم.

لاحظ روى أنه لم يتبقَّ له سوى أربع دقائق حتى يصل إلى منطقة وقوف الحافلات.

ومع ذلك، لم يكن قلقًا، فقد اتخذ طريقًا مختصرًا خلال الملاعب الرياضية. كانت خطته أن يكون ضمن آخر التلاميذ الذين سيصعدون إلى الحافلة؛ وهذا يعنى أنه سيتمكن من الجلوس على أحد المقاعد الفارغة فى الصفوف الأمامية، وأن يقفز من الحافلة بسرعة عند الموقف القريب من منزله.

فعادة ما يحتل دانا ورفاقه المفضلون الصفوف الخلفية، وقلَّما يزعجون الأولاد الجالسين فى الأمام بالقرب من السائق.

فكَّر روى: ولكن هذا لا يعنى أن السيد كيسى سيلحظ يومًا أى شىء.

ركض إلى آخر الفِناء واستدار إلى اليمين متوجهًا نحو الباب المزدوج الذى يميز المدخل الخلفى لقاعة الجمباز. كان على وشك أن يصل إليه.

فلنكن واضحين كالكريستال بالنسبة لهذا الموضوع يا سيد برانيت.

فأنت لم تبعث بتقريرك إلى الشرطة.. أليس كذلك؟

قال كيرلى مؤكدًا عبر الهاتف: «نعم يا سيدى».

- «إذن، فليس هناك أوراق تثبت الحادثة. هل هذا صحيح؟ ليس هناك أى احتمال فى وصول هذه التفاهات الأخيرة إلى الصحافة».

- «لا يمكننى تصور أى احتمال من هذه الاحتمالات يا سيد ماكل».

بالنسبة لكيرلى، كان هذا يومًا آخر طويلاً وغير مشجع.

أشرقت الشمس وبرزت أخيرًا من خلال الغيوم، ولكن ما حدث بعد ذلك كان مثيرًا للإحباط؛ ظل موقع الإنشاء على حاله غير ممهد، وظلت المعدات التى ستحفر الأرض وتنقل الأتربة عاطلة عن العمل.

Twitter: @alqareah

حاول كيرلى قدر طاقته أن يؤجل الاتصال بالمكتب الرئيسى للأم باولا.

زعق تشاك ماكل قائلاً: «أهذه فكرتك للمزاح؟ إنها مزحة ثقيلة».

- «أنا لا أمزح».

- «أخبرنى من جديد بكل التفاصيل التعيسة».

وهكذا أخذ كيرلى يعيد سرد كل شىء، بداية منذ وصوله إلى الموقع فى الصباح. أول إشارة عن المشاكل كانت رؤيته لكالو وهو يلوح بشمسية حمراء بالية ويلاحق كلابه الأربعة الشرسة على طول المحيط الداخلى للموقع المسيج. كان يزعق باللغة الألمانية بصوت هستيرى. ظل كيرلى فى مكانه خارج السياج يراقب محتارًا آملاً ألا تعضه الكلاب المتوحشة وألا تنطحه الشمسية الحمراء.

وصلتْ إلى الموقع سيارة دورية كوكنت كوف؛ لتتحرى الأمر. إنه الشرطى دلينكو ذاته الذى أخذ غفوة فى أثناء حراسته لموقع البناء.

كان هو من تسبب فى الضجة التى أثارتها الصحيفة عن الطلاء المرشوش، وأغرقت كيرلى ومؤسسة الأم باولا بالمياه القذرة.

قال الشرطى دلينكو وهو يرفع صوته ليعلو على صوت نباح الكلاب:

«كنت فى طريقى إلى المكتب حين شاهدت هذا الصخب. ما الذى أصاب هذه الكلاب؟»

قال كيرلى بلغته السوقية: «لا شىء. إنها فقط تمارين تدريبية». أخذ الشرطى بكلام كيرلى وقاد سيارته بعيدًا مما أثلج صدر كيرلى. ما إن استطاع كالو إعادة تقييد الكلاب بالطوق حتى أسرع بإدخالها إلى خيمة الشاحنة، وقام بإقفال الباب الخلفى للحاجز، ثم استدار غاضبًا نحو كيرلى وحرَّك الشمسية فى الهواء مهددًا وهو يقول بلكنته الألمانية الواضحة:

«أنت.. أنت حاولت أن تقتل كلابى».

Twitter: @alqareah

رفع رئيس العمال كفيه وقال: «ما هذا الذى تتكلم عنه؟»

فتح كالو الحاجز واندفع نحو كيرلى الذى كان يتساءل محتارًا، إن كان عليه أن يلتقط حجرًا ليدافع به عن نفسه. غرق كالو فى عرقه، وتورمت أوردة عنقه من الغضب. ازدادت حدة لكنته الألمانية، وقال كمن يبصق الكلمة: «ثعابين!».

- «ماذا؟ ثعابين!».

- «نعم. أنت تعلم ما معنى الثعابين! هذا المكان يعج بها وهى ثعابين سامة.. نعم إنها ثعابين سامة بذيول لامعة».

قال كالو هذا وهو يهز أحد أصابعه الوردية.

- «لا أريد إهانتك. ولكن على ما يبدو أنك معتوه». لم يسبق لكيرلى أن رأى أى ثعبان على موقع الأم باولا. لا ريب بأنه سيتذكر لو صادفه واحد منها. فالثعابين تصيبه بالرعشة.

- «أنت تقول إننى معتوه؟»

أمسك كالو بكيرلى من تحت إبطه وقاده نحو المقطورة المتنقلة التى يستخدمها كيرلى كمكتب له على الموقع. وهناك كانت تتلوى فى دعةٍ على الدرجة الثانية من السلم حية من الجنس المرقط السميك التى تعرَّف عليها كيرلى فهى نوع من أنواع الصلال الأمريكية (الموكاسان) التى تعيش فى مياه الأنهار والشائع وجودها فى المنطقة الجنوبية من فلوريدا .

وكان كالو على حق؛ فهى من النوع السام جدًّا. وكان ذيلها برَّاقًا لامعًا.

وجد كيرلى نفسه يتراجع إلى الوراء قائلاً لكالو: «أظن أنك تولى الأمر أكثر مما يستحق».

- «نعم! أذلك مبلغُ ظنك؟».

ثم قام مدرب الكلاب بجره نحو السياج؛ ليشير إلى ثعبان آخر، ثم آخر،

Twitter: @alqareah

ولم يزل هناك المزيد منها، وصل مجموعها إلى تسعة ثعابين. وانتاب كيرلى الذهول.

- «والآن، ما رأيك؟ ألا تزال مصرًّا على أن كالو معتوه وأبله وقمىء؟»

أقر كيرلى مرتعشًا: «لا يوجد لدىَّ أى تفسير. فلربما أخرجتها غزارة الأمطار من تحت هذا المستنقع الموحل»

- «طبعًا، بالتأكيد».

- «استمع إلىَّ أنا .....».

- «لا.. أنت من سيستمع إلىَّ. إن كل واحد من هذه الكلاب يساوى ثلاثة آلاف دولار، وهذا يعنى اثنى عشر ألف دولار تنبح.. ها هنا فى الشاحنة. هل تعلم ماذا سيحدث؟ ستلدغ الثعابين الكلاب وتتسبب فى نفوقها».

- «أقسم لك أنه لا عِلْمَ لِى بوجود الثعابين».

- «إنها لمعجزة أن الكلاب لاتزال سليمة. كان الثعبان قريبًا جدًّا من الوجه المضحك، لقد كان يلاحقه!» قال كالو هذا مشيرًا إلى مسافة طولها نحو الياردة، «عندها أمسكتُ الشمسية وحاولت أن أدفعه بعيدًا عنه».

وفيما هو يتكلم زلَّت قدم كالو خطأً وتعثَّر بجُحر للبوم فالتوى كعبه، ومضى قافزًا على رِجل واحدة نحو شاحنته رافضًا أى مساعدة من كيرلى.

قال ساخطًا مهتاجًا بلكنته الألمانية: «أنا ذاهب الآن، وإياك أن تتصل بى ثانيةً».

- «اسمع. سبق وأبديت أسفى. بكم أنا مدينٌ لك؟»

- «سأبعث لك بورقتى حساب؛ واحدة من أجل الكلاب، والأخرى من أجل رِجلى».

- «أووه. لا تبالغ».

- «حسنًا. قد أتصل بالمحامى، بدلاً من أن أفعل ذلك».

Twitter: @alqareah

أخذت عينا كالو الباهتتان تومضان، وهو يقول: «قد لا يمكننى بعد الآن تدريب الكلاب، فرِجلاى تؤلماننى جدًّا. وربما أصبح -كيف تقولها- معاقًا!!

- «أرجوك لا تنفِّذ ما تقوله. وحقّ القديس بيتر».

- «إن مؤسسة الأم باولا كبيرة جدًّا ولديها الكثير من المال.. أليس كذلك؟» وبعد أن ذهب كالو وهو يجأر زاعقًا، شق كيرلى طريقه بحرص نحو المقطورة. لم تعد الحية تتمدد متشمسةً على السلم.

ولكن كيرلى لم يخاطر بأى احتمال.

وضع سلَّمًا على جانب المقطورة وتسلقه ليدخل من خلال النافذة.

ولحسن الحظ، كان قد احتفظ برقم هاتف صائد الزواحف الذى استطاع أن يُخرج بنجاح التماسيح من دورات المياه. كان الرجل مشغولاً بالبحث عن السحالى فى مكان ما، ولكن سكرتيرته وعدت بأنه سيحضر إلى الموقع فور انتهائه من عمله.

ظل كيرلى محاصرًا فى المقطورة نحو ثلاث ساعات إلى أن فتح صائد الزواحف باب الموقع. كان يتسلح فقط بوجه مخدة وملقاط حديدى معدل بخمس مساكات مخصص لالتقاط الثعابين. مسح الرجل -بخبرة- موقع بيت الفطائر باحثًا عن الحيات المائية ذات الأذيال البراقة.

وخلافًا للمعقول، لم يجد لها أثرًا.

علّق كيرلى مندهشًا: «هذا مستحيل. لقد كانت تنتشر هذا الصباح فى كل مكان على الموقع».

هزَّ صائد الزواحف كتفيه قائلاً: «لا يمكن التكهن بمخابئ الثعابين.. من يعلم أين اختفت؟».

- «ليس هذا ما أريد سماعه».

Twitter: @alqareah

- «هل أنت واثق أنها ثعابين مائية من فصيلة (الموكاسان)، لم أَرَ قط أيًّا منها بأذناب لامعة».

ردَّ عليه كيرلى محقِّرًا: «شكرًا لمساعدتك» وأقفل وراءه باب المقطورة.

والآن ها هو ذا بدوره ينال حصته من التنكيد والسخرية من الطرف الآخر من الهاتف. كان تشاك ماكل يقول:

«ربما تمكنَّا الآن من تدريب الثعابين على حراسة الموقع، مادامت الكلاب لم تفِ بالغرض».

- «ليس فى الأمر ما يُضحك».

- «أصبتَ فى هذا يا سيد برانيت. فهو غير مضحك أبدًا».

قال كيرلى: «هذه الثعابين يمكن أن تقتل إنسانًا».

- «حقًّا. ولكن هل يمكنها أن تقتل سيارة نقل الأتربة أيضًا؟»

- «حسناً. على الأرجح لا».

- «إذن. ماذا تنتظر؟»

تنهد كيرلى قائلاً: «نعم يا سيدى. سأبدأ العمل فى الصباح الباكر من يوم الاثنين».

قال تشاك ماكل: «كلامك كالموسيقى يشنف أذنىَّ».

كانت خزانة البواب الصغيرة تعبق برائحة مواد التنظيف وإزالة البقع النفاذة، كما كانت كالحة الظلام. خرج دانا ماترسون من داخلها وقام باختطاف روى وهو يركض فى طريقه نحو صالة ملاعب الجمباز، وجرَّه نحو الخزانة وأقفل بابها عليهما من الداخل. استطاع روى بخفة أن يتخلص من قبضة دانا الرطبة وأن يتكوَّم على أرض الغرفة المزدحمة بأدوات التنظيف.

Twitter: @alqareah

كان دانا يتعثر ويضرب روى كيفما اتفق، جلس روى على مؤخرته؛ محاولاً أن يستكشف ما حوله على بصيص نور رفيع من شق أسفل باب الخزانة. تلقى لكمة موجعة من مكان ما من فوقه، تلاها صوت صرخة ألم كالنباح. يبدو أن دانا قد سدد لكمة عنيفة علوية إلى دلوٍ معلق من الألومنيوم.

بشكلٍ ما، تمكن روى من معرفة موقع مقبض الباب من خلال الظلام. فتح الباب واندفع ليخلص نفسه. كان يطل برأسه فقط نحو الممر حينَ أمسك به دانا من جديد. أحدثت أطراف أصابعه صوت احتكاك بأرضية الخزانة ودانا يسحبه ثانية إلى داخلها، ويغلق الباب من جديد كاتمًا صوت روى وهو يصرخ طالبًا النجدة.

وبينما أخذ دانا يجره بعنف على الأرض، حاول روى -يائسًا- أن يمسك بأى شىء ليدافع به عن نفسه. عثرت يده اليمنى على ما أحس أنه يد مكنسة خشبية.

همس دانا بصوت أجش: «أمسكت بك الآن يا راعية البقر».

وأطبق بيديه على روى كالدب بضمة عنيفة أفرغت الهواء من رئتيه كما يُفرغ الهواء من آلة الأكورديون. كانت يدا روى مثبتتين إلى جانبيه ورجلاه تتأرجحان بتراخ كرجلى دمية من القماش.

قال دانا مبتهجًا بلسانه الأقرط: «والآن، ألا تشعر بالأسف لأنك تعرفت إلىَّ؟»

ازداد شعور روى بالغثيان قوةً، وأفلتت يد المكنسة الخشبية ووقعت من بين أصابعه، وقد امتلأت أذناه بأصوات كانكسار أمواج البحر.

كانت قبضة دانا خانقة، ولكن روى وجد أن باستطاعته تحريك أسفل رجليه. استجمع قواه التى لم تستنفد بعد، وبدأ يضرب بقدميه للحظة، لم يتبدل شىء وبعدها شعر روى بنفسه وهو يرتمى على الأرض على ظهرِهِ ووجهه إلى أعلى. وهكذا حمته حقيبة الظهر من عنف الوقعة. لم يكن باستطاعته أن يعرف أى شىء من شدة الظلام إلا أنه خمَّن من صوت لهاث دانا وأنينه أنه تلقى لكمة فى منطقة

Twitter: @alqareah

حساسة بجسده. كان روى يعلم أن عليه أن يتحرك بسرعة. حاول أن يستدير، ولكنه شعر بضعف شديد وبصعوبة فى التنفس على إثر ضمة دانا الوحشية.

ظل مستلقيًا على ظهره، لا حيلة له كسلحفاة نُقرت لتنقلب على ظهرها. وحين سمع صوت جئير دانا أغلق روى عينيه وانطوى على نفسه منتظرًا ما هو أسوأ. سقط دانا بكل ثقله فوقه مثبتًا بإحكام مخالبه المكتنزة حول عنق روى.

فكّر روى: «هذه هى نهايتى. هذا المعتوه الضخم سيقتلنى بالفعل. شعر روى بدموعه الساخنة تتدفق على وجنتيه. «أنا آسف يا أمى. فربما كان عليكما أنتِ وأبى أن تعيدا محاولة الإنجاب من جديد».

فجأة، فُتح باب خزانة التنظيف، وعلى ما يبدو انزاح الثقل عن صدر روى. فتح عينيه فى الوقت الذى أبعد دانا ماترسون قبضته عنه وقد تطوحت يداه وظهر تعبير ذهول على وجهه الذى امتلأ بالخدوش. ظلّ روى على الأرض كاتمًا أنفاسه محاولاً أن يتصور ما حدث. فربما سمع السيد ريان أصوات القتال، فقد كان يملك من القوة ما يكفى لرفع دانا كرزمة من علف الماشية.

أخيرًا، انقلب روى على وجهه ونهض واقفًا على رجليه. بحث عن مفتاح النور وأعاد تسليح نفسه بيد المكنسة؛ خوفًا من تعرضه لهجوم جديد. وحين أخرج رأسه من باب الخزانة، رأى الممر خاليًا.. أسقط روى يد المكنسة وانطلق كالبرق نحو أقرب مَخرج.

لقد فعلها تقريبًا.

الفصل العاشر

تذمَّر روى قائلاً: «تخلَّفتُ عن الحافلة».

قالت بياتريس: «أما إنها لمشكلة كبيرة! وأنا تخلفت عن تمرين كرة القدم».

- «وماذا بالنسبة لدانا؟»

- «سيعيش».

لم يكن السيد ريان من أنقذ روى من الخنق فى الخزانة. كانت بياتريس ليب قد تركت دانا ماثرسون عاريًا إلاَّ من ثيابه الداخلية، بعد أن أجبرته على خلع ثيابه وأوثقته مربوطًا على سارية العلَم أمام مبنى إدارة مدرسة تراس ميدل. ومن نفس المكان أجَّرت دراجة وأرغمت روى على الركوب على المِقوَد وانطلقت تقود الدراجة بسرعة جنونية إلى جهة مجهولة.

تساءل روى: «هل هذه عملية اختطاف بمعناه القانونى؟»

بالتأكيد هناك قانون يمنع أحد الأولاد من اختطاف ولد آخر من فناء المدرسة.

- «إلى أين نحن ذاهبان» توقع روى أن تتجاهل بياتريس سؤاله كما سبق وفعلت، لكنها هذه المرة أجابته: «إلى منزلك».

- «ماذا؟»

- «ابقَ هادئًا. هل تفهم؟ فلست فى مزاج جيد يا راعية البقر».

استطاع روى أن يخمن من نبرة صوتها أنها منزعجة من شىء ما.

Twitter: @alqareah

قالت له: «إننى بحاجة إلى مساعدتك فى الحال».

- «بالطبع. أى شىء ترغبين فيه».

وهل يمكنه قول شىء آخر؟ كان معلقًا على المقود خائفًا على حياته وبياتريس تتطوّح عند تقاطع طريق مزدحم؛ لتدخل فى صفوف السير. وعلى الرغم من أنها كانت تقود الدراجة بمهارة فائقة، فقد شعر روى بالقلق والعصبية.

قالت بياتريس: «أريد ضمادات للجراح، ومرهمًا لمنع الالتهاب. هل تحتفظ أمك بشىء من هذه التجهيزات؟»

- «طبعًا». فإن لدى والدة روى من المؤن الطبية ما يكفى لغرفة طوارئ صغيرة.

- «حسنًا. اتفقنا. والآن كل ما يلزمنا هو قصة ملفقة نغطى بها طلبنا هذا».

- «ما الذى يحدث؟ ما الذى يمنعكِ من الحصول على ضمادات من بيتكم؟»

ضغطت بياتريس على فكها، وداست على الدواسة لتنطلق بسرعة أكبر وهى تقول: «لأن هذا أمر لا يعنيك». خامر روى شعور وسوس له بأن شيئًا سيئًا حدث لأخى بياتريس غير الشقيق.. الولد الهارب.

رحبت بهما السيدة إيبرهاردت على باب المنزل وهى تقول: «لقد انتابنا القلق يا عزيزى. هل تأخرت الحافلة؟ أووه. من هذه؟»

- «أمى.. هذه بياتريس، أوصلتنى إلى البيت».

- «أنا سعيدة جدًّا بلقائك يا بياتريس». لم يكن هذا مجرد مجاملة من أم روى. فقد ظهر عليها الانشراح واضحًا. فهى سعيدة لأن ابنها اصطحب معه إلى البيت صديقة، مع أنها تبدو قاسية الملامح.

- «سنذهب إلى منزل بياتريس؛ لإتمام بعض الواجبات المدرسية. هل توافقين؟»

- «لم لا تذاكران هنا؛ فالبيت هادئ؟».

Twitter: @alqareah

قاطعتها بياتريس: «إنها تجربة فى مادة العلوم. وقد نعيث فسادًا فى المنزل».

كتم روى ابتسامته؛ فقد أحسنت بياتريس الحكم على أمه، فالسيدة إيبرهاردت تحافظ على ترتيب ونظافة المنزل بشكل مميز. تقطب جبين الأم وهى تتخيل أنابيب الاختبار تفور بمواد كيميائية.

سألت الأم: «هل هى تجربة آمنة؟»

ردَّت بياتريس مؤكدة: «أووه! إننا نلبس دائمًا قفازات مطاطية ونظارات واقية».

كان من الواضح لروى تمرُّس بياتريس فى تلفيق القصص للكبار، فالسيدة إيبرهاردت انطلت عليها الحكاية بكاملها.

وبينما أخذت تحضر لهما وجبة طعام سريعة تسلل روى خارج المطبخ واتجه نحو حمام والديه، مخْبأ الإسعافات الأولية فى الخزانة تحت الحوض. أخذ منها روى عُلبة من الشاش، ولفة من الشريط اللاصق الأبيض، وأنبوبة مرهم من المضاد الحيوى يشبه شكل أنبوب الصلصة التى توضع على المشويات.. أخفى كل هذه الأشياء فى حقيبة ظهره.

وحين عاد إلى المطبخ، كانت بياتريس وأمه تتبادلان الحديث على الطاولة، وبينهما طبق من كعكات الفول السودانى بالزبد. كانت وجنتا بياتريس ممتلئتين بالكعك؛ مما اعتبرها روى علامة جيدة على تحسن مزاجها. انجذب روى لرائحة الكعكات اللذيذة الدافئة، فمد يده وأخذ كعكتين من أعلى الرصَّة.

قالت بياتريس وهى تقفز من على الكرسى: «علينا أن نذهب، فأمامنا الكثير من العمل الذى يجب علينا إنجازه».

قال روى: «أنا مستعد».

- «أووه! انتظر. هل تعلم ماذا نسينا؟»

لم يكن لديه أدنى فكرة عمَّا تتحدث عنه بياتريس.

Twitter: @alqareah

قال لها: «ما الذى نسيناه؟»

قالت : «اللحم المفروم».

- «ماذا؟»

- «أنت تعلم من أجل التجربة».

أجاب روى: «آه! فعلاً. هذا صحيح».

وقد اندمج فى اللعبة.

وفى الحال، نهضت أمه وهى تقول: «لدىَّ فى الثلاجة يا عزيزى أوقيتان من اللحم المفروم. كم يلزمكما؟»

نظر روى إلى بياتريس التى ابتسمت ببراءة وهى تقول: «أوقيتان ستفيان بالغرض وتزيدان. شكرًا لك ياسيدة إيبرهاردت».

مضت والدة روى بسرعة إلى الثلاجة وسحبت ربطة اللحم وهى تتساءل: «ما نوع هذه التجربة العلمية على أية حال؟».

وقبل أن يتمكن روى من الإجابة بادرت بياتريس قائلة:

«تحلل الخلية».

تقيم بياتريس ليب مع والدها الذى كان لاعبًا محترفًا للعبة كرة السلة قبل أن يعانى إصابة فى ركبته وإدمانًا لشرب الخمر وعدم حماس للعمل الثابت. كان (ليون، لورش، ليب) من اللاعبين المميزين الذين يحققون أهدافًا عالية فى فريق (كليڤلاند كافليرز)، ثم انضم لفريق (ميامى جيت)، ولكنه وبعد مضى اثنى عشر عامًا على التقاعد من NBN لم يتخذ حتى الآن قرارًا عن كيفية قضائه بقية عمره.

لم تكن أم بياتريس سيدة نافدة الصبر، ولكنها وبعد عناء طُلّقت فى آخر الأمر من ليون؛ لتستكمل العمل فى مهنتها كمدربة للببغاء من فصيلة (كوكاتو)، فى غابة الببغاء وهى منطقة ذات جذب سياحى فى (ميامى).

Twitter: @alqareah

اختارت بياتريس الإقامة مع والدها؛ من ناحية لأنها تعانى حساسية من الببغاء، ومن ناحية أخرى؛ لأنه راودها الشك فى أن ليون ليب سيتمكن من تدبير أمور حياته بمفرده بعد أن أصبح معاقًا.

ومع هذا، وبعد أن تخلت عنه السيدة ليب بسنتين أدهش ليون الناس جميعًا بارتباطه بسيدة تعرَّف عليها فى احتفال مباريات الجولف. كانت (لونا) تعمل كنادلة من النادلات اللاتى يتجولن بلباس السباحة ويقدن عربات كهربائية حول ملعب الجولف؛ لتقديم البيرة وغيرها من المشروبات إلى اللاعبين. لم تتعرف بياتريس على اسم عائلة لونا إلا يوم زفافها من أبيها، كما اكتشفت بياتريس فى اليوم ذاته أنه سيكون لها أخٌ غير شقيق.

وصلت لونا إلى الكنيسة وهى تجر وراءها ولدًا عابسًا بارز عظام الكتفين ذا شعر بَهُتَ لونه؛ لكثرة تعرضه للشمس، وبشرة داكنة. كان يبدو بائسًا فى معطفه وربطة عنقه، ولم ينتظر ليحضر حفلة الاستقبال.

ما إن وضع ليون خاتم الزواج فى إصبع لونا حتى نزع الولد حذاءه الأسود اللامع وأقلع هاربًا، ومن يومها أصبح هذا مشهدًا متكررًا فى سجلات عائلة ليب.

لم تكن لونا على علاقة سوية بابنها. كانت دائمة الخصام والنكد معه. كما خُيِّل لبياتريس أن «لونا» تخاف أن يزعج سلوك الولد (الشاذ) زوجها الجديد. مع أنه لم يبدُ على ليون ليب أنه لاحظ شيئًا. أحيانًا كان يحاول بشكل غير جدى أن يبنى علاقة مع الولد، ولكن كان هناك القليل مما يشتركان فى الاهتمام به، فالولد لا يهتم بما يحبه ليون - الرياضة، الأكلات السريعة، ومشاهدة التلفزيون - وكان يمضى جُلَّ أوقات فراغه يتجول بين الغابات والمستنقعات..

أما بالنسبة لليون فلم يكن رجلاً محبًّا للطبيعة، كان حذرًا من أى حيوان صغير لا يلبس طوقًا معلقًا به بطاقة تثبت أنه مطعَّم ضد مرض الكلب.

Twitter: @alqareah

وفى إحدى الليالى، أحضر ابن لونا إلى البيت (راكون)(*) يتيمًا حديث الولادة.

وفى الحال، زحف نحو خُفٍّ مفضل عند ليون مصنَّع من جلد حيوانِ الخلد، واستراح فى داخله. غلبت الدهشة على ليون أكثر من الغضب حين اكتشف وجود الراكون داخل خفه، ولكن لونا هى التى جنَّ جنونها. ونتيجة لهذا رتبت مع المسئولين أن يُرحَّل ابنها إلى مدرسة عسكرية لتأهيل الأحداث تابعة للجيش من غير أن تستشير زوجها.

كانت هذه أول محاولة من عدة محاولات لاحقة، فشلت كلها فى إعادة تقويم الولد.

كان نادرًا ما يمكث أكثر من أسبوعين قبل أن يهرب أو يُطرد من المؤسسة. وآخر مرة تعمدت لونا ألا تخبر ليون بهروب ابنها، بل على العكس، واصلت التظاهر بأن ابنها فى أحسن حال، وبأن درجاته جيدة وسلوكه فى تحسن، وهى فعلاً لم تكن تعلم إلى أين هرب ابنها ولم تكن لديها النية للبحث عنه. أصابها الملل ولم يعد باستطاعتها تحمل المسخ الصغير. أو أن هذا ما سمعته بياتريس تُحدِّث عنه عبر الهاتف، أما بالنسبة لليون ليب فلم يبدُ عليه أى فضول لمعرفة ماذا وراء الذى ذكرته له زوجته، أو عن أسلوبها فى تربية ابنها؛ فهو لم يلحظ حتى انقطاع وصول فواتير أقساط مدرسة الأحداث العسكرية.

وطَّد الولد وأخته غير الشقيقة تحالفهما بهدوء. كان هذا قبل أن ترحِّله أمه بعيدًا آخر مرة لفترة طويلة. وبعد أن عاد ابن لونا إلى كوكنت كوف كانت بياتريس هى الشخص الأول والوحيد الذى اتصل به. ووافقت على الا تفشى سر تنقلاته، فهى تعلم جيدًا أن لونا ستتصل بالسلطات العسكرية المسئولة عن الأحداث إذا ما اكتشفت الأمر.

(*) الراكون: حيوان صغير من آكلة اللحوم، يوجد فى أمريكا، يشبه الذئب الصغير.

Twitter: @alqareah

هذا الهاجس هو الذى دفع بياتريس ليب لتقف فى وجه روى إيبرهاردت بعد أن رأته يطارد أخاها غير الشقيق فى ذلك اليوم الأول للقائهما، فقد تصرفت كما يجب أن تتصرف الأخوات الأكبر سنًّا.

أفضت بياتريس إلى روى بما يكفى من قصص وأخبار صغيرة وكبيرة عن عائلتها وهما على الدراجة؛ وهذا ما جعله متفهمًا للموقف الصعب للصبى. وبعد أن شاهد جراح أخيها تيقَّن لمَ أسرعت بطلب المساعدة.

فقد رأته وهو يئن متألمًا داخل مقطورة جوجو للمثلجات (الآيس كريم).

كانت هذه هى المرة الأولى التى يُسمح فيها لروى بأن يرى الولد الهارب وجهًا لوجه. كان الولد يرقد ممدَّدًا على أرضية المقطورة، ويسند رأسه على لوح مفتَّت من الورق المقوى يستعمله كوسادة. كان شعره السلكى الأشقر لاصقًا برأسه من شدة التعرق، وجبهته مشتعلة بالحرارة عند لمسها. كان فى عينى الولد نظرة قلقة، ووميض حيوان مذعور. نظرة كان روى قد لاحظها فى عينيه من قبل.

- «هل تشعر بألم شديد؟».

- «كلا».

قالت بياتريس: «إنه يكذب». بدت ذراع الولد اليمنى متورمة وقرمزية اللون من شدة الالتهاب. فى أول الأمر، ظن روى أن هذا نتيجة للدغة ثعبان، وتحرى الأمر بطرف عينه وهو يشعر بالقلق. لحسن الحظ، لم يرَ أى أثر لكيس الثعابين.

شرحت بياتريس لروى قائلةً: «مررتُ عليه وأنا فى طريقى للصعود لحافلة المدرسة ووجدته على هذه الحال. ثم وجَّهت الحديث إلى أخيها غير الشقيق قائلة: «أخبر راعية البقر بما حدث».

أدار الولد ذراعه وأشار إلى عدة فتحات، محمَّرة على جلده، وقال: «عضنى الكلب».

كانت العضات سيئة، ولكن روى كان قد شاهد أسوأ منها. ففى يوم من الأيام

Twitter: @alqareah

الماضية، صحبه والده إلى مهرجان المقاطعة التى كانا يقيمان بها، وشاهد روى مهرج السيرك وهو يتعرض لقضمة من حصان مذعور. كان المهرج ينزف بشكل خطير، مما استدعى نقله بسرعة بطائرة مروحية.

فتح روى سحَّاب حقيبة الظهر وأخرج الأدوات الطبية منها. كان لديه بعض الخبرة فى معالجة قطع فى الجرح، تلقَّاها من درس الإنقاذ الأوَّلىّ الذى تعلمه فى المخيم الصيفى بمنطقة «بوزمان». كانت بياتريس قد نظفت الجروح بماء الصودا. وضع روى مرهم المضاد الحيوى على قطعة من الشاش وثبتها حول ذراع الولد بالشريط اللاصق.

ثم قال: «أنتَ بحاجة لحقنة تيتانوس».

هزَّ (الأصابع الصائدة) رأسه قائلاً: «سأكون بخير».

- «هل لايزال الكلب متجولاً حول المنطقة؟».

تطلع الولد نحو بياتريس متسائلاً، فقالت له: «لا تخف.. أخبره».

- «هل أنت متأكدة؟».

- «نعم. لا خوف منه».

وألقت نحو روى نظرة تفيد الموافقة. واستأنفت قولها: «إلى جانب ذلك فهو مدين لى بحياته. كان على وشك أن يموت خنقًا وهو محاصر فى خزانة التنظيف. أليس هذا صحيحًا يا راعية البقر؟»

احمرت وجنتا روى وقال: «لا تهتم بهذا الموضوع. ما حكاية الكلب؟»

قال (الأصابع الصائدة): «فى الواقع، كان هناك أربعة منها وراء سياج من السلاسل».

سأل روى: «إذن، كيف تمكنت من عضك؟»

- «علقت ذراعى داخل السياج».

Twitter: @alqareah

- «ماذا كنت تفعل وراء السياج؟»

- «ليس هناك ما يهم. هل جئتِ ببعض الهمبرجر يا بياتريس؟»

- «نعم. أعطتنا والدة روى بعضًا منها».

نهض الولد قائلاً: «إذن، من الأفضل أن نُسرع».

قال روى: «كلا أنتَ بحاجة للراحة».

- «بعد أن أنتهى.. تحركوا.. سيشعرون بالجوع».

نظر روى إلى بياتريس ليب التى لم تقدم له أى تفسير.

سارا وراء أصابع المولية الذى نزل من على سلالم مقطورة المثلجات

ثم اتجه خارجًا من أرض الخردة، وهو يقول لبياتريس: «سنلتقى هناك». وانطلق راكضًا بأقصى سرعة. لم يستطع روى أن يتخيل مدى القوة التى بذلها الولد، على الرغم من سوء إصابته.

وبينما كان أصابع المولية يعدو مبتعدًا لاحظ روى أن الولد ينتعل حذاءه الرياضى الذى جاءه به منذ عدة أيام، ممَّا أعطاه شعورًا بالرضا.

ركبت بياتريس الدراجة وأشارت إلى المقود وهى تقول لروى: «اقفز فوقه».

قال روى : «من المستحيل أن أركب».

- «لا تكن سخيفًا».

- «هيى. لا أريد أن أشارك فى هذا. لن أشارك.. إن كان فى نيته إيذاء تلك الكلاب».

- «ما هذا الذى تتحدث عنه؟»

- «أليس هذا ما جعله يطلب اللحم. هل أنا محق فى تخمينى؟»

ظن روى أنه يعرف ما ينوى الولد فعله، وهو الانتقام من الكلاب بإضافة مادة مؤذية - حتى لو كانت السم - إلى الهمبرجر.

ضحكت بياتريس ولفّت عينيها قائلة: «لم يصل به الجنون إلى هذه الدرجة. والآن دعنا نتطلق».

Twitter: @alqareah

وبعد مرور خمس عشرة دقيقة، وجد روى نفسه على شارع شرق أوريول وعلى ذات المقطورة التى زعق عليه منها رئيس العمال منذ عدة أيام ماضية. كانت الساعة تقارب الخامسة، وبدا موقع الإنشاء مهجورًا.

لاحظ روى أن سياجًا من السلاسل المترابطة قد نُصبَ للإحاطة بالموقع. تذكر أن رئيس العمال الغريب الأطوار كان قد هدَّد بإطلاق أكثر الكلاب وحشيةً فى الموقع، وافترض روى أنها هى التى عضت أصابع المولية.

قفز من فوق الدراجة وقال لبياتريس: «هل لهذا أية علاقة بذلك الشرطى الذى رُشت سيارة دوريته بالطلاء الأسود؟»

لم ترد بياتريس بأية كلمة.

وسأل روى: «هل له علاقة بهذه التماسيح فى دورات المياه المحمولة؟»

كان يعلم الجواب. ولكن التعبير على وجه بياتريس كان يقول: «اهتم بشئونك فقط». على الرغم من ارتفاع حرارته وإصابته المؤلمة استطاع الأخ غير الشقيق أن يسبقهما فى الوصول إلى موقع إنشاء بيت الفطائر.

قال الولد بلهجتِهِ كمتشرد: «أعطنى هذه»، وقام باختطاف لفة اللحم من بين يدى روى.

استرجع روى اللفة قائلاً: «لن تأخذها حتى تخبرنى ماذا ستفعل بها».

تطلَّع الولد نحو بياتريس طالبًا المساعدة، ولكنها هزت رأسها قائلة: «فلننهِ هذا الموضوع. تحرك. لن نضيِّع اليوم كله».

تسلق أصابع المولية جانب السياج ويده المصابة تتدلى متهدلة، ونزل إلى الجانب الآخر منه. لحقت به بياتريس وهى تؤرجح بلا عناء ساقيها الطويلتين أعلى السياج وتبحث عن روى الذى لايزال واقفًا على الجانب الآخر من السياج.

Twitter: @alqareah

- «ما الذى تنتظره؟».

- «وماذا بالنسبة للكلاب؟».

قال أصابع المولیت: «لم تعد هناك كلاب. ذهبت منذ فترة».

تسلق روى السياج وهو يشعر بالقلق أكثر من أى وقت مضى، لحق ببياتريس وأخيها إلي سيارة نقل التراب (البولدوزر) فى الموقف. تكوَّموا فى ظل المقصورة الأمامية لشاحنة كيرلى، وهم يشعرون بالأمان بعيدًا عن أنظار المارَّة فى الشارع. جلس روى فى الوسط وبياتريس عن شماله و(أصابع المولیت) عن يمينه.

وضع روى لفة اللحم فى حجره وهو يغطيها بيديه، كما يحمى لاعب الظهير كرة القدم.

سأل روى بجفاء الولد الهارب: «هل أنتَ الذى رششتَ سيارة دورية الشرطة بالطلاء الأسود؟»

- «لا تعليق لدىَّ».

- «وهل أنت الذى خبأت التماسيح فى دورات المياه؟».

كان أصابع المولیت يتطلع إلى الأمام مباشرة وعيناه تلمعان.

قال روى: «لا يمكننى أن أفهم ما الذى يدعوك للقيام بمثل هذه الأفعال الجنونية؟ من الذى يهتم إن كانوا يريدون بناء بيتٍ أبله للفطائر فى هذا المكان؟»

أدار الولد رأسه بغتةً وأطلق نحو روى نظرة باردة جمَّدته، وهنا تسلَّمت بياتريس الحديث: «لقد عضت الكلاب أخى؛ لأن ذراعه انحشرت بالسياج وهو يحاول الدخول إلى الموقع. والآن اسألنى لمَ كان يحاول الدخول من خلال السياج».

قال روى: «حسنًا: لماذا؟»

- «كان يحاول إخراج الثعابين».

علَّق روى:

Twitter: @alqareah

- «أهىَ الثعابين ذاتها التى كانت فى ملعب الجولف؟ ولكن لماذا؟ هل تحاول أن تقتل بها أحدًا؟»

ابتسم (أصابع المولیت) وهو مدرك ما سيقوله: «لا تستطيع إيذاء ولا حتى برغوث. فقد أحكمتُ إقفال أفواهها بالشريط اللاصق».

قال روى: «أنا واثق من ذلك».

قال الولد: «كما أننى ألصقت مادة لامعة براقة بأذيالها؛ لذا يصبح من السهل اكتشافها».

قالت بياتريس: «إنه صادق فى أقواله يا إيبرهاردت».

كان روى قد رأى - بالفعل وبنفسه - الأذيال البراقة.

قال روى: «ولكن الآن قل لى كيف تمكنت من إغلاق أفواه هذه الثعابين بالشريط اللاصق».

قالت بياتريس بضحكة جافَّة: «فعل هذه بمنتهى الحرص».

وأضاف (أصابع المولیت): «أووه! لم يكن الأمر شديد الصعوبة. كما ترى. لم أحاول إيذاء تلك الكلاب. كنت فقط أنوى إبعادها عن المكان».

وفسرت بياتريس: «الكلاب لا تحب الثعابين».

قال أخوها غير الشقيق: «لقد جنَّنتها الثعابين، وجعلتها تنبح مذعورةً تركض وتحوم حول المكان. كنت أعلم أن المدرب سيأخذها من هنا بعد أن يرى ثعابين الصلال الأمريكية تزحف فى كل مكان، فهذه الكلاب من فصيلة (روتويلرز) ليست رخيصة».

كانت هذه أغرب خطة سمع بها روى طوال حياته.

قال (أصابع المولیت) وهو ينظر إلى ذراعه المربوطة: «الأمر الوحيد الذى لم أضعه فى حسبانى هو أن تنقضَّ علىَّ الكلاب وتعضنى».

Twitter: @alqareah

قال روى: «أشعر ببعض الخوف وأنا أسألك، ولكن ما الذى جرى لهذه الثعابين؟».

أجاب الولد: «أووه! إنها بخير. عدت واستعدتها جميعًا. أخذتها إلى مكان آمن وأطلقت سراحها».

قالت بياتريس ضاحكة: «ولكن كان عليه أولاً نزع الشريط اللاصق عن أفواهها».

زاد غضب روى تمامًا وقال : «اصمتى».

نظر إليه (أصابع المولیت) وبياتريس، فما ذكراه واقع.

كان رأس روى يلف من كثرة الأسئلة التى تزدحم فيه. لابد أن هذين الولدين جاءا من عالم آخر.

استعطفهما قائلاً: «هل يمكن لأحدكما أن يخبرنى: ما علاقة كل هذا بالفطائر؟ قد أكون غبيًّا، ولكننى فعلاً لا أستطيع إدراك الأمر».

غضَّن الولد وجهه وحكَّ يده المصابة وقال لروى: «الأمر بسيط يا رجل. فهم لا يستطيعون إقامة بيت الأم باولا هنا للسبب نفسه الذى لا يمكِّنهم من ترك كلاب نتنة من نوع روتويلرز تجرى بدون قيد فى المكان».

قالت بياتريس لأخيها غير الشقيق: «دعه يرَ لماذا؟».

- «حسنًا. أعطنى الهمبرجر».

ناوله روى اللفة. أخذها (أصابع المولیت) ونزع عنها الغلاف البلاستيكى وأخذ قبضة من اللحم المفروم وكوَّرها إلى ست كرات صغيرة، وقال لروى: «الحق بى. ولكن حاول أن تهدأ».

قاد الولد روى إلى حفرة فى بقعة مغطاة بالعشب على الأرض.

وعلى فتحة الحفرة، وضع (أصابع المولیت) قطعتين من كرات الهمبرجر، ثم سار نحو حفرة تشبه الأولى فى الجانب الآخر فى الموقع ووضع كرتين أخريين من اللحم، وتابع العملية ذاتها على حفرة أخرى فى زاوية بعيدة عن الموقع.

Twitter: @alqareah

سأل روى وهو يلقى نظرة على أحد الأنفاق المظلمة: «ماذا يوجد هناك فى الأسفل؟».

فى مونتانا كانت الحيوانات الوحيدة التى تحفر فتحة مثل هذه هى «الجوفر» «والبادجر»(*). وكان روى واثقًا من أنه لا يوجد الكثير من هذا النوع من الحيوانات فى فلوريدا.

تتبعه روى وهو يعود ثانية إلى سيارة نقل التراب (البولدوزر) حيث ظلت بياتريس جالسة على نصلها تنظف نظارتها.

قالت لروى: «ما رأيك؟»

- «فيمَ؟»

ربت أصابع المولیت على ذراع روى وقال له: «استمع».

سمع روى نغمة عالية قصيرة: كوو - كوو، ثم تبعها من خلال الفتحة صوت نغمة أخرى. نهض أخو بياتريس غير الشقيق متسللاً ونزع حذاءه الرياضى الجديد وزحف إلى الأمام، تبعه روى عن كثب. كان الولد يكشر بابتسامة عريضة (رغم إصابته بالحمى) أشار إليهما بالتوقف وهو (يشير إلى ناحية الجحر الأول).

قال روى من خلال أنفاسه: «أووه!».

كانت تقف هناك فى الحفرة أصغر بومة وقعت عليها عينا روى، تتفحص بفضول كرة اللحم.

ربت (أصابع المولیت) على كتف روى بلطف وهو يقول:

«والآن، هل وضح لك الأمر؟»

قال روى: «نعم، لقد وضح تمامًا».

(*) الجوفر والبادجر Johper, badger فصيلة من الحيوانات تحفر جحورها وتضع البيض والصغار، توجد فى الولايات المتحدة.

Twitter: @alqareah

الفصل الحادى عشر

أصبح من عادة الشرطى دلينكو قيادة سيارة الدورية كل صباح إلى موقع الإنشاء وهو فى طريقه إلى مركز الشرطة، وكل مساء فى طريق العودة إلى منزله، حتى إنه فى بعض الأحيان كان يطوف فى ساعة متأخرة من الليل إذا ما خرج لتناول وجبة طعام خفيفة، وهو أمر يسير وملائم، فمحل البقالة كان على بُعد عدة بنايات من موقع الإنشاء.

لم يلحظ رجل الشرطة حتى الآن أى أمر غير طبيعى، باستثناء المشهد الذى رآه صباح ذلك اليوم. كان قد شاهد رجلاً زائغ النظرات يحرك شمسية حمراء فى الهواء ويطارد عدة كلاب ضخمة سوداء داخل الموقع. قال رئيس العمال المسئول عن المشروع: إنها مجرد تمرينات تدريبية للكلاب، ولا يوجد ما يدعو للقلق. ولم يكن لدى الشرطى دلينكو أى سبب يدعوه للشك فى كلام الرجل.

وعلى الرغم من أنه كان يأمل القبض على المخربين بنفسه، فإنه وجد أن فكرة إقامة سياج يحيط بملكية بيت الفطائر الذى قامت الشركة بتنفيذه واستعانت بكلاب الحراسة من أجله.. فكرة صائبة وممتازة.

وبالتأكيد أنها ستُرعب المتطفلين الذين يحتمل دخولهم إلى الموقع وتبعدهم عنه.

Twitter: @alqareah

ومن بعد ظهر ذلك اليوم، وبعد أن أمضى ثمانى ساعات مضجرة على المكتب، قرر الشرطى دلينكو المرور بموقع الأم باولا مرة أخرى. لاتزال هناك ساعتان من نور النهار، ووجد نفسه متلهفًا لرؤية الكلاب الشرسة وهى تهاجم.

وصل إلى هناك وهو يترقب سماع جوقة مجنونة من النباح، ولكن عمَّ المكان صمت غريب، لا أثر فيه لكلاب. لفَّ حول المحيط الخارجى للسياج.

صفق شرطى الدورية وصرخ عاليًا: «قد تكون الحيوانات مختبئة تحت مقطورة كيرلى أو أنها تأخذ غفوة فى ظل سيارات نقل الأتربة».

صرخ الشرطى دلينكو: «بوو. أنتم . بوو».

لم يأته أى رد.. عاد الشرطى إلى الحاجز وتفحَّص القُفل فوجده سليمًا. حاول أن يجرب التصفير، وهذه المرة سمع إجابة غير متوقعة: كوو - كوو - كوو - كوو.

ليس هذا صوت كلاب الروتويلر بالطبع. شاهد رجل الشرطة شيئًا يتحرك داخل الحفرة. مدَّد نفسه؛ ليرى ما بداخلها. ظن فى أول الأمر أنه أرنب بسبب لونه الرملى المائل إلى البنى. ولكن وبعد أن طارت من على الأرض وانتقلت من إحدى زوايا الموقع إلى الجهة الأخرى، لتحطَّ أخيرًا على حافة سيارة نقل الأتربة، تأكد أنها بومة.

ابتسم الضابط دلينكو - إنها هذه البومة الصغيرة العنيدة من النوع الذى يحفر جحوره فى الأرض والتى كان كيرلى قد اشتكى منها.

ولكن إلى أين ذهبت كلاب الحراسة؟

تراجع شرطى الدورية إلى الوراء وحكَّ ذقنه. سوف يمر فى الغد ليسأل رئيس العمال عمَّا حدث.

Twitter: @alqareah

هبَّت نسمة ريح دافئة، ولاحظ الشرطى دلينكو شيئًا يتحرك فى أعلى السياج. كان يبدو كحامل من أحد أوتاد المعاينة.

ولكنه لم يكن كذلك. إنها قطعة قماش خضراء ممزقة.

احتار رجل الشرطة، يبدو أن أحدهم حاول التسلق فوق السياج وعلق قميصه على سلك الرزة التى تربط السلاسل.

وقف الشرطى دلينكو على أطراف أصابعه وسحب قطعة القماش المقطوعة ووضعها بحرص فى جيبه، ثم ركب سيارة الدورية وتوجه نحو شرق أوريول.

صاحت بياتريس ليب: «أسرع».

قال روى وهو يركض وراءها لاهثًا: «ليس بإمكانى الركض بسرعة أكبر». كانت بياتريس تحرك بسرعة دواسة الدراجة التى سرقتها من موقف الدراجات فى تراس ميدل. وكان (أصابع المولية) يتمدد غائبًا عن الوعى فوق مقود الدراجة. فقد بدأ يشعر بالدوار، وهم على الموقع، وسقط عن السياج وهم يسرعون لمغادرته.

لاحظ روى أن حالة الولد ازدادت سوءًا من أثر عضة الكلب الملوثة، كان بحاجة لعناية طبية فى الحال.

أعلنت بياتريس: «لن يرضى بالذهاب إلى المستشفى».

- «إذن، علينا أن نُخبر أمه».

- «هذا مستحيل» وزادت من سرعة الدراجة.

حاول روى أن تبقى بياتريس تحت ناظريه. لا عِلْمَ له أين ستذهب بأخيها غير الشقيق. لديه إحساس بأنها هى نفسها لا تعلم.

نادى عليها صارخًا: «كيف حاله الآن؟».

Twitter: @alqareah

سمع روى صوت سيارة، فأدار رأسه ليتحرى الأمر. كانت تسير وراءهما، على بُعد مجموعتين من الأبنية سيارة لشرطى دورية. توقف روى بشكل آلى عن الجرى وبدأ يلوِّح بذراعيه للشرطى. كل ما كان يفكر به حينئذ هو نقل (أصابع المولية) إلى المستشفى بأسرع ما يمكن.

صرخت بياتريس ليب: «ماهذا الذى تفعله؟»

سمع روى صوت اصطدام (بعد أن احتكت) الدراجة بالرصيف.

التفت ليجد بياتريس تفر هاربة على قدميها وهى تحمل أخاها غير الشقيق المنهار على كتفها، وكأنه كيس من الشوفان. ودون أن تلتفت وراءها شقت طريقها بين بنايتين واختفت عن نظره.

وقف روى مسمَّرًا وسط الطريق، كان عليه اتخاذ قرار سريع.

فمن ناحية، تتقدم سيارة الشرطة.. ومن الناحية الأخرى، يهرب صديقاه.

حسنًا، فهما أقرب ما يمكن أن يسميا صديقين فى كوكنت كوف.

أخذ روى نفسًا عميقًا وانطلق يركض وراءهما، سمع صوت كابح سيارة الدورية، لكنه استمر فى جريه آملاً ألا يقفز ضابط الشرطة خارج سيارته ليطارده على قدميه. فكر روى فيما بينه وبين نفسه؛ فهو لم يرتكب أى خطأ. ومع هذا تساءل هل معنى هذا أنه سيُدخِل نفسه فى مشكلة إذا ساعد أصابع المولية الولد الهارب من النظام الدراسى؟

فكر روى؛ إن كل ما يحاول الولد فعله هو المحافظة والاعتناء ببعض البوم - هل من الممكن اعتبار هذا جريمة؟ وبعد مرور خمس دقائق، وجد بياتريس ليب تستريح تحت ظل شجرة ماهوجينى فى الساحة الخلفية لمنزل أحد الغرباء.. كان رأس أخيها غير الشقيق على حجرها، وجفنا عينيه نصف مغلقين، وجبينه لامعًا.

Twitter: @alqareah

كان الجُرح الغائر -من أثر العضة- على ذراعه المتورمة مكشوفًا بعد أن انزاح الرباط الذى كان يغطيه. وقد علقَ بالسياج مع كم قميصه الأخضر وهو يحاول القفز من فوق السياج.

ربتت بياتريس وجنتى أخيها، ووجهت نظرة حزينة إلى روى، وهى تقول: «والآن، ماذا سنفعل يا راعية البقر؟».

بعد أن فشلت محاولة اللجوء إلى الكلاب المهاجمة، ومع أنه لم يكن متحمسًا للمبيت فى المقطورة، وجد كيرلى أنها الطريقة الوحيدة المطمئنة التى ستمنع المخربين أو أى شخصٍ كان من القفز من فوق السياج والتصرف بجنون لتعطيل العمل فى موقع البناء.

فإذا ما حدث أى اعتداء جديد خلال نهاية الأسبوع ونتج عنه تأخير آخر فى مشروع الأم باولا، سيُطرد كيرلى من عمله كرئيس للعمال. لقد كان تشاك ماكل واضحًا كزجاج الكريستال فى تهديده.

حين أخبر كيرلى زوجته عن اضطراره للمبيت خارج المنزل للقيام بواجبه فى الحراسة، تلقت الخبر بلا أى أثر للانزعاج، فقد جاءت أمها إلى المدينة لزيارتها وخططتا للقيام بالعديد من الجولات الشرائية يومى السبت والأحد. وهكذا لن تفتقدا الحضور الظريف لكيرلى.

أخذ يحزم متجهمًا فى حقيبة سفره تجهيزات تضم فرشاة، ومعجون أسنان، وآلة ومعجون حلاقة، وعلبة كبيرة من الأسبرين، ثم قام بطى بعض من ثياب العمل النظيفة، وثياب داخلية.

قام بوضع الحقيبة على الحامل وانتشل الوسادة من الجانب الذى ينام عليه فى السرير.

Twitter: @alqareah

ناولته زوجته، وهو فى طريقه إلى الباب، شطيرتين ممتلئتين بالتونة، واحدة لعشائه والأخرى للإفطار، وهى تقول: «خذ حذرك هناك يا كيرلى».

- «نعم، بالتأكيد».

وما إن وصل إلى موقع البناء حتى أقفل البوابة وراءه وخطا صاعدًا إلى أمان المقطورة. ظل طوال فترة ما بعد الظهر شاعرًا بالقلق من تلك الثعابين المخادعة متسائلاً: لماذا لم يتمكن صائد الزواحف من العثور عليها؟!

كيف يمكن أن يختفى هذا العدد الكبير فجأة؟

خشى كيرلى من أن تكون الثعابين كامنة فى مكان قريب، فى حفرة سرية تحت الأرض، تنتظر حلول الظلام لتتسلل خارجة وتبتدئ صيدها القاتل.

وقال بصوت عالٍ آملاً إقناع نفسه: «إننى مستعد للقضاء عليها» أحكم قفل باب المقطورة وجلس أمام التليفزيون وأداره على محطة (إيسبن) للرياضة. كان كيرلى يأمل فى مشاهدة مباراة كرة القدم بين فريق «الأشعة الشيطانية» أمام فريق «أوريولز»، والتى ستقام فى ساعة متأخرة من هذا المساء.

وحتى ذلك الحين راح يتابع مشاهدة كرة قدم، تلعبُ فى مدينة «كيڤو» فى منطقة الأوكوادور، كان مستمتعًا باللعب، غير مبالٍ أين تقع تلك البلاد.

جلس مسترخيًا على كرسيه وفك حزامه، ليريح وسطه من الانتفاخ البارز للمسدس من نوع (كاليبار 0,38) الذى أحضره معه لحمايته.

وفى الواقع أنه لم يصوب مسدسه منذ أن كان يخدم فى البحرية.

كان هذا منذ ثلاثة وثلاثين عامًا مضت. ومع هذا ظل يحتفظ بالمسدس مخبأ فى البيت، وظل واثقًا من قدرته على التصويب.

Twitter: @alqareah

على أية حال. ما مدى صعوبة إصابة ثعبان ضخم ممتلئ؟

ما إن انتهى كيرلى من التهام أول شطيرة من التونة حتى ظهر على شاشة التليفزيون الإعلان التجارى لبيت الأم باولا للفطائر الأمريكية. لم تكن من تقوم بتمثيل دور الأم باولا سوى (كمبرلى لوديكسون) - ملكة جمال أمريكا سابقاً. كانت تقوم بقذف فطيرة من نوع «البانكيك» فوق مقلاة حامية وهى تغنى أغنية سخيفة.

وعلى الرغم من أن المختصين الذين أعادوا تشكيل وجهها قاموا بعمل متقن فقد تمكن كيرلى من إدراك أن السيدة المسنَّة فى الإعلان شابة وجميلة، وهو يتذكر ما أخبره به تشاك ماكل على الهاتف عن العقد السينمائى الجديد الذى ارتبطت به «كمبرلى لوديكسون». حاول كيرلى أن يتصورها كملكة للجراد المتحول. لابد أن الإدارة المسئولة عن الخدع السينمائية ستجعلها تظهر بست أرجل خضراء وزوج من الهوائيات التى احتار كيرلى فى تصورها.

تساءل: هل ستُقدم «كمبرلى لوديكسون» له شخصياً عندما تأتى إلى «كوكنت كوف» لحضور حفلة الافتتاح الكبير ببدء العمل الإنشائى لبيت الفطائر الجديد؟ لم يكن هذا الاحتمال بعيد المنال؛ فهو المهندس المشرف على المشروع والمسئول الأول.

لم يسبق لكيرلى أن التقى قط بنجمة سينمائية أو بممثلة تليفزيون أو بملكة جمال أمريكا أو بأية ملكة جمال. وتساءل: ترى هل ستوافق على الوقوف إلى جانبه لالتقاط صورة؟ وهل ستتحدث معه بنبرة صوتها المفتعلة التى تتحدث بها وهى تؤدى دور الأم باولا أو بصوتها الحقيقى؟

أخذت هذه الأسئلة تلف وتدور داخل رأس كيرلى فى الوقت الذى تلاشت فيه الصورة على شاشة التليفزيون وحلَّ محلها خطوط كهربائية.

Twitter: @alqareah

وأخذ يلعن حظه العاثر بكلمات بذيئة، فمنذ سنوات عديدة لا يتذكر أنه أمضى الليل بطوله بدون مشاهدة التليفزيون.

لم يكن لديه من وسيلة أخرى ليتسلى بها هذه الليلة. لم يكن هناك مذياع فى المقطورة، وكان الموضوع الوحيد الموجود الصالح للقراءة هو مجلة عن صناعة البناء، وجد فيها موضوعات مملة، مثل الأسقف المغلقة المسلحة المقاومة للأعاصير، ومواد لمعالجة طبقات الخشب من القرضة.

فكر كيرلى فى أن يبادر بالذهاب إلى المحل الصغير (مينى ماركت)؛ لاستئجار بعض أشرطة الفيديو. ولكن كان عليه أن يعبر الأرض المملوكة للأم باولا للوصول إلى الشاحنة. مع حلول الظلام، لم يجد لديه الشجاعة الكافية ليجازف بالخروج خوفًا من وجود ثعابين الصلال القاتلة تلك وهى تتسكع فى الموقع.

ضمَّ الوسادة ووضعها تحت رأسه وأرجع مقعده نحو الجدار الخشبى الرفيع.

جلس وحيدًا وسط السكون يتساءل: هل من الممكن لحية أن تتسلل نحو المقطورة؟ تذكر أنه استمع مرة لقصة عن حية «البوا» الخانقة.

زحفت خلال المجارى وأطلت من فتحة بلاعة حوض الاستحمام فى شقة بمدينة نيويورك.

بعد تخيله هذا المشهد، شعر كيرلى بانقباض فى أمعائه.

نهض وتحسس طريقه بحرص إلى مدخل الحمام الصغير فى المقطورة.

وضع إحدى أذنيه على الباب وأخذ يتنصَّت...

هل ما سمعه مجرد خيال، أو أنه سمع بالفعل حفيفًا من الناحية الأخرى.

جذب المسدس من حزامه ووارب الزناد.

نعم، أصبح الآن واثقًا. هناك شىء يتحرك! ما إن فتح كيرلى الباب حتى

Twitter: @alqareah

اكتشف عدم وجود ثعابين سامة فى الحمام. لم يكن هناك ما يدعو لهذا الهلع القاتل. ولكن لسوء الحظ لم تصل الرسالة بالسرعة الكافية من دماغه إلى أصابعه التى أفلتت الطلقة.

وأرعبه صوت انفجار طلقة المسدس أكثر مما أرعب فأر الحقل الذى كان رابضًا على بلاط الأرضية فى دورة المياه ملهيًّا بمهامه. وما إن انفجرت الطلقة فوق الرأس الصغير ذى الشارب مدمِّرة كرسى المرحاض حتى فرَّ الفأر هاربًا - بقعة رمادية متحركة تصدر صريرًا تسللت بخفة خارج الباب من بين قدمى كيرلى.

أنزل كيرلى المسدس بيدين مرتعشتين وأخذ يحدق مكتئبًا بالخسارة التى تسبب بها. لقد أصاب -خطأً -كرسى المرحاض. سيكون أمامه عطلة نهاية أسبوع طويلة ومتعبة.

كان السيد إيبرهاردت فى الحجرة الصغيرة التى يتخذها مكتبًا له، يقرأ على مكتبه حين وقفت زوجته على الباب، وقد بدا عليها القلق واضحًا وقالت: «هذا الشرطى.. إنه موجود هنا».

- «أى شرطى؟».

- «ذلك الشرطى الذى اصطحب روى إلى البيت فى تلك الليلة. من الأفضل أن تتحدث معه بنفسك».

كان الشرطى دلينكو يقف فى غرفة المعيشة وهو يمسك قبعته بين يديه ويقول لوالد روى: «تسعدنى رؤيتك ثانية».

- «هل هناك ما يسىء؟» قاطعته السيدة إيبرهاردت: «يريد أن يحدثك بشأن روى».

Twitter: @alqareah

قال الشرطى دلينكو: «لست واثقًا. هناك احتمال».

اقترح السيد إيبرهاردت: «دعونا نجلس أولاً». كان معتادًا على تلقى المعلومات المزعجة بهدوء. وقال للشرطى: «أخبرنا بما حدث».

تساءل الشرطى: «أين روى؟ هل عاد إلى المنزل؟».

قالت السيدة إيبرهاردت: «كلا.. لقد ذهب إلى منزل أحد أصدقائه؛ لإجراء تجربة معملية».

قال الضابط: «سبب استفسارى هو أننى لمحت ولدين فى شرق أوريول منذ فترة قصيرة، أحدهما بدا شديد الشبه بابنكما. الشىء الغريب، أنه فى أول الأمر لوَّح بيده نحو سيارة الدورية، ثم هرب فجأة».

عبس السيد إيبرهاردت وقال: «هرب؟ هذا ليس من صفات روى».

وأمَّنت السيدة إيبرهاردت قائلة: «هذا مستحيل، ما الذى يدعوه للهرب؟»

- «ترك الأولاد وراءهم «دراجة ملقاة فى الشارع».

قالت أم روى: «حسنًا. إنها ليست دراجة روى. فدراجته بها خرق فى العجل».

قال رجل الشرطة: «نعم أتذكر هذا».

أضاف السيد إيبرهاردت: «كان علينا طلبُ إطار جديد».

هز الضابط دلينكو رأسه موافقًا بصبر وقال: «أعلم أنها ليست دراجة روى، فهذه الدراجة سُرقت من موقف الدراجات أمام مدرسة (تراس ميدل) فى ساعة مبكرة من بعد ظهر اليوم، بعد انتهاء الدراسة بقليل».

سأل السيد إيبرهاردت: «هل أنتَ واثق من معلوماتك؟».

- «نعم يا سيدى، اكتشفت الأمر عن طريق مكالمة تلقيتها عبر الراديو». عمَّ

Twitter: @alqareah

الصمت الغرفة. أطلقت والدة روى نظرة رعب نحو والد روى، ثم نقلت نظرة متفرسة نحو رجل الشرطة، وقالت بحزم: ابنى ليس سارقًا».

قال الضابط دلينكو: «أنا لا أوجه له أية تهمة. بدا الولد الهارب شبيهًا بروى، ولكنى لا أجزم. كل ما فى الأمر أننى جئت لأتحقق من الأمر معكم؛ لأنكم أهله، ولأن هذا جزء من عملى»، ثم التفت رجل الشرطة نحو والد روى راغبًا فى المساندة وقال: «عملكَ فى إدارة تطبيق القوانين يجعلك متفهمًا موقفى تمامًا يا سيد إيبرهاردت».

تمتم والد روى غافلاً عن تعليق الشرطى وقال: «كم طفلاً رأيت فى الطريق؟».

- «اثنين على الأقل. من الممكن أن يكونوا ثلاثة».

- «هل هربوا جميعًا؟».

- «حاول الشرطى دلينكو أن يتصرف كمحترف قدر المستطاع. فلعله يتمكن يومًا ما من التقدم للعمل فى المخابرات الأمريكية، وربما استطاع السيد إيبرهاردت تزكيته إذا أراد».

تساءل السيد إيبرهاردت: «كم دراجةً سُرقت؟».

- «دراجة واحدة فقط، وقد وضعتها فى سيارة الدورية، إذا أردتما إلقاء نظرة عليها».

تتبع والدا روى رجل الشرطة إلى موقف السيارات خارج البيت. فتح الحقيبة الخلفية للسيارة من نوع «كوين فيكتوريا». أشار الشرطى دلينكو نحو الدراجة المسروقة التى كان طرازها من نوع «جوال الشاطئ الأزرق».

قال السيد إيبرهاردت: «لم أرَ هذه الدراجة من قبل. وأنتِ يا ليزى، هل لديكِ فكرة عنها؟».

Twitter: @alqareah

ابتلعت والدة روى ريقها بصعوبة. بدت الدراجة شديدة الشبه بالدراجة التى كانت تقودها بياتريس صديقة روى حين جاءت به من المدرسة إلى البيت.

وقبل أن تتمكن السيدة إيبرهاردت من تجميع أفكارها، قال الشرطى دلينكو: «آ اه. كنت على وشك أن أنسى. وماذا بالنسبة لهذه؟».

استخرج من جيبه ما بدا ككم مقطوع من قميص.

سأله السيد إيبرهاردت: «هل وجدت هذه مع الدراجة؟».

بدا الشرطى أبله بعض الشىء وهو يقول: «فى مكان قريب منها». ففى الواقع أن موقع الإنشاء كان على بُعد عدة بنايات من المكان الذى لمح فيه الأولاد.

سأل عائلة إيبرهاردت وهو يمسك بقطعة القماش الممزقة: «هل تبدو هذه الخرقة مألوفة لكما؟».

أجاب والد روى: «ليس بالنسبة إلىَّ. وأنتِ يا ليزى؟».

ظهر الارتياح على وجه السيدة إيبرهاردت وأجابت: «أنا متأكدة أن هذه القطعة لا تخص روى»، وأضافت قائلة للشرطى: «روى ليس لديه أية ملابس خضراء».

سأل السيد إيبرهاردت: «ما لون القميص الذى كان يرتديه الولد الذى رأيته وهرب منك؟».

صَرَّح رجل الدورية: «لا أستطيع الجزم. فقد كان بعيدًا جدًّا عنى».

سمعوا رنين الهاتف، فأسرعت والدة روى إلى الداخل لتلقّى المخابرة. اقترب الشرطى دلينكو من والد روى وهو يقول: «أرجو المعذرة، فقد أزعجتكما بما فيه الكفاية».

Twitter: @alqareah

حافظ السيد إيبرهاردت على التزامه الأدب. كان يعلم فى دخيلة نفسه أن رجل الشرطة لم يخبره بكل ما يعرف عن قطعة القماش الخضراء وقال: «كما سبق وذكرت إنه جزء من عملك».

قال الشرطى دلينكو: «بما أننا أتينا على ذكر العمل، هل تتذكر تلك الليلة حين اصطحبت روى إلى البيت مع عجلته المخروقة؟».

- «بالطبع».

- «فى ذلك الطقس السيئ».

رد السيد إيبرهاردت وقد نفد صبره: «نعم أتذكر».

- «هل صادفَ أن ذكر لك روى رغبته فى أن تكتب رسالة؟».

- «ما نوع الرسالة؟»

قال الشرطى دلينكو: «رسالة موجهة إلى رئيس الشرطة، لا أطلب خدمة، مجرَّد مذكرة تضاف إلى ملفى الدائم، تذكر فيها أنكما آل إيبرهاردت تقدران مساعدتى لكما فى إعادة ابنكما إليكما. شىء من هذا القبيل».

- «وهل من المفترض أن أرسل هذه التزكية إلى رئيس الشرطة؟».

- «أو إلى الضابط، حتى لو بعثتها إلى الرائد فستفى بالغرض. ألم يطلب روى منك هذا؟».

قال السيد إيبرهاردت: «نعم، لم يطلب ذلك على قدر ما أتذكر».

- «حسنًا. أنتَ أعلم بالأولاد.. على الأرجح أنه نسى».

لم يبذل والد روى أى جهد لإخفاء عدم حماسه، ولم تعد لديه طاقة على احتمال رغبة الشرطى الشاب لنيل ترقية سريعة.

قال الشرطى دلينكو وهو يضغط على يد السيد إيبرهاردت:

Twitter: @alqareah

– لكَ مليون تحية. إنَّ أى تزكية صغيرة تساعد حين يحاول الإنسان الحصول على ترقية، خاصة إذا كانت مقدمة من موظف كبير مثلك يعمل فى الاتحاد الفيدرالى». ولم تُتح له الفرصة لذكر اسم رائد الشرطة للسيد إيبرهاردت؛ إذ ظهرت فى تلك اللحظة السيدة إيبرهاردت على الباب وهى تحمل بإحدى يديها حقيبة يدها وبالأخرى تخشخش بسلسلة مفاتيح السيارة.

صرخ السيد إيبرهاردت: «ليزى، ماذا حدث؟» ومن الذى كان يتحدث على الهاتف؟».

قالت باكية من بين أنفاسها المتقطعة: «إنها غرفة الطوارئ فى المستشفى، لقد أصيب روى».

Twitter: @alqareah

الفصل الثانى عشر

شعر روى بإرهاق شَديد. بدا له كما لو أنه مضت مائة سنة منذ أن حاول دانا ماثرسون خنقه فى خزانة النظافة. ولكن كل هذا كان قد تم فقط، بعد ظهر ذلك اليوم.

- قالت له بياتريس ليب. شكرًا لمساعدتك. والآن ها نحن تعادلنا».

- قال روى: «ربما».

كانا ينتظران فى غرفة الطوارئ بالمركز الطبى لمدينة كوكنت كوف التى كانت أقرب لعيادة واسعة من مستشفى.

كانا قد اصطحبا أخا بياتريس غير الشقيق إلى المستشفى بعد أن حملاه واقفًا لمسافة تزيد على الميل. يمسك به كل واحد منهما من جهة من تحت إبطيه.

قال روى: «ستتحسن حاله، وسيشفى. خُيل إليه للحظة أن بياتريس على وشك البكاء. تقدم نحوها واعتصر يدها التى بدا واضحًا أنها أضخم من يده».

قالت بياتريس وهى تنشق مخاطها: «إنه صرصار صغير ولكنه صلب العود. سيكون بخير».

اقتربت منهما سيدة تلبس لباس العمليات الأزرق السماوى وتضع سماعة طبية. عرَّفت نفسها بأنها الطبيبة جونزالز، وقالت: «أخبرانى بالتفصيل ما الذى حدث لروى؟».

Twitter: @alqareah

تبادل بياتريس وروى نظرات قلقة.

كان أخوها غير الشقيق قد منعهما من ذكر اسمه خوفًا من أن تبلغ المستشفى أمه. كان الولد هائجًا لدرجة منعت روى من النقاش معه، وحين سأل موظف غرفة الطوارئ، بياتريس عن اسم أخيها غير الشقيق وعنوانه ورقم الهاتف تقدم روى مندفعًا وبدون تفكير أفضى باسمه هو؛ حيث بدا له أنها أسرع وسيلة للحصول على سرير فى المستشفى لأصابع المولية.

كان روى على وعى بأنه أدخل نفسه فى مشاكل لا نهاية لها. وكذلك كانت بياتريس، وهو ما جعلها تسارع لشكره على مروءته.

قالت بياتريس للطبيبة جونزالز: «تعرض أخى لعضة كلب».

قال روى: «عدة عضات».

سألت الطبيبة «ما فصيلة ذلك الكلب؟».

- «إنها لكلاب ضخمة».

- «كيف حدث هذا؟».

وهنا ترك روى بياتريس لتستكمل القصة؛ فهى أكثر منه خبرة فى تلفيق القصص للكبار.

قالت بياتريس: «أمسكتْ به الكلاب وهو فى ملعب كرة القدم. وجاء بعدها راكضًا إلى البيت، وقد نهشته، مما جعلنا نصطحبه إلى هنا بسرعة».

قالت الطبيبة جونزالز وهى تقطب جبينها: «هممممم».

بدا انفعال بياتريس عبقريًا وهى تقول للطبيبة: «ماذا؟ ألا تصدقيننى؟» لكنَّ الطبيبة التى كانت هادئة رزينة ردت قائلة: «أوه.. إننى أصدق أن أخاك غير الشقيق قد هاجمته الكلاب، لكننى لا أصدق أن ذلك قد حدث اليوم».

تصلبت بياتريس، وعرف روى أن عليه أن يعمل على مساندتها وبسرعة.

فسَّرت الطبيبة جونزالز قائلة: «الجراح على الذراع ليست حديثة. وإذا ما أخذت فى الاعتبار شدة الالتهاب، فأنا أقدر أنه تعرض للعض منذ حوالى ثمانى عشرة إلى أربع وعشرين ساعة مضت.

ظهر الاضطراب على بياتريس. لم ينتظر روى حتى تستعيد توازنها قال للطبيبة: «نعم. هذا صحيح منذ ثمانى عشرة ساعة».

- «أنا لا أفهم».

- «أُغمى عليه بعد أن عضته الكلاب ولم يفق إلاَّ فى اليوم التالى وعاد إلى البيت راكضًا. وبعدها اتصلت بى بياتريس وطلبت منى أن أساعدَها فى حمله إلى المستشفى».

ثبَّتت الطبيبة جونزالز روى فى مكانه. كانت تحدق إليه بنظرة صارمة، مع أنه بدا فى صوتها أن ما تسمعه يسليها أكثر مما يغضبها.

وسألته: «ما اسمك يا بنى؟».

ابتلع روى ريقه. لقد أمسكت به الطبيبة على غفلة.

أجابها بصوت خافت: «تكس».

وكزته بياتريس بكوعها كما لو أنها تقول له: «أهذا أفضل ما عندك؟». شبكت الطبيبة ذراعيها وقالت: «إذن يا تكس فلنكن واضحين. نهشت الكلاب الضخمة صديقك على ملعب كرة القدم، ولم يحاول أحد مساعدته. وظل مُغمىً عليه طوال الليل ومعظم اليوم التالى. وفجأة صحا من غيبوبته وعاد راكضًا إلى البيت. هل هذا صحيح؟».

Twitter: @alqareah

أحنى روى رأسه وهو يقول بصوت خافت: «نعم، كان كاذبًا مثيرًا للشفقة، وهو على علم بذلك». وجهت الطبيبة اتهاماتها القاسية إلى بياتريس.

- «لماذا تُرِكَتْ لكِ مهمة نقل أخيك غير الشقيق إلى المستشفى؟ أين أهلك؟».

أجابت بياتريس: «يعملون».

- «ألم تتصلى بهم لتبلغيهم أن هناك حالة طارئة؟».

- «إنهم يعملون ضمن فريق عمل على مركب لصيد السرطان، ولا يوجد على المركب اتصال هاتفى».

فكر روى. إنه تعليل غير سيئ. ومع هذا فلم تقتنع الطبيبة بكلامها، وقالت لبياتريس: «كيف يمكن أن يتغيب أخوك كل هذه المدة الطويلة ولا يهتم أحد من أفراد العائلة للاتصال بالشرطة؟».

قالت بياتريس بهدوء: «لأنه يهرب أحيانًا من البيت ولا يعود إلاَّ بعد فترة».

كان هذا فعلاً أقرب ما يكون للحقيقة. ومن المثير للسخرية أنه الجواب الذى جعل الطبيبة تتراجع وتكف عن الاستنطاق.

قالت لهما: «سأذهب الآن لأفحص روى. وفى هذه الفترة لعلكما ترغبان فى إعادة تنقيح قصتيكما».

سألت بياتريس: «على أية حال، كيف هو الآن؟».

- «أفضل أخذ حقنة ضد التيتانوس. والآن نحن نعطيه مضادًا حيويًا. وأدوية مزيلة للألم، وهى مسكنات قوية؛ ولذا فهو غارق فى النوم».

- «هل من الممكن رؤيته؟».

- «ليس فى الوقت الحاضر».

Twitter: @alqareah

وما إن ذهبت الطبيبة حتى هرع روى وبياتريس إلى الخارج؛ ليتمكنا من تبادل الحديث بأمان. جلس روى على سلم غرفة الطوارئ. وظلت بياتريس واقفة.

- «لن تُجدى قصتنا. سينكشف ادعاؤنا بعد أن يتضح أنه ليس أنت»، وافقها روى على أن هناك مشكلة فعلية قائلاً: «إنها أكبر كذبة لهذه السنة».

- «وما إن تسمع (لونا) بالأمر حتى تبادر بحجزه فى سجن للأحداث». أضافت بياتريس وقد بدا عليها الأسى: «إلى أن تجد له مدرسة عسكرية جديدة. على الأرجح فى مكان بعيد جدًا عن هنا مثل (جوام)؛ حيث لا يمكنه الهرب والعودة منها».

لم يستطع روى أن يفهم كيف يمكن لأم أن تركل ابنها من حياتها، ولكنه يعلم أن مثل هذه الحوادث المأساوية موجودة. كان قد سمع عن آباء تصرفوا بالطريقة ذاتها. سيصاب بالإحباط إذا ما استمر فى التفكير بهذا الموضوع.

ووعد بياتريس: «سنجد حلاً».

قرصت بياتريس خده وهى تقول: «هل تعلم يا تكس؟ أنتَ ولدٌ طيب». قالت هذا وهى تثب قافزة على السلالم.

نادى عليها: «هيبه. إلى أين أنت ذاهبة؟».

- «سأُحضِّر العشاء لوالدى. فهذا ما أفعله كل ليلة».

- «أنت تهذرين. أليس كذلك؟ فلن تتركينى فى هذه الورطة وحدى».

قالت بياتريس: «أنا آسفة. سيصاب أبى بالرعب لو لم يجدنى حوله، فهو لا يستطيع أن يحضِّر لنفسه شطيرة خبز محمصة، دون أن يحرق أصابعه».

- «ألا تستطيع لونا أن تهيئ له طعامه هذه المرة؟».

- «نعم، لا تستطيع، فهى تخدم فى خمارة بمنطقة (إيلكز لودج)» لوَّحت له

Twitter: @alqareah

بيدها تلويحة سريعة وصغيرة وهى تقول: «سأعود بأسرع ما يمكننى. لا تدعهم يجرون أية عملية أو أى شىء لأخى فى أثناء غيابى».

قفز روى واقفًا وهو يقول: «انتظرى.. أخبرينى ما اسمه الحقيقى؟ هذا أقل ما يمكنك فعله بعد كل الذى حدث».

– أنا آسفة يا راعية البقر، لكنى لا أستطيع. سبق ووعدته بدمى بأننى لن أبوح باسمه مهما حدث. كان هذا منذ زمن طويل».

– «أرجوكِ».

قالت بياتريس: «إن كان يريدك أن تعلم، فسيخبرك بنفسه». ثم مضت راكضة. وتلاشى وقع خطواتها فى ظلمة الليل.

عاد روى أدراجه إلى غرفة الطوارئ. كان يعلم أن أمه ستقلق عليه؛ لذا سأل الموظف المسئول إن كان باستطاعته إجراء مكالمة هاتفية. رن الجرس على الجانب الآخر أكثر من ست مراتٍ قبل أن تتلقى الآلة التى تسجل المكالمات رسالته الصوتية التى يقول فيها إنه سيعود إلى المنزل بعد أن ينتهى وبياتريس من تنظيف الفوضى بعد إجراء التجربة المعملية التى قاما بإجرائها.

جلس وحيدًا فى ركن الانتظار. نقَّب فى كوم المجلات إلى أن عثر على مقال عن «الحياة فى الطبيعة». كان الموضوع عن جريمة صيد أسماك السلمون النهرية فى جبال (الروكى).

أفضل ما فى البحث الصور الفوتوغرافية – هناك صور لصيادى سمك يصطادون بواسطة خطاف وحشوة بارود بعمق لا يصل إلى أكثر من ارتفاع ركبهم فى مياه زرقاء لأنهار تقع فى الغرب من أمريكا، تنتشر بها الثعابين الطويلة، كما يمكن رؤية صفوفٍ من الجبال الصخرية المغطاة بالجليد عن بعدٍ.

Twitter: @alqareah

تركت هذه الصور شعورًا عميقًا بالحنين لمونتانا لدى روى حين سمع صوت صفارة إنذار خارج المبنى تقترب، وقرر أنه توقيت ممتاز ليذهب باحثًا عن آلة لشرب الكولا، مع أنه لم يكن معه أكثر من عشرين سنتًا فى جيبه.

ولكن الحقيقة أن روى لم يرغب فى البقاء فى غرفة الطوارئ؛ لمشاهدة ما وراء صفارة الإنذار. لم يكن مستعدًا لرؤيتهم وهم يجرُّون مصابًا فى حادث خطير، أو أحدًا على وشْك الموت.

ربما شعر غيره من الأولاد بالفضول لمعرفة نوع الحادث، ولكن هذا لا ينطبق عليه! فمنذ فترة حين كان فى السابعة من عمره، وكان يعيش مع عائلته بالقرب من (ميلوكى)، شاهد صيادًا فى حالة سكر شديد يندفع بسيارته المحصنة ضد الجليد بأقصى سرعة ويصطدم بشجرة عتيقة من أشجار البتولا(*) حدث الاصطدام على بُعد مائة ياردة فقط من المنحدر الذى كان هو ووالده يتزلجان عليه.

صعد السيد إيبرهاردت راكضًا إلى أعلى التل للمساعدة، وروى يلهث من خلفه، وحين وصلا إلى الشجرة اكتشفا أنه لم يعد هناك ما يمكنهما فعله. كان الرجل الميت غارقًا فى دمائه وملويًا بزاوية غريبة مثل عروسة أطفال محطمة. عرف روى أنه لن ينسى أبدًا ما شاهده، ولم يعد راغبًا فى أن يتعرض لمشاهدة مشهد مماثل مرة أخرى فى حياته.

لذا لم تكن لديه النية للبقاء حول غرفة الطوارئ حين وصول الحالة الطارئة الجديدة. تسلل من باب جانبى وأخذ يتجول فى المستشفى لمدة خمس عشرة دقيقة إلى أن اعترضته إحدى الممرضات. قال روى بازلاً جهدًا ليبدو عليه الارتباك: «أظن أننى تائه».

(*) أشجار فى أمريكا صغيرة الأوراق، منحنية الأغصان أشبه بأشجار الزيزفون.

Twitter: @alqareah

- «لا ريب فى ذلك».

قادته الممرضة من خلال ممر خلفى إلى غرفة العمليات.. شعر روى بالراحة؛ لأنه لم يلحظ أى أثر لفوضى أو مذبحة. كان المكان هادئًا كما تركه.

مشى إلى النافذة متحيِّرًا وتفحص المكان خارج النافذة. كل ما شاهده كان سيارة دورية شرطة «كوكنت كوف». على الأرجح لا يوجد حادث خطير، وهكذا عاد إلى قراءة مجلته.

بعدها بقليل، سمع أصواتًا وراء الأبواب المزدوجة التى تقود إلى حيثُ يعالج أصابع المولييت. سُمع صوت نقاش حادٍّ وعالٍ فى جناح المرضى. أصاخ روى سمعه محاولاً فهم ما يقال.

علا صوت على بقية الأصوات. وشعر روى معه بالانزعاج لدى تعرفه عليه. جلس فى مكانه قانطًا مضطرب الأعصاب يحاول أن يقرر خطوته التالية. ثم تعرَّف على صوتٍ آخر. وهنا تأكد أنه لم يعد أمامه سوى خيار واحد.

سار نحو البابين المزدوجين وفتحهما، وهو يصرخ: «أهلاً. أمى، أبى. إننى هاهنا».

أصرَّ الشرطى دلينكو على اصطحاب عائلة إيبرهاردت إلى المستشفى. إنه لتصرف لائق منه، كما أنها فرصة ممتازة لكسب نقط استحسان إضافية لدى والد روى. تمنى رجل الدورية ألا يكون ابن السيد إيبرهاردت متورطًا فى أعمال التخريب المتتالية على موقع إنشاء الأم باولا. إن ثبت تورطه سيصبح الموقف محرجًا للغاية.

فى طريقهم إلى المستشفى، جلس والدا روى فى المقعد الخلفى، وأخذا

Twitter: @alqareah

يتبادلان حديثًا هامسًا فيما بينهما. قالت والدة روى إنها تعجز عن تخيل كيف أنَّ الكلاب عضت ابنها، بينما هو منهمك في مشروع التجربة المعملية.

وخمنت قائلة: «قد يكون ما حدث بسبب لحم الهمبرجر».

صرخ والد روى: «لحم الهمبرجر؟! إلى أية فئة من المدارس تنتمى هذه المدرسة التى تستعمل الهمبرجر فى تجاربها المعملية؟».

استطاع الشرطى دلينكو أن يرى فى المرآة العاكسة السيد إيبرهاردت وهو يلفُّ يده حول كتفى زوجته. كانت عيناها مبللتين بالدموع وهى تعضُّ على شفتها السفلى. وبدا السيد إيبرهاردت يعتصره الألم، يكاد ينفجر كنابض الساعة الذى عُبئ أكثر من اللازم. وحين وصلا إلى حجرة الطوارئ أعلن الموظف المسئول أن روى نائم ولا يمكن إزعاجه، وحاولا أن يتفاهما معه بالعقل ولكن الموظف لم يهتز.

قال السيد إيبرهاردت غاضبًا: «نحن والداه، ونرغب فى رؤيته فى الحال».

- «لا تضطرانى لطلب المشرف يا سيدى».

قال السيد إيبرهاردت: لا يهمنى حتى لو طلبت ساحر الجن.. سندخل شئْتَ أم أبيْتَ».

لحق بهما الموظف من خلال البابين المتحركين معترضًا:

- «لا يمكنكما فعل هذا». انزلق الموظف ووقف حائلاً ليسد الممر المؤدى إلى جناح المرضى. تقدم الشرطى دلينكو مفترضًا أن رؤية الزى الرسمى للشرطى سيخفف من حدة وتشدد الرجل، لكنه كان مخطئًا؛ حرَّك الموظف أمامهما بطاقة كُتِبَ عليها: (ممنوع الزيارة قطعيًّا، بناءً على أوامر الطبيب)، وقال: «عليكما العودة ثانية إلى غرفة الانتظار، وكذلك أنتَ أيها الشرطى».

Twitter: @alqareah

تراجع الشرطى دلينكو إلى الوراء، ولم يتراجع آل إيبرهاردت.

ذكَّرت أم روى الموظف بقولها: «استمعْ إلىَّ. هذا الولد الذى يرقد فى الداخل هو ابننا. أنت من اتصلت بى هاتفيًّا لتخبرنى بذلك. وأنت الذى طلبت منا الحضور».

- «نعم، وبإمكانكما رؤية روى حين يأذن الطبيب».

ظلت نبرة صوت السيد إيبرهاردت عادية، ولكن صوته تصاعَدَ وصاح: «إذن نادِ الطبيب الآن. أمسك الهاتف واطلب الرقم. إذا كنت نسيت كيفية استعمال الهاتف سيسرنا إرشادك».

قال الموظف موجزًا:

«إن الطبيبة تأخذ استراحة، وستعود بعد نحو خمس وعشرين دقيقة».

قال السيد إيبرهاردت: إذن، ستجدنا هنا نزور ابننا المصاب. والآن إن لم تتنحَّ عن الطريق، فإنَّ فى نيتى ركلك ورميك إلى آخر العالم. هل تفهمنى؟».

شحبَ وجه الموظف وتأتأ قائلاً:

«سأقدم شكوى ضدك إلى المشرف». أزاحه السيد إيبرهاردت وشق طريقه نحو البهو وهو يقود زوجته من كوعها. انطلق من ورائهما صوت نسائى صارم قائلاً: «توقفا فى مكانكما».

توقف آل إيبرهاردت واستدارا. خرجت من بابٍ كُتب فوقه : خاص بالمسئولين، سيدة ترتدى لباس العمليات الأزرق السماوى وتضع السماعة الطبية وقالت:

أنا الطبيبة جونزالز، إلى أين تنويان الذهاب؟».

أجاب السيد إيبرهاردت: «لنرى ابننا».

Twitter: @alqareah

انطلق الموظف صارخًا: «حاولت منعهما».

سألت الطبيبة عائلة إيبرهاردت: «هل أنتما والدا روى؟».

- «نعم». لاحظ الأب أن الطبيبة جونزالز تحدق إليهما بفضول غريب.

قالت الطبيبة: أرجو المعذرة إن كان سؤالى خارج الموضوع. ولكن لا يبدو عليكما أبدًا أنكما تعملان فى مركب لصيد السرطان.

قالت والدة روى: ما هذا الذى تتحدثين عنه. هل يعانى جميع العاملين فى هذا المستشفى من العته؟

تدخَّل الشرطى دلينكو قائلاً: «لابد أن هناك خطأً ما، فالسيد إيبرهاردت يعمل فى وزارة العدل فى الإدارة الفيدرالية الأمريكية؛ للمحافظة على تنفيذ القوانين».

تنهدت الطبيبة جونزالز وقالت:

«حسنًا، سنحل هذه المعضلة لاحقًا. والآن تفضلا. دعونا نذهب لزيارة ابنكما».

يضم جناح مرضى الطوارئ ستة أسرَّة. خمسة منها كانت خالية من المرضى، وكانَ هناك ستار أبيض يحيط بالسرير السادس.

قالت الطبيبة جونزالز بصوت خفيض: «إنه يعالج الآن بالمضاد الحيوى عالى المفعول، وقد تحسن كثيرًا. ولكن إلى أن نجد تلك الكلاب سيلزمه سلسلة من الحقن المضادة للكلب، وهذا أمر لا دعابة فيه».

شبك آل إيبرهاردت ذراعيهما معًا واقتربا من السرير المحاط بالستائر، ووقف الضابط دلينكو وراءهما وهو يتساءل عن لون القميص الذى يرتديه روى. كان فى جيب رجل الدورية قطعة من القماش لونها أخضر ناصع، كانت قد علقت على سياج موقع الأم باولا.

جرَّت الطبيبة الستارة وهى تقول: «لا تندهشوا إذا كان لا يزال نائمًا». لم ينطق أحد منهم بكلمة، ووقف الأربعة يحدِّقون بعيون زائغةٍ فى السرير الفارغ.

Twitter: @alqareah

عُلّق على عمود من المعدن كيس بلاستيكى يحتوى على سائل بلون الزنجبيل. وكان الأنبوب الموصل إليه مفصولاً ومتدليًا إلى الأرض.

وأخيرًا، أطلقت السيدة إيبرهاردت صرخة: «أين روى؟».

تدلت ذراعا الطبيبة جونزالز بطريقة تدل على قلة حيلتها وهى تقول: «أنا حالاً... أنا حقيقةً... أنا لا أعلم».

انفجر السيد إيبرهاردت قائلاً: «لا تعلمين؟ منذ دقيقة مضت كان الولد المصاب نائمًا فى سريره، وفى الدقيقة التالية يختفى!». خطا الشرطى دلينكو ليقف بين السيد إيبرهاردت والطبيبة. خاف رجل الدورية أن يصل غضب السيد إيبرهاردت إلى درجة تدفعه لارتكاب عمل يندم عليه لاحقًا.

تساءلت السيدة إيبرهاردت ثانية: «أين ابننا؟».

اتصلت الطبيبة بالممرضة وبدأت تبحث مرعوبة فى جناح الطوارئ وهى تقول: «ولكنه المريض الوحيد هنا!».

قال السيد إيبرهاردت غاضبًا: «كيف أمكنَ أن تفقدى المريض الوحيد الموجود لديكم؟ ماذا حدثَ؟ هل جذبه غرباء من رجال الفضاء بإشعاعهم نحو مركبتهم الفضائية بينما كنت تتناولين فنجانًا من القهوة فى فترة الراحة؟!».

انخرطت السيدة إيبرهاردت فى البكاء وهى تصرخ: روى! روى، أين أنت؟ وأخذت هى والطبيبة جونزالز فى البحث تحت بقية الأسِرَّة الخمسة فى الجناح. سحب الشرطى دلينكو جهازه اللاسلكى وقال: «سأطلب نجدة».

فى نفس اللحظة، فُتحت الأبواب المزدوجة المؤدية إلى غرفة الانتظار:

- «أمى، أبى، إننى ها هنا».

غمرَ آل إيبرهاردت عمليًّا ابنهما بالعناق الواحد تلو الآخر.

Twitter: @alqareah

ضحك الشرطى دلينكو وهو يقول: «أيها الشيطان الصغير».

وأعاد جهازه إلى مكانه. كان مسرورًا لأن روى لم يكن مرتديًا القميص الأخضر الممزق الكم.

صفقت الطبيبة جونزالز يديها بقسوة وهى تصيح: «واو! فليتوقف كل واحد منكم لدقيقة».

نظرت أسرة إيبرهاردت إلى الطبيبة بحيرة. لم يبدُ عليها السرور لعثورها على مريضها المفقود. وسألتهما وهى تشير نحو ابنهما: «هل هذا روى؟».

قالت السيدة إيبرهاردت وهى تقبّله على قمة رأسه: «طبعًا هذا هو ابننا. ومن غيره؟! عد حالاً يا عزيزى إلى السرير فى المستشفى».

قال السيد إيبرهاردت: «كلا، ليس بهذه السرعة. فأنا لم أعد واثقًا مما حدث هنا، ولكنْ لدىَّ شعور بأن علينا أن نقدم اعتذارنا للطبيبة، عدة اعتذارات بالأحرى». ووضع يديه على كتفى روى وهو يقول: «فلنرَ معًا عضات تلك الكلاب يا صاحبى».

غضَّ روى عينيه وقال: «لم تعضضنى الكلاب. فلست بالولد الذى عضه الكلب».

دمدمت السيدة إيبرهاردت: «إذن، فقد وضح لى الأمر الآن، فأنا المجنونة الوحيدة، التى فقدت عقلها وتصرفت بحماقة وتفوهت بكلام بذىء».

قالت الطبيبة جونزالز: «اعذرونى يا سادة، ولكن أمامنا مشكلة مهمة، فمريضنا الحقيقى لا يزال مفقودًا».

وضح الارتباك الشديد على الشرطى دلينكو ومرة ثانية أمسك بجهازه اللاسلكى عازمًا الاتصال بمركز الشرطة الرئيسى.

Twitter: @alqareah

قالت السيدة إيبرهاردت: «هل يمكن أن يشرح لى أحد قبل أن ينفجر دماغى؛ كيف حصل كل هذا اللبس؟!».

أشار السيد إيبرهاردت نحو روى الذى تمنى فجأة أن يزحف نحو حفرة ويختبئ داخلها وقال: «شخص واحد فقط باستطاعته تفسير هذا اللغز». وأداره والده ليواجه الطبيبة جونزالز.

رفعت الطبيبة حاجبها وهى تقول: «تكس!».

شعر روى باحتقان وجهه وقال: «آسفٌ جدًّا».

- «هذا مستشفى، وليس مكانًا للهو».

- «أعلم هذا. وأنا أعتذر».

- «إن كنت روى الحقيقى، إذن فمن هو ذلك الشاب الصغير الذى كان يرقد فى السرير؟ وإلى أين ذهب؟ أريد أن أسمع الحقيقة».

نظر روى إلى أعلى حذائه الرياضى. ما تذكَّر يومًا آخر مرَّ عليه طوال حياته تعرض فيه لمثل كل هذه الأحداث السيئة.

قال له والده: «أجب عن أسئلة الطبيبة يا بنى».

وشدَّت أمه على يده وهى تقول: «تكلم يا عزيزى. إنه لأمرٌ هامٌ».

ووافقهما الشرطى دلينكو بقوله: «تأكد أننا سنعثر عليه آجلاً أو عاجلاً». رفع روى عينيه بحزن ليواجه الكبار وقال: «لا أعرف اسمه. ولا أعلم أين هو الآن. أنا آسف جدًّا. ولكن هذه هى الحقيقة»، وبالفعل كان ما ذكره صحيحًا.

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث عشر

بينما كان روى يأخذ حمامًا قامت والدته بتحضير طبق من المكرونة. تناول ثلاثة أطباق متتالية، عمَّ الهدوء مائدة الطعام كما لو كانوا فى مباراة للشطرنج.

أنزل روى شوكته من يده، والتفت نحو والده قائلاً: «أظن أننا سنذهب إلى الحجرة الصغيرة. أليس كذلك؟!».

- «هذا صحيح».

مضت سنوات منذ آخر مرة تعرَّض فيها روى لضربة على مؤخرته.

وكان يشك فى إمكانية تعرضه لواحدة اليوم. كانت الحجرة الصغيرة التى يتخذها والده مكتبًا له، هى المكان الذى يجتمعان فيه كلما تطلب الأمر تفسير مشكلة خطيرة. كان روى مرهقًا جدًّا، ولم يكن واثقًا أن ما سيقوله لتبرير نفسه سيكون له أى معنى.

كان والده يجلس وراء مكتبه الخشبى المصنَّع من خشب الجوز منتظرًا.

سأله: «ما هذا الذى بيدك؟».

- «كتاب».

- «باستطاعتى أن أرى أنه كتاب. أتمنى أن أتوصل إلى مزيد من التفاصيل».

Twitter: @alqareah

يلجأ والد روى أحيانًا إلى السخرية حين يظن أنه لم يصل إلى إجابة واضحة. ويرى روى أن هذا نتيجة لسنوات أمضاها الأب فى استجواب شخصيات مخادعة من رجال العصابات، أو الجواسيس، أو أى من الذين تستدعى وظيفته استنطاقهم والتحقيق معهم.

قال لروى: «أظن أن هذا الكتاب سيُضفى بعض النور على أحداث الليلة الغريبة».

سلَّم روى الكتاب لوالده من خلال المكتب قائلاً:

«قدمتما لى هذا الكتاب أنتَ وأمى كهدية خلال أعياد عيد الميلاد المجيد منذ سنتين».

قال أبوه وهو يتفحص الغلاف الذى كتب عليه (دليل سيبلى للطيور): «أتذكر ذلك. أواثقٌ أنت أننا لم نهده إليك على عيد ميلادك؟».

- «أنا متأكد يا أبى».

كان روى قد وضع اسم الكتاب على قائمة المشتريات التى يرغب فيها، بعد أن تراهن مع والده رهانًا وديًّا، ففى إحدى الأمسيات شاهدا طائرًا من طيور القنص بلون بنى محمر ينقضُّ نحو الأرض ويختطف سنجابًا من مزرعة للمواشى فى وادى نهر (جلاتان). كان أبوه قد راهنه على كأس من اللبن المضروب بأن الطائر نسر حديث الولادة أصلع، لم ينبت على رأسه بعد ذلك التاج الأبيض من الريش الذى تتميز به هذه الفصيلة من النسور. ولكن روى كان قد خمَّن أن الطائر نسر ذهبى من النوع العادى المكتمل النمو، الذى يكثر وجوده فى البرارى الجافة. بعد ذلك قاما بزيارة لمكتبة (بوزمان) وبحثا فى كتاب (سيبلى) واقتنع الوالد بأن روى كان على حق.

رفع السيد إيبرهاردت الكتاب بين يديه وسأل: «ما الذى يربط بين هذا الكتاب والمهزلة التى حدثت فى المستشفى؟».

Twitter: @alqareah

قال روى: انظر إلى صفحة (278). لقد وضعتُ علامة عندها.

قلَّبَ الأبُ الكتابَ وفتحه على الصفحة المعينة، وأخذ يقرأ بصوت عال من النص: «البوم الذى يحفر جحرًا فى الأرض اسمه العلمى (أتين كونيكولاريا). وهو طائر ذو ساقين طويلتين وذنب قصير وأجنحة طويلة نسبيًّا ورأس مستوٍ. وكثيرًا ما يشاهد هذا النوع من البوم الصغير الحجم فى وضح النهار هائمًا فى الخلاء» حدَّق الوالد بتمهل رافعًا عينيه عن الكتاب وقال ساخرًا: «هل لهذا أى علاقة بالتجربة العلمية التى ادعيتما أنت وصديقتكَ العمل عليها من بعد ظهر ذلك اليوم؟»

اعترف روى: «لم يكن هناك أى تجربة علمية».

- «وماذا عن لحم الهمبرجر الذى أعطته لكما أمك؟».

- «كان طعامًا للبوم».

قال السيد إيبرهاردت: «واصِل الحديث».

- «إنها قصة طويلة يا أبى».

- لا شىء أملكه سوى الوقت.

قال روى: «حسنًا». فكَّر روى فى نفسه. لعلَّ من الأسهل عليه تلقى الصفعة على مؤخرته.

وبدأ يسرد قصته: «كما ترى. هناك هذا الولد الذى يماثلنى فى العمر...».

حكى روى لوالده كل شىء. تقريبًا كل شىء، ولم يذكر أن الثعابين التى وزعها أخو بياتريس غير الشقيق فى المراحيض كانت من النوع السام جدًّا، وأن الصبى قد أقفل أفواهها فعلاً. فمثل هذه التفاصيل ربما أثارت جزع السيد إيبرهاردت أكثر من أعمال التخريب المزعجة. كذلك تعمَّد روى ألا يكشف أن بياتريس هى التى لقبت أخاها غير الشقيق بلقب (أصابع المولية)، كى لا يشعر

Twitter: @alqareah

والده بأنه مضطر بحكم القانون لإبلاغ الشرطة، أو أنه بلا اسم مدوَّن فى ملف المعلومات فى الكمبيوترات الحكومية. خلافًا لهذا أخبر روى والده عن كل ما يعرفه عن الولد الهارب. استمع إليه والده دون أن يقاطعه.

وحين انتهى من قصته قال: «إنه بالفعل ليس ولدًا سيئًا يا أبى. كل ما يحاول فعله هو إنقاذ البوم».

ظلَّ السيد إيبرهاردت صامتًا لبضع دقائق، ثم عاد وفتح كتاب دليل (سيبلى) ونظر إلى الصور الملونة للطائر الصغير النادر.

قال روى: «كما ترى، ما إن تبدأ عربات الحفر ونقل الأتربة فى العمل على موقع الأم باولا حتى لايبقى أثر للجحور وتُدفن تحت الأتربة».

وضع الأب الكتاب جانبًا ونظر إلى ابنه نظرة حب وحنان.

وبدا الحزن واضحًا على صوته وهو يقول:

- «إنهم يمتلكون الموقع يا روى. بإمكانهم أن يفعلوا ما بدا لهم».

- «ولكن».

- «على الأرجح أنهم تمكنوا من الحصول على جميع الرخص والأوراق اللازمة».

سأل روى غير مصدق ما سمع: «هل أخذوا إذنًا بدفن البوم؟».

- «ستطير البوم وتهرب بعيدًا. وستعثر على جحور أخرى فى مكان آخر»

وردَّ روى غاضبًا: «ولكن ما الذى سيجرى لصغار البوم التى فى الجحور؟ كيف تتمكن هذه الصغار من الطيران؟».

أقر الوالد: «لا عِلْمَ لِى».

ثابر روى فى الضغط على والده: «هل سيروق لكما أنتَ وأمى أن يأتى بعض الأغراب ويهدموا المنزل ويسووه بالأرض؟ وهم يقولون لكما: لا تقلقا يا سيد ويا سيدة إيبرهاردت، ليست هناك مشكلة. كل ما نطلبه منكما أن تحزما أمتعتكما وتنتقلا إلى مكان آخر. ما شعورك إذا ما تعرضت لهذا؟».

Twitter: @alqareah

نهض والد روى من مكانه ببطء كما لو كان يحمل على كتفيه مئات من بلاط القرميد، وقال الأب لابنه: «دعنا نقم بجولة».

كانت ليلة هادئة بلا غيوم، برز فيها قمر فضى شاحب من وراء سطح أحد المنازل، وحامت حول عمود نور الشارع أنواع من الحشرات الثقيلة، كما سُمعَ بالقرب من نهاية مجموعة البيوت أصوات قطتين تتبادلان المواء.

سار والد روى وقد تدلَّت ذقنه بعض الشيء. ووضع يديه فى جيبه ثم علَّق على قول روى: «إنك لتكبر بسرعة». وهذا ما أثار دهشة روى فرد: «إن ترتيبى هو الثالث فى قصر القامة بين أولاد الفصل يا والدى».

- «ليس هذا ما أعنيه».

وبينما كانا يسيران على الرصيف أخذ روى يتنقل قافزًا من شق إلى الشقّ التالى، ثم دار الحديث بينهما وهما يتناقشان حول موضوعات مريحة عن المدرسة، والرياضة بشكل عام والرياضة بالمدرسة، إلى أن عاد روى وأدار الحديث ثانية نحو الموضوع الحساس. نحو أصابع المولیت. كانت لديه رغبة فى معرفة فى أى جهة يقف والده.

قال روى: «هل تذكر ذلك اليوم فى الصيف الماضى حين كنا نطفو بالزورق على نهر (ماديسون)».

قال الوالد: «طبعًا أتذكر ذلك الزورق الذى يبدو كأنبوب طويل».

قال روى: «هذا صحيح. وهل تذكر أننا استطعنا أن نقفز ونعد خمسًا من البوم الكبير ذات القرون على إحدى أشجار «الكوتون وود». هل تتصور خمسًا منها؟».

- «نعم أتذكر».

- «وهل تذكر أنك حاولتَ أن تلتقط لها صورة ولكن آلة التصوير وقعت فى النهر؟».

Twitter: @alqareah

– قال والد روى وهو يتذكر : «ليس هذا ما حدث تماماً. فأنا الذى أسقطتها عن عمد فى النهر».

– «هيه. لقد كانت آلة رخيصة من النوع الذى يستعمل مرة واحدة ثم يتم التخلص منه بعد استعماله».

– «نعم. ولكنها لقطة فريدة. خمس منها على ذات الشجرة».

قال روى: «نعم. كانت ستصبح مثيرة جدًّا للدهشة». لقد أدت قصة البوم الغرض. فها هو الأب يقف فى صفه.

– «هل تجهل اسم الولد الذى حدثتنى عنه فعلاً؟».

قال روى: «لقد رفض أن يُعطينى اسمه. وكذلك بياتريس. وأنا صادق فيما أقول كل الصدق».

– «ألم يتخذ اسم عائلة زوج أمه؟».

– «كنية (ليب) لا. ذلك حسبما تقول بياتريس».

– «وأنتَ تقول إنه غير ملتحق بأى مدرسة».

شعر روى بالإحباط. بدا الأمر كما لو أن والده ينوى تقديم تقرير عن امتناع أصابع المولية من الذهاب إلى المدرسة، وعن بقائه متسكعًا فى الطرقات.

قال السيد إيبرهاردت: «ما يقلقنى هو وضع العائلة. فلا يبدو أن أحوالهم جيدة».

اقر روى: «نعم. فهى ليست جيدة. وهذا ما جعله رافضًا الإقامة معهم فى البيت».

– «أليس لديه أى أقارب ليهتموا بأمره؟».

– «إنه يشعر بالأمان حيث يقيم».

– «هل أنتَ واثق من ذلك؟».

Twitter: @alqareah

- «أرجوك يا أبى لا تسلمه للسلطات».

- «وكيف أفعلُ ذلك إن لم أكن أعلم كيفية العثور عليه وأين يقيم؟».

وغمز له والده بعينه وهو يقول: «ولكنى سأخبرك بما سأفعل، سأمضى بعض الوقت وأنا أفكر بجدية فى كل ما يتعلق بهذا الموضوع، وعليك أن تحذو حذوى».

قال روى: «حسنًا». وهل كان بالإمكان أن يفكر فى أى شىء آخر.

حتى معركته مع دانا ماثرسون بدت له كحلم سخيف مضى عليه زمن طويل.

قال الوالد: «من الأفضل لنا العودة إلى البيت. تأخر الوقت. وكان يومك طويلاً».

وافقه روى : «نعم كان يومًا طويلاً جدًّا».

لكن وبعد أن اضطجع على سريره لم يستطع أن يغفو بعمق. كان جسمه مرهقًا ولكن عقله ظل متيقظًا جدًّا يهدر بصخب أحداث يومه؛ ولذا قرر أن يلجأ إلى القراءة.

أخذ كتابًا بعنوان «أرض تُذكر»، كان قد استعاره من المدرسة، يحكى قصة عائلة كانت تعيش فى الماضى فى سنة (1850) فى فلوريدا، حين كانت لا تزال قفارًا وغابات طبيعية. كان عدد الناس قليلاً. وكانت المستنقعات والغابات تمتلئ بالحيوانات البرية. كان على الأرجح زمنًا رائعًا ومميزًا لمخلوق مثل البوم التى تحفر جحورها بالأرض.

كان هذا هو الذى استغرق روى فى تخيله.

وبعد مضى ساعة، وهو بين الصحو والنوم سمع صوت طرقة «تاب تاب» على باب غرفة النوم. إنها أمه تنسل لتتمنى له ليلة طيبة.

أخذت الكتاب من بين يديه وأطفأت نور المصباح بجوار السرير، ثم جلست على السرير لتسأله عن حاله. أجابها: «منهك». شدت الأغطية بلطف، لتسحبها

Twitter: @alqareah

حتى عنقه. ومع أنه كان شاعرًا بدفء زائد إلاَّ أنه لم يعترض، فهى عادة من عادات أمه التى لم يكن باستطاعتها التغلب عليها.

بادرته قائلة: «أنت تعلم قدر حبنا لك يا عزيزى».

فكر روى لنفسه: «أووه. ها هى ستبدأ».

- «ولكن ما فعلته الليلة فى المستشفى بموافقتك لذلك الولد باتخاذ اسمك فى جناح الطوارئ...».

قاطعها قائلاً: «كانت هذه فكرتى يا أمى وليست فكرته».

قالت الأم: «أنا واثقة من حسن مشاعرك. ولكنك عمليًّا، لجأت إلى الكذب بإعطائك معلومات غير صحيحة، أو ما شابه ذلك. إنه أمر خطير يا عزيزى».

- «أعلم ذلك».

- «كل ما هنالك أننى وأباك لا نريد أن تعرِّض نفسك للمشاكل، حتى لو كان ما أقدمت عليه من أجل مساعدة صديق».

رفع روى نفسه على أحد كوعيه وقال: «لقد كان مصممًا على الهرب حتى لا يكشف عن اسمه الحقيقى. ولم أكن لأسمح بهذا، فقد كان مريضًا جدًّا. كان بحاجة إلى رعاية طبية».

- «أتفهَّمُ كلَّ هذا».

قال روى: «كانوا يستنطقونه بأنواع شتى من الأسئلة المزعجة يا أمى، فى حين كان يكاد يغمى عليه لارتفاع حرارته. ربما أننى تصرفت بشكل خاطئ. ولكن لو أننى مررت بذات المأزق ثانية، فسأعيد الكرة وأتصرف بنفس الأسلوب. وأنا أقصد هذا».

انتظر روى أن يسمع بعض اللوم من أمه، ولكنها اكتفت بالابتسام. وأخذت تصلح من الغطاء بكلتا يديها وهى تقول: «فى بعض الأحيان ستجد نفسك يا

Twitter: @alqareah

عزيزى وأنت تواجه ظروفًا تجد فيها أن الخط بين الصواب والخطأ ليس واضحًا. سيحدثك قلبك بشىء. وعقلك بشىء مختلف، وفى النهاية عليك أن تأخذ بالاعتبار كلا الرأيين، وتختار ما يمليه عليك الحكم السليم».

فكر روى: «هذا ما فعلته تقريبًا».

قالت الأم: «لمَ لا يريد هذا الولد الإفصاح عن اسمه الحقيقى؟ ولماذا هرب من المستشفى بهذا الشكل؟».

كان «أصابع المولييت» قد هرب من خلال نافذة فى غرفة حمام السيدات التى تقع بالقرب من مركز الأشعة السينية (× إكس)، تاركًا قميصه الأخضر المقطوع متدليًا من هوائى سيارة دورية الضابط دلينكو التى كانت تقف خارج غرفة الطوارئ.

قال روى: «على الأرجح، هرب لأنه كان خائفًا أن يتصل أحدهم بأمه».

- «وما المشكلة؟».

- «المشكلة، أنها لم تعد تريده فى حياتها أبدًا. وستسعى لإدخاله إلى إصلاحية للأحداث».

- «ماذا؟!».

شرح روى لأمه: «سبق وألحقته أمه بمدرسة عسكرية. وهى الآن لا ترغب فى عودته للإقامة معها. هذا ما قالته بنفسها على مسمع من بياتريس».

شدَّت أم روى رأسها إلى أعلى كما لو أنها لا تثق فى صدق ما سمعت وقالت: «أمه لا تريده؟».

لاحظ روى بريقًا فى عينيها. لم يكن واثقًا أهو من تأثير الأسف أم الغضب، أم من كليهما.

أعادت الأم سؤالها: «أمه لا تريده؟».

Twitter: @alqareah

هزَّ روى رأسه بحزن.

- قالت الأم: «أووووه، ياه».

نطقت بالكلمات برقة متناهية مما أجفل روى، فقد بدا الألم ظاهرًا فى صوتها. شعر روى بالذنب لأنه أخبرها بهذا الجزء من قصة أصابع المولية.

قال روى : «أنا آسف يا أمى. إننى أحبُّكِ».

- «وأنا أيضًا أحبكَ جدًّا يا عزيزى».

قبَّلته على وجنتيه ورتَّبت الأغطية مرة أخرى. وبينما كانت تغلق الباب وراءها لاحظ أنها تقف مترددة، ثم استدارت نحوه ونظرت إليه قائلة: «علىَّ أن أقولَ لك إننا فخوران بك يا روى. فخوران جدًّا».

- «هل تحدث والدى معك بشأن البوم؟».

- «نعم، أخبرنى. إنه لخبر سيئ».

- «تُرى ماذا عساىَ أن أفعل؟».

- «ماذا تعنى؟».

غاص روى فى مخدته وهو يقول: «تصبحين على خير يا أمى».

كانت قد أجابت بالفعل عن تساؤله: كل ما عليه فعله هو أن يحسم النقاش الدائر بين عقله وقلبه.

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع عشر

لحسن الحظ كان اليوم التالى يوم سبت، لذا لم يكن على روى أن يصحو مبكرًا للحاق بحافلة المدرسة.

وبينما كان جالسًا يتناول إفطاره رن جرس الهاتف، كان المتحدث (جاريت). لم يسبق له أن اتصل بروى هاتفيًّا. كان يدعوه للخروج معه للتزحلق على اللوح فى أحد المخازن التجارية المغلقة.

قال روى: «لايوجد لدىَّ لوح للتزحلق، سبق وأخبرتك بهذا، هل تذكر؟».

إن السبب الحقيقى لمكالمة جاريت كان بالطبع هو رغبته فى استكشاف ما حدث (لدانا ماثرسون) فى مدرسة تراس مدل.

سأل روى: «سمعت أن أحدهم ربطه بسارية العلم؟» قال روى: «لم أفعل هذا». ولم يتمكن من التكلم بحرية حول هذا الموضوع على مسمع من والديه.

- «إذن من الذى أوثقه؟ وكيف؟ تساءل جاريت. قال روى مقلدًا أصابع المولیت فى التعبير: «لا تعليق».

- «أووه. أخبرنى يا إيبرهاردت».

- «سأراك يوم الاثنين».

بعد تناول الإفطار اصطحبه والده بالسيارة إلى مخزن الدراجات لشراء إطارٍ

Twitter: @alqareah

جديد. وعند الظهر أصبح روى قادرًا على التجوال بدراجته من جديد. كان هناك عنوان مدون فى دليل التليفونات تحت اسم ل. ب.

لم يجد روى أى صعوبة فى تحديد مكان البيت، كان على شارع غرب أوريول، نفس الشارع الذى توقفت عنده حافلة المدرسة حين لمح الولد الهارب.

على موقف سيارات آل ليب كانت تقف سيارة مشوهة قديمة من سيارات الضواحى، وسيارة جديدة لامعة من نوع (كامارو) مكشوفة الغطاء، أسند روى دراجته على صندوق البريد وأسرع ليقطع الممر إلى البيت. سمع أصوات اقتتال داخل البيت، وتمنى لو أنها صادرة من التليفزيون الذى أدير بأعلى صوت.

بعد أن رن الجرس ثلاث مرات قوية، فُتحَ الباب ليواجهه «ليون ليب» بكل طوله الذى يصل إلى ستة أقدام وتسع بوصات، كان يلبس سروالاً رياضيًّا قصيرًا واسعًا أحمر اللون، وقميصًا بدون أكمام من قماش الجرسيه يبرز منه بطن ضامر بحجم إبريق الشاى الصغير، بدا ليون كما لو أنه لم يُمضِ حتى ولا خمس دقائق فى غرفة التمرينات الرياضية، فمنذ تقاعده كلاعب ممارس فى كرة السلة، وكل ما تبقى من لياقته البدنية طوله الفارع.

تراجع روى إلى الوراء ليتسنى له رؤية وجه ليون. كانت تعبيرات وجهه تدل على الاضطراب والقلق.

سأله روى: «هل بياتريس فى البيت؟».

أجاب بلهجة سوقية: «نعم، ولكنها مشغولة الآن».

قال روى «لن يتطلب الأمر أكثر من دقيقة، إنه بشأن المدرسة».

قال ليون «أووه، المدرسة..» كما لو أنه قد غاب عنه أين تذهب ابنته خمسة أيام من كل أسبوع، ثم مضى متثاقلاً وهو يصدر صوتًا مُنكرًا غريبًا.

بعد دقيقة ظهرت بياتريس. كانت تبدو كمن تعرض لضغط شديد، سألها روى: «هل يمكننى الدخول؟».

Twitter: @alqareah

همست له: «الوقت غير ملائم».

- «إذن هل يمكنك الخروج».

- قالت بياتريس وهى تشير بقلق إلى الخلف: «كلا».

- «هل سمعت بما حدث فى المستشفى؟».

أومأت برأسها وقالت: «أنا آسفة. لم أستطع أن أعود لمساعدتك».

سألها روى: «هل أخوكِ بخير؟».

قالت بياتريس: «أفضل مما كان عليه».

سُمع من الداخل صوت بارد يسأل: «من هناك؟».

- «صديق».

- «ولد؟».

قالت بياتريس: «نعم». وهى تدور بعينيها تجاه روى.

برزت على الباب خلف بياتريس سيدة، ليست أطول قامة من بياتريس بكثير، ذات أنف حاد، وعينين كخرزتين مريبتين، ونافورة من الشعر الأجعد الهائج بلون بنىٍّ محمر، تلوِّى الدخان الأزرق من سيجارة أمسكت بها بين نهايات أصابع مخضبة بلون لامع.

لايمكن أن تكون سوى (لونا) والدة أصابع المولية سألت روى: «من أنتَ؟».

- «اسمى روى».

سحبت لونا نَفَسًا من سيجارتها بصوت مسموع، وهى تقول: «ماذا تريد يا روى؟».

قالت بياتريس: «إنه شىء بخصوص المدرسة».

قالت لونا: «حسنًا، ولكن اليوم يوم سبت».

حاول روى استرضاءها: «أنا آسف جدًّا لإزعاجك يا سيدة ليب، ولكننى أنا وبياتريس نعمل فى مشروع تجربة معملية معًا...».

Twitter: @alqareah

قاطعته لونا بلهجتها الحادة: «ليس اليوم، فالآنسة بياتريس مشغولة اليوم بتنظيف البيت والمطبخ والحمامات، وأى شىء يخطر على بالى».

كان روى مقتنعًا بأن لونا تتأرجح على طبقة من الجليد الرفيع.

فمن الواضح أن بياتريس هى الأقوى، كانت ترغى وتزبد من الغضب.

لعله كان من الأنسب للونا أن تخفف من حدة نبرتها لو أنها شاهدت ما فعلته ابنة زوجها بإطار دراجة روى.

قالت بياتريس لروى وقد بدا الغضب على وجهها: «ربما نلتقى غدًا» تراجع وهو ينزل السلالم قائلاً:

«بكل تأكيد، كما تريدين».

قالت لونا بصوت متبذّل ومتذمر: «سنرى بالنسبة للغد، وفى المرة القادمة اتصل هاتفيًا». قالت هذا لروى بفظاظة وأضافت: «ألم تسمع أبدًا بما يدعى الهاتف؟».

وبينما كان روى عائدًا ليقود دراجته أخذ يفكر، من المحتمل أن تجوال أصابع المولیت فى الغابات وإقامته فى الخلاء أفضل من إقامته فى بيت مع أم مؤذية شرسة. وتساءل ما الذى يجعل الكبار سيئى الطبع ومثيرين للاشمئزاز بكلامهم البذىء لن يدهشه إذا ما أقدمت بياتريس فى يوم ما على قضم رأس لونا ونزعه عن جسدها بالفعل.

كانت محطته التالية منزل دانا ماثرسون حيث كانت تقيم أم أخرى مهزوزة. اعترى روى شعور بأن والد دانا، هو كذلك ليس بالمنحة التى يرغب فيها أى ولد. كان هو من فتح له الباب. توقّع روى أن يرى نسخة أخرى من الضخامة والبلادة والحمق لإنسان ما قبل التاريخ، ولكن السيد ماثرسون كان هزيلاً نحيلاً ضئيلاً يبدو عليه الفزع والهلع وسوء الصحة.

قال روى: «هاى، اسمى روى».

Twitter: @alqareah

قال والد دانا بأدبٍ وهو يهم بغلق الباب: «آسف، ولكننا لا نريد أى شىء».

قال روى من خلال فتحة الباب الصغيرة: «ولكننى لست بائعًا؛ جئت إلى هنا لرؤية دانا».

فتح السيد ماثرسون الباب من جديد وخفض صوته قائلاً: «أووه، ليس من جديد، دعنى أخمن، لقد استأجرك دانا لتنجز له واجبه المدرسى».

- «كلا يا سيدى، أنا فقط صديقه من المدرسة».

- «صديق؟».

لم يكن لدانا العديد من الأصدقاء، وروى على علم بذلك، فالأقلية التى تصاحبه تماثله فى الضخامة وسوء الطبع.

قال روى: «نحن نركب الحافلة ذاتها». ثم قرر أن يتخذ نفس خطة بياتريس فى الخداع فأكمل: «نعمل فى تجربة علمية معًا».

تقطب جبين السيد ماثرسون وقال: «ما هذه الدعابة؟ من أنت؟ قل لى الحقيقة».

- «قلتُ لكَ».

أخرج والد دانا محفظته وقال: «حسنًا أيها الشاب الصغير، لا أريد المزيد من الدعابة، بكم أنا مدين لك؟».

- «من أجل ماذا؟».

قال السيد ماثرسون وهو يمسك بخمسة دولارات فى يده:

«لقيامك بإنجاز واجب ابنى المدرسى خذ كالعادة، هاهى خمسة دولارات».

وجد روى نفسه مغلوبًا على أمره، وشعر بالخجل، كما شعر بالأسف من أجل السيد ماثرسون. من الواضح أنها تجربة قاسية أن يربّى ولدًا مثل دانا، قال روى: «أنتَ لست مدينًا لى بشىء. هل دانا بالبيت؟».

Twitter: @alqareah

طلب منه السيد ماثرسون أن ينتظر على الباب. وبعد فترة قصيرة ظهر دانا وهو يلبس سروالاً قصيرًا واسعًا مترهلاً كالذى يرتديه الملاكمون وجرابًا وسخًا متعرقًا.

زمجر متذمرًا حين شاهد روى: «أنتَ!!».

قال روى: «نعم، هأنذا».

- «ما هذا الذى تحدق فيه يا راعية البقر؟».

فكر روى فى نفسه، ليس هناك الكثير، لاحظ أن اللثغة فى كلام دانا، قد خفت وزال الانتفاخ من فوق شفته العليا.

قال دانا: «يبدو أنك مجنون لتقود دراجتك وتأتى إلىَّ بكامل إرادتك لأدعَكَكَ كالعجينة وأستخرج منك النخاع».

- «تعال إلى الخارج، فلن أضيع يومى كله عليك».

- «ماذا تقول؟».

خطا دانا خارجًا نحو المدخل المسقوف وأغلق الباب وراءه حرصًا منه على ألا يشاهد والده المجزرة المرتقبة، استجمع قواه وتطوح بشراسة باتجاه رأس روى، ولكن روى رآه قادمًا فانحنى فجأة وانطلقت قبضة دانا لتصطدم بقوة بوعاء من زجاج الفايبر لإطعام الطيور.

وما إن توقف دانا عن الصراخ حتى قال له روى: «هل لاحظت؟ فى كل مرة حاولت فيها إيذائى تجد نفسك معرضًا لإصابة بشعة!».

كان دانا مطويًّا على نصفه يهز يده المصابة وهو يمعن النظر بروى. استمر روى قائلاً: «كما حدث لك البارحة، لقد حاولت خنقى فى خزانة النظافة، هل تذكر؟ وانتهى بك الأمر بأن تغلبتْ عليك فتاة وربطتك عاريًا بسارية العلم».

زعق دانا: «لم أكن عاريًا تمامًا. كنت ألبس ثيابى الداخلية».

- «ستكون مضحكة لكل تلاميذ المدرسة يا دانا حين تذهب إليها يوم الاثنين. وكل هذا بسبب بلاهة أفعالك. كل ما عليك فعله أن تبتعد عنى وتكف عن إيذائى. هل هذا أمر صعب؟».

- «نعم، ولكنهم سيضحكون بصوت أعلى حين أقوم بركل مؤخرتكَ، يا راعية البقر، إلى آخر المعمورة. سيضحكون بصوت كالسلعوة، ولكنك فى ذلك الحين لن تكون واعيًا لتستمع لضحكهم».

قال روى منزعجًا: «معنى ذلك أنك لم تستوعب الدرس».

- «هذا صحيح، وليس بإمكانك دفعى لاستيعابه».

تنهد روى وقال: «السبب الوحيد الذى حثنى على الحضور إليك هو رغبتى فى تصفية الخلاف فيما بيننا. أن أضعَ حدًّا لهذا القتال السخيف».

هذه هى مهمته فإن استطاع أن يعقد صلحًا مع دانا ماثرسون، ولو حتى مؤقتًا، سيصبح حرًّا لتركيز طاقته والتوصل إلى حل لمشكلة أصابع المولیت.

ولكن دانا زعق فى وجهه: «يبدو أنك مخبول يا إيبرهاردت، فبعد كل ما وقع معى من أحداث مقرفة لابد من القضاء عليك. أنت بدون شك ميت، ولن تكون ميتة (سهلة)». تأكد روى أن لا فائدة معه فقال له: «أنتَ حالة ميئوس منها بالفعل. وعلى فكرة هناك علامة باهتة قرمزية اللون على وجهك». قال هذا وهو يشير إلى انتفاخ ظهر على وجه دانا من أثر لطمة أصابته بظاهر الكف.

- «اخرج من هنا فى الحال يا راعية البقر».

تركه روى على مدخل المنزل يدق بعنف على الباب زاعقًا ينادى والده ليفتح له. من الواضح أن قفل الباب قد أُغلق حينما خرج دانا ليكلم روى.

كان المشهد مضحكًا ودانا يقفز إلى الأعلى والأسفل فى سرواله الواسع القصير، ولكن روى لم يكن فى مزاج يسمح له بالاستمتاع بالمنظر.

Twitter: @alqareah

خبأ روى دراجته وتسلل من خلال فتحة السور، التى لا يبدو فيها فناء مقلب الخردة مخيفًا فى وضح النهار، لا تغلفه غمامةٌ.

كان فقط مزدحمًا، تعم به الفوضى. ومع هذا لم يجد روى صعوبة فى العثور على المقطورة الصدئة القديمة المغطاة بقماش الخيم، والتى كُتب عليها بالطلاء مثلجات جوجو (الآيس كريم) والأكواز المجمدة. كان أخو بياتريس غير الشقيق فى مؤخرة الشاحنة ينام داخل مرتبة للنوم على مقاسه فى الخلاء، وقد أحكم إقفال المرتبة حوله بالسحاب.

حين سمع وقع خطوات روى فتح إحدى عينيه وحركها باتجاهه، ركع روى بالقرب منه وهو يقول: «جئت لك ببعض الماء».

- «شكرًا لك يا رجل». أخذ أصابع المولیت زجاجة الماء البلاستيكية وقال لروى: «شكرًا لكَ على ليلة البارحة. هل تسببتَ لك فى الكثير من المشاكل؟».

قال روى: «لم يكن الموقف بالغ الصعوبة. كيف حالك الآن؟».

قال: «مثل بقرة منهكة».

قال له روى: «تبدو أفضل كثيرًا مما كنت عليه». وكان هذا صحيحًا.

عاد اللون المتألق إلى وجنتى الفتى، وزال الانتفاخ والصلابة عن ذراعه التى عضها الكلب. كانت هناك كدمة زرقاء بحجم الزرار واضحة على ذراعه الأخرى. تعرَّض لها الولد حين سحب ذراعه بالقوة من الإبرة المغروزة فى وريده والمتصلة بالأنبوب الذى كان يمده بالسوائل والمضاد الحيوى قبل أن يهرب من المستشفى.

قال الولد: «انخفضت حرارتى، ولكننى أشعر بالألم والإرهاق فى كافة أعضاء جسدى». قال هذا وهو يتلوى ليخرج من المرتبة. نظر روى إلى الناحية الأخرى ليتيح للولد الانتهاء من ارتداء بعض أسماله.

قال روى: «لقد جئت لأخبرك بشىء. إنه بخصوص بيت الفطائر المزمع

Twitter: @alqareah

إقامته. تحدثتُ مع والدى وقال لى إن لهم الحق فى البناء على هذه الأرض مادام لديهم الترخيص الصحيح المثبت على الأوراق، وليس بإمكاننا فعل أى شىء».

كشَّر الولد بابتسامة عريضة وقال: «نحن؟».

- «كل ما أعنيه...».

- «أنت تريد أن تقول إنها قضية خاسرة. أليس كذلك؟ ها أنت يا تكس قد بدأت فى التفكير كالخارجين على القانون».

- «ولكننى لستُ خارجًا على القانون».

- «بل أنتَ متورط. فما قمت به ليلة البارحة فى المستشفى هو- قطعًا - تعدٍّ على القانون».

قال روى: «كنتَ مصابًا. كنتَ بحاجة للمساعدة؟».

شرب أصابع المولیت الماء وطوَّح الزجاجة الفارغة. ثم وقف ومدَّد نفسه كالقطة. وقال لروى: «لقد تعديت الخط. فلماذا؟ لأنكَ مهتم بما حدث لى، تمامًا كما أننى مهتم بما سيحدث لهذا البوم الغريب والنادر».

- «إنها بوم من فصيلة نادرة تحفر جحورها فى الأرض لتقيم فيها وتبيض داخلها. كنت أقرأ عنها. وهذا ما يدعونى إلى أن أخبرك - فهى على الأرجح غير مغرمة بأكل لحم الهمبرجر. إنها على الأكثر تقتات الحشرات والديدان».

قال الولد بلهجة من نفد صبره: «إذن سأجمع لها الحشرات والديدان. والمسألة هى أن ما سيجرى لها لا يليق، فهذه الأرض هى ملكها منذ قديم الأزل، وقبل أن تمتلكها شركة بيت الفطائر. من أى منطقة أنت يا تكس؟».

أجاب روى بشكل تلقائى: «من مونتانا. ثم أضاف: «فى الواقع مكان ولادتى الحقيقى هو دترويت، ولكننا كنا نقيم فى مونتانا قبل انتقالنا إلى هنا».

قال أصابع المولیت: «لم أذهب قط إلى الغرب، ولكنى أعلم بوجود الكثير من الجبال فى تلك المناطق».

Twitter: @alqareah

- «نعم إنها جبال رائعة».

قال الولد: «هذا ما نحتاج إليه هنا، ففلوريدا أرض مستوية جدًّا. لا يوجد أى شىء يمنعهم من حفر وقلب المنطقة من الساحل إلى الساحل الآخر».

شعر روى بأن قلبه لن يطاوعه ليفضىَ إلى صديقه بأنه حتى المناطق الجبلية لم تسلم ولن تسلم من اعتداءات مثل هذه الآلات.

قال أصابع المولیت: «منذ أن كنتُ صغيرًا وأنا أراقب اختفاء هذه الأمكنة الجميلة - غابات الصنوبر، والأدغال، والشجيرات القصيرة، والجداول الصغيرة، والممرات المفتوحة بين أشجار الغابات، حتى السواحل يا رجل - لقد اقتلعوا وخربوا كل هذا وقاموا بإنشاء تلك الفنادق العملاقة التى لا يُسمح بارتيادها إلاَّ للأغنياء من السائحين. هذا فعلاً تخريب وانتهاك للبيئة».

قال روى: « هذا يحدث فى كل مكان».

- «ولكن هذا لا يعنى ألا تقاوم. انظر. اقرأ هذا». استخرج الولد من جيب سرواله الجينز الممزق قطعة مكرمشة من الورق وهو يقول: «حاولتُ يا تكس. كما ترى. طلبتُ من بياتريس أن تكتبَ رسالة تبلغهم فيها بوجود البوم النادر وبكل شىء، وهذا هو الجواب الذى تلقته». سوَّى روى الورقة التى كانت تحمل فى أعلى الصفحة شعار شركة الأم باولا والتى كان نصُّها:

عزيزتى الآنسة ليب.

شكرًا جزيلاً على رسالتك.

نحن - المسئولين عن الشركة المساهمة لبيوت الأم باولا للفطائر الأمريكية - نحيطكم علمًا بأن لنا الفخر بالتعبير عن اهتمامنا الكبير بكل ما يخص البيئة. ونؤكد أننا سنبذل كل

Twitter: @alqareah

جهد لطرح قضيتكم، كما أتعهد شخصيًّا بالقول بأن شركة الأم باولا تعمل عن قرب مع السلطات المحلية وتمتثل لما تمليه عليها كافة اللوائح والقوانين والنظم.

المخلص

تشاك . ى . ماكل

نائب رئيس الشركة للعلاقات العامة

أعاد روى الورقة لأخى بياتريس وهو يقول:

- «رد ضعيف».

- «نعم، فما هو إلاَّ... كيف أقولها. رسالة شكلية، حتى إنهم لم يأتوا فيها على ذكر البوم».

نزلا من داخل مقطورة المثلجات واتجها إلى الخلاء نحو نور الشمس الذى كان يشع من ركام خردة السيارات المحطمة، التى كانت متراصة فى صفوف على مدى البصر على هيئة موجات من الحرارة العالية.

سأل روى الولد: «إلى متى ستظل مختبئًا فى هذا المكان؟».

- «إلى أن أُطرد منه. هيه. ماذا ستفعل الليلة؟».

- «سأقوم بإتمام واجبى المدرسى».

فى الحقيقة، لم يكن أمام روى سوى قراءة فصل واحد للسيد ريان مدرس التاريخ، ولكنه كان يريد أن يجد مبررًا للبقاء فى المنزل. أحسَّ بأن أصابع المولييت يخطط الليلة لزيارة غير قانونية لموقع الأم باولا».

قال الولد: «حسنًا. إن غيرت رأيك فلتقابلنى.. أنتَ تعلم أين.. عند مغيب الشمس. ولتحضر معك مفتاح ربط (مفتاح إنجليزى)».

Twitter: @alqareah

أحس روى بخليط غريب من المشاعر المتضاربة، من الخشية والإثارة.

جزء منه يشعر بالقلق من هذا التخطيط، الذى يزمع تنفيذه كل من بياتريس وأخيها. والجزء الآخر مشدود لمؤازرة الصبى، قال روى: «كنتَ مريضًا. وأنتَ بحاجة للراحة؟».

- «ها! ليس لدىَّ وقت لهذا».

أصر روى قائلاً: «ولكن ما تخطط له لن ينجح. لعله سيبطئ من سير المشروع ولكنه لن يوقفهم عن مواصلة التنفيذ فالأم باولا شركة كبيرة. ولن يستسلموا كما تتصور، لن يتخلوا عن الموقع بسهولة».

- «وأنا أيضًا لن أستسلم».

- «عاجلاً أم آجلاً سيقبضون عليك، وستنتهى بك الحال فى سجن للأحداث».

- «وبعدها سأهرب من جديد. كما أفعل دائمًا».

- ولكن.. ألا تفتقد الحياة الطبيعية؟».

قال أخو بياتريس غير الشقيق: «لا يمكن أن أفتقد شيئًا لم أتعود عليه».

لم يلحظ روى أى مرارة فى صوت الصبى. استمر الولد فى حديثه: «ربما أعود للالتحاق بالمدرسة فى يوم ما. ولكن فى الوقت الحاضر فإنَّ لدىَّ من الذكاء والفطنة ما يكفى لما أنا فى حاجة إليه. قد لا يمكننى حل مسائل الجبر أو النطق والقول باللغة الفرنسية: «هذا كلب جميل». أو أن أقول لكَ من الذى اكتشف البرازيل، ولكنى أستطيع إشعال النار بزوج من العصى وصخرة. باستطاعتى تسلق شجرة جوز الهند لأستخرج من ثمرها لبنًا طازجًا يكفينى لمدة شهر».

سمعا صوت محرك فاختبأ ثانية داخل مقطورة المثلجات.

همس أصابع المولييت لروى: «هذا رجل عجوز - يمتلك المكان - ويقود

Twitter: @alqareah

سيارة من نوع (إيه تى ڤى) ، التى تسير على كافة المستويات الأرضية. وهى سيارة لاصوت لها. يأتى طائرًا بها إلى هنا وهو يظن أنه (جيف جوردون)(**)».

وحين انزاحت دمدمة السيارة التى تصلح للسير على كافة أنواع الطرقات إلى الناحية الأخرى من فناء مقلب العربات المحطمة أشار الولد إلى أنهما الآن فى أمان للخروج من المقطورة. وقاد روى بطريق مختصر إلى فتحة فى السور وتسللا خارجين منها.

سأله روى: «إلى أين أنتَ ذاهب الآن؟».

- «لا أعلم، لربما سأقوم ببعض الاستشف».

- «الاستشف؟».

قال أصابع المولية: كما تعلم. بعض الاستكشافات. أبحث عن أهداف؛ أو علامات تساعدنى من أجل الليلة».

- «أووه».

- «ألن تسألنى ما الذى أخطط له؟».

قال روى: «أظن من الأفضل لى ألا أعلم».

فكر روى أن يذكرَ للولد أن والده يعمل فى وزارة العدل فى القسم المسئول عن تنفيذ القانون، فلعله سيتفهم سبب تقاعسه عن المشاركة هذه الليلة وتردده فى المساعدة، بالرغم من أنه متعاطف مع الحملة للإبقاء على حياة البوم، فإنه فى الوقت نفسه لايستطيع تحمل فكرة لقاء والديه من وراء قضبان السجن إذا ما قُبضَ عليه وعلى أصابع المولية وأُدخلا السجن.

قال روى: «والدى يعمل فى الحكومة»

قال الولد وهو يلوك كلامه: «هذا حسن. وأبى يأكل الجيوب الساخنة، ويحدق إلى قناة إيسبن طوال النهار. تعال معى يا تكس لدى شىءٌ جميلٌ أريدك أن تراه».

(**) قائد سيارات سباق مشهور Geff Gordon .

Twitter: @alqareah

- «اسمى روى».
- «حسنًا يا روى، الحق بى». ثم مضى هاربًا من جديد.

فى أحد أيام الصيف فى أواخر السبعينيات من القرن الماضى، قبل ولادة روى إيبرهاردت بزمن طويل، هبت ريح موسمية صغيرة ولكنها قوية. كان مركزها خليج المكسيك. واتجهت بحذاء الشاطئ على بعد عدة أميال من جنوب مدينة «كوكنت كوف». لم يُصب أو يقتل أحدٌ من السكان، ومع هذا فإن ارتفاع الأمواج وصل إلى طول عشرة أقدام وتسبب فى دمار العديد من المبانى والطرقات المقامة على طول الشاطئ.

من بين الدمار أُصيبَ مركب لصيد السرطان اسمه «مولى الجميلة». شقه الإعصار من جانب المرساة فانزلق المركب فوق فيض مد الجدول؛ حيث انغمر وغرق ولم يعد ظاهرًا للعيان.

هدأت العاصفة، وانحسرت المياه الصاخبة، وظل مركب الصيد الغارق متشبثًا ومعلقًا من منتصفه فوق سطح النهر الصغير؛ لأن ضحالة مياه الجدول وخداع التيارات وبيوت الإستاكوزا الملىء بالمخاطر.. كلٌ هذا منع أى قائد من قادة الإنقاذ النهرى من الاقتراب والمخاطرة بسفينته لسحب المركب الغارق مولى الجميلة. مع مرور كل فصل كان المركب يزداد انكماشًا ودمارًا.

استسلم جسمه الصلب المتين وسطحه لنهب وتدمير الديدان آكلة الخشب، والوز، وعوامل التعرية. بعد مضى عشرين عامًا كان كل ما تبقى من مركب مولى الجميلة ظاهرًا فوق سطح الماء، سطح غرفة القيادة المنحدر والباهت اللون - الذى لم يكن يتسع لأكثر من ولدين يجلسان جنبًا إلى جنب وهما يرفعان وجهيهما عاليًا نحو الشمس، وقد تدلت ساقاهما فوق مياه الجدول الشاحبة الخضراء.

سُحِرَ روى بالهدوء العجيب. كانت الشجرة الاستوائية الضخمة القديمة والكثيفة والمتشعبة على شاطئ النهر تحجب المكان عن صخب وإزعاج المدينة، أغلق أخو بياتريس غير الشقيق عينيه وأخذ بشغف شهيقًا من النسمات المالحة.

Twitter: @alqareah

حلّق فوق رأسيهما طائر وحيد من طيور (أوسبرى) منجذبًا لطعم الأسماك السابحة فى المياه الضحلة. ظهر على سطح الماء من أعلى الجدول سرب من صغار سمك الـ(توربون)(*) تتجول، وبذهنها هى أيضًا فكرة البحث عن طعام تلتهمه. وبالقرب وقف طائر البلشون (مالك الحزين)(**) الأبيض بعظمة على ساق واحدة، على ذات الشجرة التى علّق عليها الولدان حذاءيهما قبل أن ينطلقا سباحة نحو المركب الذى لفظه النهر.

علّق أخو بياتريس غير الشقيق: «منذ أسبوعين، شاهدت تمساحًا فى هذا المكان، طوله أربع أقدام».

قال روى ضاحكًا: «شىء هائل. وها أنتَ تخبرنى الآن».

ولكن كان روى فى الواقع يشعر بمنتهى الأمان والسعادة. فالجدول جميل وبرى ومنعزل بشكل منقطع النظير.. ملجأ مستتر، مع أنه على بعد عشرين دقيقة فقط من مدخل بيته الخلفى

فكر روى فى نفسه، كان بإمكانى العثور على هذا المكان بنفسى لو لم أمضِ وقتًا طويلاً وأنا مستسلم للاكتئاب والشعور بالغربة، والحنين إلى مونتانا.

قال الولد وهو يلوك كلماته: «إنَّ ما يدعو إلى إثارة قلقك ليس التماسيح، بل البعوض».

- «هل اصطحبت بياتريس إلى هنا؟».

- «مرة واحدة فقط، حين عضها أخطبوط أزرق فى إصبع قدمها الكبير. وهذا كل ما سجلْتُه».

قال روى: «مسكين ذلك الأخطبوط».

- «نعم لم يكن شيئًا جميلاً».

- «هل بإمكانى أن أوجه إليك سؤالاً؟».

(*) سمك فضى كبير يوجد فى المحيط الأطلنطى والمناطق الدافئة.

(**) طائر يعيش على صيد الأسماك وكسر عظامها.

Twitter: @alqareah

قال أصابع المولیت: «أی شیء ماعدا السؤال عن اسمی. فأنا لا أرغب ولست بحاجة لأی اسم. لیس فی هذا المکان».

قال روی: «ما أردت الاستفسار عنه هو ما الذی بینك وبین أمكَ؟ ما المشكلة؟».

قال الصبی مُقرًّا بالأمر الواقع: «لا أعلم. فنحن فقط لاصلة ولا ارتباط بیننا. تخلیت منذ مدة طویلة عن إرهاق نفسی والتفكیر فی المشكلة».

وجد روی أن هذا أمر یصعب تصدیقه.

- «وماذا بالنسبة لأبیك الحقیقی؟».

هز الولد كتفیه بغیر اكتراث وقال: «لا أعرفه. وما رأیت له أیَّ صورة قط».

لم یستطع روی أن یجد ما یجیب به الولد، ولذا أغلق الموضوع بهدوء.

هزَّت حركة مجری میاه الجدول، وقفزت معًا عشرات من الأسماك الفضیة بحجم السیجار قفزة واحدة منتظمة وهی تحاول الهرب من مفترس جائع.

أشار أخو بیاتریس غیر الشقیق إلی المجموعة الخائفة المنتبهة والتی تسبح علی شكل V. انبطح علی بطنه ونبَّه روی لیكف عن تحریك كاحلیه وهو یقول: «اهدأ».

- «لماذا»؟

- «بسرعة یا رجل. كُفَّ عن الحركة».

مع توقف روی عن الحركة حنی الولد نفسه إلی الأمام فوق حافة غرفة قیادة السفینة الغارقة وفوق الجدول.

صرخ قائلاً: «لا تتحرك». ثم قام بمد یدیه الملوَّحتین بسمرة الشمس إلی الأمام حتی لامست أصابعه الماء.

فقد روی توازنه وتزحلق. قُذِفَ إلی الأمام بكل ثقله لیحطَّ فوق النصف السفلی لجسم الولد. انتظر أن یقعا كلاهما فی الجدول. وهو أمر لا ضرر منه ما داما لن یحتكا بأی متراس من متاریس الریتسا.

Twitter: @alqareah

قال الولد: «ها هى قد ظهرت. استعد».

تمكن روى من أن يتماسك بعد أن تلقى ركلة من الولد.

سمع صوت حفيف، تلاه ضربة رشاش المياه ثم صرخة انتصار هووو !! أمسك روى بحزام الولد المتدلى فى الماء. وجرّه بأمان نحو غرفة القيادة. انقلب الولد ثم أجلس نفسه وقد ظهر الإشراق على وجهه. وظلت كفاه مطبقتين أمامه وقال لروى: «ألقِ نظرة».

كان الولد يقبض بين يديه على سمكة برأس صلب لامع. كان يبرق مثل سائل الكروم. كيف استطاع الولد اختطاف مثل هذا الشبح المتزحلق بيديه فقط؟ هذا مالم يكن بإمكان روى تصوره. حتى طائر أوسبرى الذى يصطاد الأسماك من الماء ويكسر عظامها سيصاب بالدهشة والإعجاب.

قال روى: «إذن هذه هى سمكة المولیت؟».

ابتسم الولد مزهوًّا بنفسه: «نعم. وهذا ما منحنى اللقب».

- «قل لى كيف تفعل ذلك؟ ما هى الخدعة؟».

أجاب الولد: «مجرد تمرين. ثق بى. إنه أصعب من الواجبات المدرسية».

كانت السمكة تبرق باللونين الأزرق والأخضر. وكانت ترتعش بين كفيه. مدَّ كفيه فوق ماء الجدول وأطلق السمكة. حطتْ السمكة فى الماء مصدرة صوتًا خفيفًا.. بلوب.. واختفت فى دوامة داخل التيار.

قال أخو بياتريس غير الشقيق لفرخ السمك: «مع السلامة أيها الولد الصغير. اسبح سريعًا وبعيدًا».

وبعد ذلك، وفيما كانا يسبحان عائدين نحو الشاطئ تغلب الفضول على روى ولم يعد لديه طاقة للانتظار وسمع نفسه يقول: «حسنًا، يمكنك الآن أن تخبرنى بما سيحدث الليلة على موقع الأم باولا».

أخرج أصابع المولیت سحلية اختبأت فى إحدى فردتى حذائه ورمق روى بنظرة خاطفة خبيثة، وهو يقول: «هناك طريقة واحدة لاكتشاف الأمر، أن تذهب إلى هناك».

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس عشر

جلس روى على الأرض فى غرفته متربعًا وهو يتطلع إلى الصورة الكبيرة لراعى البقر، التى تحتل عرض الحائط، وهو فى حلبة تدريب الثيران فى (ليفنجستون). تمنىً روى لو أنه يملك شجاعة البطل الذى يمتطى الثور. ولكنه لم يكن بتلك الشجاعة.

فالمهمة التى يزمعون القيام بها على الموقع، بكل بساطة، تعجُّ بالمخاطر.

لابد أنهم سيجدون من ينتظرهم من البشر أو غير البشر. ربما تكون الكلاب المهاجمة قد ذهبت، ولكن الشركة لن تترك الموقع الجديد لبيت فطائر (البانكيك) بدون حراسة لفترة طويلة.

بالإضافة لمخاوفه من إلقاء القبض عليهم، كان يعانى من وخز ضمير حادٍّ وشعور بالذنب، إذا ما حاول القيام بأى عمل غير قانونى. ما من شك أن عمليات التخريب تُعد جريمة يعاقب عليها القانون، مهما كانت الدوافع نبيلة. ومع هذا لم يتمكن من منع نفسه من التفكير فى اقتراب اليوم الذى ستردم فيه آلات الحفر ونقل التراب جحور البوم. وأخذ يتصور أم وأب صغار البوم وهما يحومان عاجزين فى دوائر حينما تُمهِّد الأرض وتُدفن صغارها تحت أطنان من الأتربة.

كل هذا تسبب فى حزن روى وغضبه. لا يكفى حصول شركة الأم باولا على كافة التراخيص اللازمة للإقرار بسلامة مشروعها. حتى ولو أنهم احتموا بشكل ما بالصفة القانونية.

Twitter: @alqareah

لم يكن روى قد توصل بعد لإيجاد حل للجدال الدائر بين عقله وقلبه. لا ريب أن هناك وسيلة ما لمساعدة هذه الطيور النادرة، ومساعدة أخى بياتريس غير الشقيق دون انتهاك للقانون، وقد كان عليه أن يبحث عن خطة.

تطلَّع روى خارج النافذة، وتذكر أن الوقت يمضى بسرعة أمامه. فها هى الظلال تطول، ممَّا يعنى أن الشمس قاربت المغيب، وأن أصابع المولية سيبدأ تنفيذ خطته.

قبل مغادرته المنزل أطلَّ روى برأسه على المطبخ، حيث وقفت والدته أمام الموقد سألته: «إلى أين؟».

- قال: «جولة على الدراجة».

- «مرة أخرى؟ لقد عدتَ لتوكَ!».

- «متى سنتناول طعامنا؟ إن رائحة الطبيخ شهية».

- «إنه طاجن لحم مع الخضار فى الفرن يا عزيزى. ليس شيئًا مميزًا، ولكننا لن نتعشى حتى الساعة السابعة والنصف أو الثامنة - فقد تناول والدك الشاى اليوم فى ساعة متأخرة عن المعتاد».

قال روى: «هذا يوافقنى تمامًا. أراك بخير».

نادت من ورائه: «ما الذى تخطط له يا روى؟».

ضغط على دواسة الدراجة لتنطلق بأقصى سرعة نحو البيت الذى يسكن فيه دانا ماثرسون. ربط سلسلة دراجته عند إشارة الموقف فى الطريق. واقترب سائرًا على قدميه إلى المنزل، وتسلل من خلال الحاجز نحو الحديقة الخلفية للمنزل دون أن يراه أحد.

لم يكن طول روى كافيًا ليطل من النافذة. كان عليه أن يقفز ويستند بأصابعه على الحافة لينظر من خلال النافذة إلى داخل البيت، ورأى فى الحجرة الأولى شكلاً نحيلاً ضامرًا مشعثًا يتمدد على الأريكة.

Twitter: @alqareah

إنه والد دانا يمسك فى يده ما بدا لروى كأنه كيس مملوء بالثلج ويضعه على جبينه، وفى الحجرة التالية كان هناك شخص آخر، إما دانا أو أمه، يلبس سروالاً أحمر واسعًا ويضع شعرًا مستعارًا.

قرر روى: على الأرجح هذه هى السيدة ماثرسون. فقد كان الشخص يدفع بآلة كهربائية للتنظيف. خفض روى نفسه وأكمل تعلقه على طول الجدار الخارجى للمنزل إلى أن وصل إلى النافذة الثالثة وهناك شاهد دانا. كان متأكدًا من أنه دانا، فهو يستلقى مستويًا على سريره، يبدو كبقعة كسول فى سروال غير نظيف وحذاء رياضى بدون رباط، ويضع على رأسه سماعات لسماع الموسيقى. كان رأسه يتمايل إلى الأمام والخلف على أنغام الموسيقى.

وقف روى على رءوس أصابعه وأخذ ينقر بأطراف أصابع يده على الزجاج. لم يسمعه دانا، فواصل روى النقر حتى بدأ الكلب فى فناء المنزل المجاور ينبح بشدة.

وفى المرة التالية التى رفع روى نفسه فيها ليتطلع من النافذة داخل الغرفة، رأى دانا يحدق به متجهمًا. نزع دانا السماعات عن رأسه وبدأ فى إطلاق كلمات، من الممكن لأى هاوٍ لقراءة الشفاه أن يفهمها.

نزل روى إلى أرض الحديقة الخضراء وهو يبتسم، ثم تراجع خطوتين إلى الوراء بعيدًا عن منزل ماثرسون، وبدأ فى القيام بعمل، قطعًا كان فعالاً، ولكنه فظ وغير أخلاقى، بالنسبة لولد هو بطبعه خجول ومؤدب.

ما قام به هو أنه حيًّا دانا بسلام ثم استدار بسرعة وانحنى وهو ينظر إليه ويستفزه.

شاهد روى رد فعل دانا وهو منقلب ورأسه بين رجليه. فى عينيه اللتين فتحهما عن آخرهما نظرة توحى بالغضب الشديد وبأنه لم يُهزأ به شخصيًّا ولم يهن أبدًا بمثل هذا الأسلوب القبيح.

Twitter: @alqareah

بكل هدوء استدار روى سائرًا نحو المدخل الأمامى للمنزل، وانتظر حضور دانا الذى جاء مندفعًا فى اهتياج إلى خارج الباب، ولم يطل الانتظار.

عمد روى إلى الهرولة بنشاط ودانا من خلفه، على بعد لا يزيد عن عشرين ياردة منه. كان يلعن ويدمدم ناعتًا روى بأسوأ الأسماء وأحقرها. كان روى يعلم أنه أسرع من دانا فى الجرى. ولذا فقد قاس خطوته وضبطها حتى لا يستسلم دانا ويفقد حماسه للإمساك به.

ولكن، وبعد أن قطعا ثلاث مجموعات من البيوت، بدا من الواضح أن لياقة دانا البدنية أسوأ مما خمّن روى. خارت قواه تدريجيًّا وذابت موجة الشتائم الغاضبة فى لهاث عليل.

وحين ألقى روى نظرة إلى الوراء، شاهد دانا وهو يخبُّ متهدلاً كالمشلول على جنب واحد، وبشكل مثير للشفقة. لا يزال أمامهما نصف ميل حتى يصلا إلى المكان الذى يريده روى.

ولكنه كان يعلم أن دانا لن يتمكن من الاستمرار بدون استراحة، فالحمل المثير للشفقة كان على وشك الإغماء.

لم يكن أمام روى سوى التظاهر بأنه مرهق أيضًا. بدأ يخفف أكثر وأكثر من سرعته، ويتعمد التقهقر أمام المطارد إلى أن وجد أن دانا اصطدم بالفعل بكاحليه. وما لبث أن شعر باليدين المتعرقتين والمألوفتين تطبقان على عنقه. ولكنّ روى اكتشف أن دانا كان منهكًا لدرجة لن تمكنه من خنقه. كان الولد يحاول فقط أن يستند على روى ليمنع نفسه من السقوط على الأرض.

ولكنه فشل وانتهيا بالتكدس والتراكم فوق بعضهما، وروى مغمور فى الأسفل. كان دانا يلهث وينفث كحصان حرث غارق بعرقه. زقزق روى بصوت مقنع: «لا تؤذنى. أنا أستسلم».

- وبرطم دانا: «أوو ج ج هـ هـ» كان وجهه أحمر كالفلفل الأحمر وقد اهتاجت قزحتا عينيه فى محجريهما.

Twitter: @alqareah

صرخ روى: «أنتَ الفائز».

- «أوو ر ر ج ج هـ هـ».

كانت أنفاس دانا مقززة وكريهة، ولكن رائحة جسده كانت أشدَّ نتنًا ولا تطاق. أدار روى رأسه بعيدًا ليلتقط نفسًا نقيًّا.

كانت الأرض من تحتهما ناعمة والتراب أسود كالفحم. خمَّن روى أنهما سقطا على حديقة شخص ما.

ظلا على الأرض وعلى نفس الوضع لزمن بدا أنْ لا نهاية له، وبينما أخذ دانا يتمالك نفسه من المطاردة شعر روى بنفسه (منسحقًا) تحته بوضع غير آمن وغير مريح. لم تكن هناك فائدة من محاولة التملص، فثقل دانا فوقه كان كجسد الميت. وأخيرًا تحرَّك دانا وشدَّد قبضته على روى وهو يقول: «والآن سأقوم بركلك على مؤخرتك يا إيبرهاردت».

- «أرجوك. لا تفعل».

- «لقد أهنتنى».

- «إنها مجرد مزحة. وأنا بالفعل أشعر بالأسف».

- «اسمع. أنتَ أهنتنى، وتستحق أن تُركل على مؤخرتك».

قال روى: « أنا لا ألومك لأنك أُهنتَ».

لكمه دانا على أضلاعه، ولكن عضلاته كانت مرخية وغير قادرة على اللكم.

- «هل لا تزال ترى فى هذا تسلية ياراعية البقر؟».

هزَّ روى رأسه بالنفى متظاهرًا بأنه قد أُصيب ضحك دانا بضغينة. كانت أسنانه متفحمة وصفراء مثل كلب عجوز مهترئ. كان يجثم بركبتيه على صدر روى، ثم تراجع إلى الوراء ليسدد لروى ضربة جديدة.

أطلق روى صرخة حادة وقصيرة كالصرير وهو يقول: «انتظر!».

Twitter: @alqareah

- «أنتظر ماذا؟ الدبة بياتريس غير موجودة الآن لتنقذك هذه المرة».

همس روى بثقة: «سجائر».

خفف دانا من قبضته قائلاً: «أوه. ماذا قلت؟»

- «أنا أعلم أين تجد رزمة كاملة من علب السجائر. سأرشدك إلى المكان إذا وعدت بالتوقف عن ضربى».

- «ما نوع السجائر؟».

لم يفكر روى بهذه التفاصيل حين كان يعدُّ لهذه القصة الملفقة. لم يخطر بذهنه أن دانا يدقق فى اختيار نوع معين من السجائر التى يدخنها. قال روى وهو يتذكر نوعًا من السجائر شاهده فى إعلانات التليفزيون: «جلادياتور».

- «ذهبية أم خفيفة؟».

- «ذهبية».

علَّق دانا فرحًا: «غير ممكن».

قال روى: «بل ممكن».

لم يكن من الصعب قراءة التعبير على وجه دانا، بدأ بالفعل يخطط للاحتفاظ بالبعض منها وبيع الباقى لزملائه آملاً فى مكسب وفير.

انزاح دانا عن روى وجذبه بيده ليجلسه وهو يقول: «أين هى؟ أخبرنى».

- «عليك أن تتعهد لى بأنك لن تعاود ضربى».

- «بالتأكيد يا رجل. هذا وعد».

قال روى: «لن تعاود ضربى أبدًا؟».

- «نعم. كما تريد».

- «أريد أن أسمعك وأنت تنطق بالكلمة».

ضحك دانا ضحكة من يتحكم بالموقف وقال: «حسنًا يا راعية البقر. لن أعود

Twitter: @alqareah

إلى ضرب ظهرك المأسوف عليه بعد الآن وإلى الأبد. أحلف بهذا على قبر والدى. هل اكتفيت وتأكدت من عهدى؟».

علّق روى قائلاً: «ولكن والدك لا يزال حيًّا يرزق».

- «إذن أحلف على قبر (ناتالى). والآن أخبرنى أين تختفى سجائر (الجلادياتور) الذهبية هذه؟ فأنا لا أميل للمزاح».

سأله روى: «من هى ناتالى؟»

- «إنه الببغاء الذى كانت تربيه أمى. إنه الكائن الميت الوحيد الذى أعرفه».

- «أظن أن هذا يفى بالغرض». فبناءً على ما شاهده روى فى منزل ماثرسون، شعر بالقلق على ناتالى المسكينة وخمَّن أنها لم تمت بشكل طبيعى.

قال دانا: «إذن. فهل تصافينا؟».

قال روى: «نعم».

حان الوقت لأن يُفلتَ زمام الأبله الضخم. كانت الشمس قد هبطت نحو ملعب الجولف، وأُضيئت أنوار الشارع.

قال روى: «هناك أرض خلاء على الزاوية ما بين شارعى ورد بيرى وشرق أوريول».

- «نعم».

- «تقف على إحدى زوايا الموقع مقطورة لفريق الإنشاء. ستجد السجائر مخبأة فى داخلها».

- «شىء لطيف. رزمة بحالها؟ ولكن كيف علمتَ بوجودها؟».

- «لأننى أنا الذى خبأتها مع أصدقائى. كنا اختلسناها من حقيبة حفظ الأشياء من شاحنة بمنطقة (سيمينول)».

- «أنت؟».

Twitter: @alqareah

- «نعم. أنا».

فكّر روى أنها قصة محبوكة يسهل تصديقها؛ فالقبائل الهندية تبيع منتجات الدخان المعفاة من الضرائب فى هذه المنطقة. يأتى المدخنون من أميال بعيدة لشراء مخزونهم منها.

سأل دانا: «بأى مكان سأجدها فى داخل الشاحنة؟».

قال روى: «لن تخفق فى العثور عليها. إذا رغبتَ سأصطحبكَ، وأدلك على مكانها.

اخنف صوت دانا وهو يقول: «كلا شكرًا. سأجدها بنفسى».

وضع دانا إصبعين من أصابعه فى وسط صدر روى ودفعه بقوة فارتمى روى على ظهره فوق حوض من الأزهار، وارتاح رأسه على مخدة من الأزهار المزركشة الناعمة. انتظر حوالى دقيقة قبل أن يقف على رجليه وينظف ثيابه من التراب العالق.

فى هذه الأثناء كان دانا ماثرسون قد ذهب بعيدًا منذ فترة. كان روى سيشعر بالخيبة لو لم يفعل.

أمضى كيرلى ليلته فى الموقع، مع أنها لم تمر بدون منغصات شخصية. أول ما قام بعمله فى صباح يوم السبت أنه قاد سيارته لمخزن البيع بالجملة لشراء مقعد جديد صلب للمرحاض المتنقل فى المقطورة، واثنتى عشرة مصيدة لصيد الجرذان الكبيرة ثم توقف عند مخزن إعادة شرائط الفيديو ليأخذ منه أشهر وأحدث إنتاج سينمائى فى حالة تعطل الإرسال التليفزيونى.

ومن هناك مضى نحو منزله حيث أبلغته زوجته أنها ستحتاج لشاحنته الصغيرة لأن أمها أخذت سيارتهما الثانية وذهبت إلى صالة لعب الورق. لا يحب كيرلى أن يقود غيره سيارته، ولذا بدا منزعجًا حين أنزلته زوجته عند موقف القاطرة.

Twitter: @alqareah

وقبل أن يجلس أمام التليفزيون، أخرج كيرلى مسدسه وقام بجولة سريعة حول الموقع. لم يجد ما يسترعى الانتباه. حتى أوتاد المعاينة وجدها فى مكانها. أيقن أن حراسته الليلية أبعدت بالفعل المخربين والدخلاء عن الموقع الإنشائى.

وهذه الليلة ستكون بمثابة الاختبار الحقيقى، فبدون سيارة الشحن الصغيرة التى تقف عادة بجوار المقطورة، سيبدو المكان مهجورًا ومغريًا المخربين بدخوله.

وحينما كان يتجول حول السياج شعر كيرلى بالراحة لأنه لم يلتق بأى ثعبان من الثعابين السامة، مما يعنى أنه سيحتفظ بالطلقات الخمسة الباقية ليستعملها فى تهديدات أمنية خطيرة، بالرغم من أنه لا يريد إعادة الصخب المحبط والمثير للأعصاب الذى عانى منه مع فأر الحقل.

كان مصممًا على تخويف أى كائن قارض غير مرغوب فيه، ولذا وضع كيرلى الطعم بحرص فى المصائد من زبدة الفول السودانى، ثم قام بتوزيعها فى أماكن استراتيجية على طول المحيط الخارجى للمقطورة.

وفى حوالى الساعة الخامسة تناول عشاء مثلجًا، وأدخل شريط الفيديو فى آلة تشغيل أفلام الفيديو. لم تكن فطيرة الديك الرومى بالغة السوء، وبالمصادفة وجد أن حلوى الكرز كانت لذيذة الطعم. ولم يترك كيرلى منها أى كسرة.

لسوء الحظ كان فيلم الفيديو مخيبًا للظن. كان اسمه «البيت الأخير فى شارع وتش بوليفار». ولم تكن إحدى الممثلات المساعدات سوى «كمبرلى لو ديكسون». ساعده الموظف المسئول فى مخزن تأجير أفلام الفيديو فى العثور على الفيلم الذى سبق عرضه منذ عدة سنوات مضت قبل أن توقّع كمبرلى لوديكسون عقدها للظهور فى الإعلان التجارى لشركة الأم باولا. خمّن كيرلى أنه الظهور الأول لها على شاشة السينما فى هوليود بعد احتجابها عن أبهة مسابقات الجمال.

تلعب كمبرلى لو فى الفيلم دور تلميذة جميلة فى الكلية، وترأس فريق الهتاف والتشجيع لفريق كرة القدم. أصابتها لعنة وانقلبت إلى ساحرة وأخذت تغلى نجم

Twitter: @alqareah

كرة القدم فى قعر مرجل. كان شعرها مصبوغا بلون آحمر نارى ليتناسب مع دورها فى الفيلم، كما ركبوا لها أنفًا مزيفًا على طرفه الرفيع ثؤلول من المطاط.

كان التمثيل فاشلاً جدًّا والخدع السينمائية غير مقنعة، ولذا قام كيرلى بتشغيل الزرار وتسريع لف الشريط إلى ما يقرب من نهايته.

وفى المشهد الأخير هرب الظهير الضخم نجم الكلية من المرجل ورمى نوعًا من الغبار السحرى على كمبرلى لوديكسون، فتحولت من ساحرة، واستعادت شكلها الجميل كرئيسة لفريق التشجيع قبل أن ترتمى بين ذراعيه. ولكن بينما كان الظهير على وشك أن يقبلها تخدَّرت وتحولت إلى سحلية ميتة.

أغلق كيرلى جهاز الفيديو وهو يشعر بالغثيان والقرف. وقرر لو أن الفرصة سنحت واستطاع مقابلة «كمبرلى لو ديكسون» شخصيًّا، فلن يأتى على ذكر فيلم «البيت الأخير فى شارع وتش بوليفار» هذا.

أدار مفتاح البث ووجد مباراة للعبة الجولف جعلته يرغبُ فى النوم. كانت الجائزة للفائز الأول مليون دولار، وسيارةً جديدة من نوع (بويك)، ومع هذا لم يتمكن كيرلى من مغالبة النوم.

وحينما صحا من غفوته، كان الظلام قد خيَّم خارج المقطورة. سَمعَ صوتَ حركةٍ أيقظته من كبوته، ولكنه لم يكن متأكدًا منها. وفجأة عاد وسمعها من جديد (صوت طرقعة) وفى الحال دوت صرخة فى الخارج. من المحتمل أنها صرخة إنسان ما، ولكن كيرلى لم يكن متأكدًا بعد. أسكت صوت التليفزيون وأمسك ببندقيته.

كان هناك شىء ما، يد، قبضة تدق على جدار جانب المقطورة المصنَّع من الألمنيوم. ثم سمع من جديد: «سناب» صوت طرقعة أخرى مميزة ومصحوبة بلعناتٍ وتجديف.

زحف كيرلى نحو الباب وانتظر. كان قلبه ينبض نبضًا عنيفًا، خاف أن يسمعه المخرب. وما إن بدأ مقبض الباب فى التحرك حتى عمد كيرلى إلى العمل.

Twitter: @alqareah

أنزل كتفًا. وأطلق صرخة جئير كما يصرخ جنود البحرية، واندفع خارج القاطرة قاصفًا الباب بقوة انتزعته من مفصلاته.

أطلق المتعدِّى صرخة وهو يرتطم بالأرض متكومًا. غرزه كيرلى فى مكانه وهو يربض على وسطه بحذائه الطويل والثقيل صارخًا به: «لا تتحرك».

- «لن أتحرك. لن أتحرك».

خفَّض كيرلى المسدس، وعلى ضوء المقطورة تبين أن اللص لم يكن سوى صبىٍّ. ولد ضخم وبليد، تعثر خطأ بمصائد الجرذان فالتصق اثنان منهما وأمسكا بحذائه الرياضى بشكل منحنٍ.

فكر كيرلى فى نفسه: لابد أن هذا مؤلم.

صرخ الولد: «لا تطلق المسدس. لا تطلق المسدس». أعاد كيرلى المسدس من عيار (38). إلى حزامه وهو يقول: «أوو. اخرس. ما اسمك يا ولد؟»

- «روى، روى إيبرهاردت».

- «حسنًا. أنتَ فى ورطة حقيقية ياروى».

- «أنا آسف يارجل. أرجوك لا تستدع الشرطة».

بدأ الولد فى الترنح، ولذا ضغطه كيرلى بقوة أكبر بحذائه الطويل.

ونظر كيرلى من وراء الكومة، ولاحظ أن قفل مدخل السياج قد كُسِرَ بكتلة من خشب الوقد.

قال: «يبدو أنك تظن بنفسك غاية الذكاء وأنت تدخل وتخرج متسللاً متى أردتَ إلى هذا المكان. أنت ومزاحك السخيف».

رفع الولد رأسه وهو يقول: «ما هذا الذى تتحدث عنه؟».

- «لا تلعب دور الأبله ياروى. فأنت الذى اقتلعت كل أوتاد المعاينة وأنت من وضع تلك التماسيح فى دورات المياه المتنقلة».

Twitter: @alqareah

- «ماذا تقول؟ أمجنونٌ أنت؟».

- «كما قمتَ بطلاء سيارة الشرطى. لا عجب أنكَ لا تريدنى أن أستدعى الشرطة انحنى كيرلى مقتربًا أكثر: «ما مشكلتك أيها الولد؟ هل تحمل أية ضغينة ضد مؤسسة الأم باولا؟ فلأكن صريحًا، يبدو أنك تستمتع بأكل الفطائر اللذيذة.

- «أنا بالفعل أحب فطائر (البانكيك)».

قال كيرلى: «إذن ما القضية؟ لمَ تقوم بكل هذه الأعمال التخريبية؟».

- «لكننى لم أحضر إلى هنا من قبل».

رفع كيرلى رجله عن بطن الولد وهو يقول: «تحرك أيها الولد، قم وانهض».

أمسك الولد بيد كيرلى ولكن بدلاً من أن يتيح له الفرصة لجذبه حتى يقف على قدميه، قام بسحبه ملقيًا إياه نحو الأرض.

تمكن كيرلى أن يلفَّ يده حول عنق الولد، ولكنه تملَّص من قبضته وقام برمى قبضة من التراب نحو وجهه.

انتاب كيرلى شعور بالبؤس، وفكر فى نفسه وهو يحاول إخراج التراب من عينيه. ها هو ذا يقذفنى بالتراب كما حدث تمامًا فى ذلك الفيلم الأبله. باستثناء أننى لم أتحول بفعل السحر إلى رئيس لفريق التهليل والتشجيع.

صفا نظره، ووضحت لديه الرؤية، فى الوقت الذى رأى فيه الولد هاربًا، والمصائد تطقطق مثل الصاجات عند أصابع حذائه. حاول كيرلى اللحاق به ولكنه لم يمض أكثر من خمس خطوات حتى تعثر فى جحر من جحور البوم ووقع منبطحًا على وجهه فوق الأرض.

صرخ من خلال الظلام: «سأمسك بك ياروى. لا حظ لك ياسيد!!».

كان من الملائم للشرطى دلينكو أن يأخذ إجازته يوم السبت، فقد أمضى أسبوعًا شاقًا وصل إلى الذروة بهذا المشهد الغريب فى غرفة الطوارئ.

Twitter: @alqareah

ولا يزال الولد المصاب بعضة الكلب مفقودًا، غير معلوم الهوية. مع أن الشرطى دلينكو يمتلك الآن دليلاً. فالكم الأخضر الذى وجده على سياج موقع الأم باولا مقطوع من القميص الأخضر الذى تركه الولد الهارب من المستشفى معلقًا على هوائى السيارة الخاصة بالشرطى دلينكو. من الواضح أنه نوع من أنواع المزاح الثقيل.

تَعِبَ الشرطى دلينكو من استهدافه باستمرار لهذا النوع من المزاح السقيم، ومع هذا فقد كان ممتنًا لحصوله على هذا الدليل الحديث، فهو يوحى بالقطع أن الولد الهارب واحد من فريق المخربين لموقع الأم باولا، وبأن الولد روى إيبرهاردت على علم بأكثر مما أقرَّ به عن هذه القضية.

وتصوَّر الشرطى دلينكو أن والد روى سيصل إلى عمق هذا اللغز إذا ما أُخِذَ فى الاعتبار ماضيه المميز فى التحقيق والاستجواب.

وأمضى طيلة ما بعد الظهر وهو يشاهد مباراة البيسبول على التليفزيون، لكنَّ فريقى فلوريدا هزما هزيمة ساحقة، فانهزم فريق الأشعة الشيطانية بخمسة أهداف، وخسر فريق مارلينى بسبعة أهداف.

وقربَ موعد العشاء فتح الشرطى ثلاجته واكتشف أنه لايوجد لديه ما يأكله سوى ثلاث قطع من جبنة (كرافت) المعلبة. لُفت كل واحدة منها بلفافة منفردة.

وفى الحال مضى فى جولة بسيارته إلى محل البقالة الصغير لشراء بيتزا مجمدة. وبحكم ما أصبح من عادته، قام بدورة استكشافية حول ملكية الأم باولا.

كان لا يزال يأمل أن يقبض على المخربين متلبسين بالجرم المشهود، أيًّا من كانوا، فلو أن ذلك تحقق له، لن يكون أمام القائد والضابط سوى حجة ضعيفة لعدم نقله من العمل المكتبى وإعادته ثانية للعمل على سيارة الدورية - ومعه شهادة تقدير براقة تضاف إلى ملفه الدائم.

Twitter: @alqareah

استدار الشرطى دلينكو بسيارة الدورية نحو شرق أوريول وهو يتساءل ما إذا كانت كلاب الروتويلرز لا تزال تحرس الموقع هذه الليلة. فلو أنها هناك فلا جدوى من توقفه، فلا أحد يرغب فى التعامل مع هذه الكلاب الشرسة.

من بعيد، ظهر شكل ضخم فى وسط الطريق. كان يتقدم وهو يعرج فى مشية غريبة. ضغط الضابط على مكابح سيارة (الكراون فيكتوريا) وحدَّق بحذر من خلال الزجاج الأمامى للسيارة. وبينما كان الشخص يقترب ماراً تحت بريق أنوار الشارع، استطاع الشرطى أن يرى أنه ولد مراهق يسير متمايلاً. خفَّض الولد رأسه وبدا عليه أنه على عجلٍ لقضاء أمر ما، مع أنه لم يكن يجرى بطريقة طبيعية. كان يترنح متمايلاً، يصدر مع كل خطوة يخطوها صوت قرقعة عالية يتردد صداها على الرصيف.

وحين وصل الولد إلى دائرة النور الأمامى لسيارة الشرطة لاحظ الشرطى دلينكو شيئًا طويلاً مسطحًا ومرتبطًا بكل زوجٍ من حذائه الرياضى. هناك أمر غريب ويجب عليه اكتشافه.

نقر الشرطى دلينكو كشاف الأنوار الزرقاء وخرج من السيارة. فوجئ الولد وأُخِذَ على غرة. وتوقف وهو ينظر أمامه.

أصدر صدره الممتلئ تنهيدة. وبدا وجهه لامعًا من كثرة العرق.

قال الشرطى دلينكو: هل يمكننى التحدث معك لثانية أيها الشاب الصغير؟

- «كلا» أجاب الولد. واستدار ليهرب.

ولكن مع وجود المصيدتين العالقتين بحذائه لم يتمكن من الانطلاق بعيداً.

لم يجد الشرطى دلينكو أى صعوبة فى الإمساك بالولد، ثم قام بدفعه بعنف إلى المقعد الخلفى لسيارة الدورية واضعًا الأصفاد حول ساعديه، التى قليلاً ما كان يستعملها والتى وفَّت الآن بالغرض بشكل ممتاز.

سأل سجينه الصغير: «ما سبب هروبك؟».

Twitter: @alqareah

أجاب الولد بوجه متحجر: «أريد محاميًا».

- «هذا شيء جميل».

استدار الشرطى دلينكو بسيارة الدورية نصف دائرة متجهًا نحو مركز الشرطة. وبينما هو يتطلع فى المرآة الخلفية لمح شكلاً بشريًا آخر يهرول من أول الشارع وهو يلوّح مهتاجًا.

فكر رجل الشرطة وتساءل فى سِره: والآن ما وراء هذا؟ ثم قام بالضغط بقدمه على مكابح السيارة من جديد.

صرخ الشكل البشرى الذى أخذ يقترب: «واه !! انتظر».

ووضح للشرطى الآن الرأس الأصلع المميز، الذى لا يمكن أن يخطئ بمعرفته، لامعًا تحت أنوار الشارع.

كان هذا (لروى برانيت) الملقب بكيرلى. رئيس عمال مشروع الأم باولا. وحين وصل إلى سيارة الشرطة كان يلهث ويرغى ويزبد. ثم انحنى منهكًا وارتمى فوق غطاء السيارة. كان وجهه ملتاثًا وملطّخًا بالتراب.

أخرج الشرطى دلينكو رأسه من النافذة وتساءل: ««ما المشكلة؟».

صرخ رئيس العمال من بين أنفاسه المتقطعة: «لقد قبضتَ عليه حسنًا ما فعلت».

استدار رجل الشرطة ليقيِّمَ سجينه الجالس فى المقعد الخلفى.

وقال: «قبضت على من؟».

- «همم. الثعبان الصغير الذى كان يعبث بموقعنا».

انتصبَ كيرلى وأشار متهمًا المراهق: «حاول هذا الولد أن يعبث بمقطورتى هذه الليلة. لحسن الحظ أننى لم أطلق النار على رأسه الأبله». جاهد الشرطى دلينكو ليخفى ويتمالك شعوره بالإثارة. ها هو ذا قد فعلها، وقبض على من قام بعمليات التخريب على الموقع.

Twitter: @alqareah

قال كيرلى: «كنت قد سمرَّته على الأرض، ولكنه هرب منى، استطعت انتزاع اسمه بالقوة. اسمه روى. روى إيبرهاردت. إنه وراءك فاسأله».

قال الشرطى دلينكو: «لا حاجة لى بسؤاله. فأنا أعرف روى إيبرهاردت وليس هذا هو».

قال كيرلى وهو ينفث غضبًا: «ماذا تقول؟»

كما لو أنه يترقب أن يكون اللص صادقًا.

قال الشرطى دلينكو: «أظن أنك سترفع عليه قضية اتهام».

- «أراهنك بشعارك القصديرى اللامع أننى سأفعل. هذا المعوق حاول أيضًا أن يعمينى، رمى التراب داخل عينىَّ».

- قال الشرطى دلينكو: «هذا اعتداء وانتهاك يضاف إلى محاولة الدخول للسرقة، واختراق القانون بالتخريب والاعتداء على ممتلكات الغير وغيرها من الاتهامات. لا تقلق، سأضع كل هذا فى تقريرى» ثم أشار إلى المقعد المجاور له وطلب من كيرلى أن يقفز داخل السيارة وهو يقول: «عليك أن تأتى معى إلى قسم الشرطة لتحرِّر محضرًا».

قطَّب كيرلى وجهه عابسًا وهو ينظر نحو الركام المتجهم الجالس فى المقعد الخلفى، وقال بلهجته السوقية: «بكل سرور. هل تريد أن تسمع كيف شبكت مصائد الفئران المضحكة بأعلى حذائه؟»

قال الشرطى دلينكو: «فيما بعد. أريد أن أستمع لكل شىء بالتفصيل» كانت هذه هى الفرصة الكبيرة التى طالما انتظرها رجل الشرطة.

ولا يكاد يحتمل الانتظار للوصول إلى القسم، حتى يبحث بفضول، ويأخذ اعترافًا كاملاً من المراهق.

من كثرة مشاهدته الأفلام السينمائية، تذكر الشرطى دلينكو أن من المهم

Twitter: @alqareah

التعامل مع نفسية المتهم بلطف. خاصةً إذا لم يكن متعاونًا مع المحقق. ولذا قال بصوت تعمَّد أن يكون رقيقًا:

«هل تعلم أيها الشاب! بإمكانك أن تسهل الأمر كثيرًا على نفسك».

«تمتم الولد من وراء شبكة الحاجز: «نعم. هذا صحيح».

– «يمكنك البدء بأن تخبرنى باسمك الحقيقى».

– «هيه. لقد نسيته».

قهقه كيرلى بخشونة: «وضع هذا الشخص فى السجن أمر يدعو إلى التسلية».

رفع الشرطى دلينكو كتفيه وقال: «تسلَّ قدر ما تحب على طريقتك» ثم توجه بالحديث إلى الولد وقال : «ليس مطلوبًا منك الإفصاح عن أى شىء. وهذا أمر جيد. هذا حق لك، بحكم القانون».

ابتسم الولد بخبث، وقال: «هل لى أن أطلب شيئًا؟».

– «اسأل عمَّا تريد، وفى الحال».

أجاب الولد بلهجته السوقية ولسانه الأقرط: «حسنًا. سأفعل. هل لدى أىٍّ منكما سيجارة أستطيع أن أتسولها؟».

Twitter: @alqareah

الفصل السادس عشر

رنَّ جرس الباب بينما كانت عائلة إيبرهاردت تتناول طعامها. قالت والدة روى: «فى يوم الأحد أيضًا. بكل أمانة، هذا أمر غير مرغوب فيه!!». فهى تعتقد أن يوم الأحد يوم مقدس يجب أن يكرَّس للأنشطة العائلية.

قال والد روى وهو يعود بعد أن أجاب على جرس الباب:

«لديك زائر على الباب ياروى».

شعر روى بانقباض فى أمعائه، فهو لا ينتظر أحدًا، وشك أنه ربما كان هناك طارئٌ مهم قد حدث فى الليلة الماضية على موقع الأم باولا. قال السيد إيبرهاردت: «إنه واحدٌ من أصدقائك، وهو يقول: إنكما خططتما للذهاب للتزحلق على اللوح».

أحس روى ببعض الغثيان، مع شعور بالارتياح وقال: «أوه! لابد أن هذا جاريت. نعم. لقد نسيت الموعد».

علَّقت السيدة إيبرهاردت: «ولكنك ياعزيزى لا تملك لوحًا للتزحلق».

قال السيد إيبرهاردت:

«ليس مهمًّا. فقد جاء صديقه بلوح آخر معه».

نهض روى من وراء طاولة الطعام، ومسح فمه بسرعة بفوطة وسأل: «هل لديكما أى مانع من الذهاب؟».

Twitter: @alqareah

اعترضت أمه قائلةً: «أووه يا روى. ولكن اليوم هو يوم الأحد».

- «أرجوكِ. سأذهب ساعةً واحدةً فقط».

كان يعلم بأن والديه سيوافقان، بدت عليهما السعادة وهما يعتقدان أن ابنهما بدأ يجد له أصحابًا فى مدرسته الجديدة.

كان جاريت ينتظر على السلالم الأمامية للمنزل. بدأ فى الإفضاء بشىء، ولكن روى أشار إليه أن يلتزم الصمت حتى يبتعدا عن المنزل. وهكذا مضيا يتزحلقان على لوحيهما بسكون على طول الرصيف إلى أن وصلا إلى نهاية المجموعة السكنية التى تضم منزل إيبرهاردت. حينذاك ركل جاريت لوحه وعلَّق قائلاً: «لن تصدق. قبضت الشرطة الليلة الماضية على دانا ماثرسون».

حاول روى أن يبدو أكثر دهشة مما هو فى الواقع وقال: «مستحيل!». من الواضح أن ملكية الأم باولا كانت تحت المراقبة كما خمَّن.

أفاد جاريت: «اتصلت الشرطة بأمى منذ الصباح الباكر. لقد حاول دانا اختراق مقطورة لسرقة بعض الأشياء».

وكان من شأن الشرطة أن تخبر والدة جاريت كلما تعرض أى تلميذ لمشكلة وأصبح مسئولاً أمام القانون، لأنها المشرفة الاجتماعية فى مدرسة تراس ميدل.

قال جاريت: «خذ عندك. فهذا هو الخبر القاتل. لقد أعطاهم دانا اسمكَ بدلاً من اسمه»

- «هذا حسن».

- «إنه أبله بالفعل».

قال روى: «وهم صدقوا كلامه على الأرجح».

- «ولا حتى لمجرد دقيقة».

سأل روى: «هل كان بمفرده؟ هل قُبض على أى شخص آخر؟».

Twitter: @alqareah

كان يريد أن يقول أى شخص مثل أخى بياتريس غير الشقيق.

قال جاريت: «كلا. فقط هو. كان بمفرده. وخمِّن أمرًا آخر. لقد أصبح له محضر ضبط».

- «محضر ضبط؟»

- «ملف اتهام. لقد ضُبط قبل هذه المرة. هذا ما قالته الشرطة لأمى».

مرة أخرى. لم يُدهَش روى لهذه المعلومات وقال: «ضبط من أجل ماذا؟».

قال جاريت: «سرقة مخازن. كسر الآت الكوكاكولا. سرقات من هذا القبيل. كما أنه فى إحدى المرات أوقع بسيدة على الأرض وقام بسرقة محفظتها. أخذت منى أمى تعهدًا بأننى لن أُخبر أحدًا. من المفروض أن تحفظ هذه المعلومات فى السر ولا تتسرب فى المدرسة؛ لأن دانا لم يبلغ سن الرشد بعد».

قال روى متهكمًا: «أنت على حق. فأنت لا تريد أن تلوث سمعته الطيبة».

أجاب جاريت وهو يلوك نصف كلامه: «مهما يكن، اسمع. إن لك أن تدور فى الهواء من الفرحة».

- «لماذا؟».

- «لأن أمى تقول: إنهم سيدخلونه السجن هذه المرة».

- «سجن للأحداث؟»

قال جاريت: «بدون شك. إذا ما أخذوا بالاعتبار محضر الضبط».

علَّق روى بهدوء: «ووو».

لم يكن فى مزاج يجعله راغبًا فى الدوران فى الهواء، وإن لم يستطع نكران شعوره بالراحة لتحرره من دانا؛ فقد تعبَ من أنه ظل للفترة الماضية مثل كيس المصارعة الذى يمارس عليه دانا ماثرسون تمارينه.

ومع أنه كان يعانى من شعور بالذنب لتلفيقه قصة السجائر، إلاَّ أنه لم يستطع

Twitter: @alqareah

أن يمنع نفسه فى التفكير بأن المساعدة على إدخال دانا خلف القضبان هى خدمة عامة. فهو ولد سيئ، ولعلَّ الصدمة التى سيعانى منها فى سجن الأحداث تقوم أخلاقه بعض الشىء.

– «هييه. اسمع. ألا تريد أن تلف حول المتنزه بألواحنا؟»

– ركب روى لوح التزحلق الذى أعاده له صديقه. دفع بقوة بقدمه اليمنى، ولم يلتفت إلى الوراء أبدًا على طول المسافة حتى وصوله إلى المتنزه ولا حتى مرة واحدة، ليتحقق من أنه ليس مطاردًا.

إنه لشعور جميل. كما يُفترض أن يشعر به فى يومٍ من أيام الأحد.

صحا كيرلى ووجد نفسه فى سريره فى البيت ولمَ لا؟ فالمعتدى على موقع الأم أصبح أخيرًا فى السجن، ولم يعد هناك من داعٍ لأن يمضى الليل فى حراسة المقطورة.

بعد أن أوصله الشرطى دلينكو إلى منزله، راح كيرلى يسلى زوجته وأمها بأن يقص عليهما الأحداث المثيرة التى مرَّ بها.

ألقى بحديثه على مراحل دفعة وراء الأخرى بهدف التشويق المسرحى، مع المبالغة فى سرد بعض التفاصيل.

ففى روايته المعدَّله مثلاً، ذكر أن المخرب الشاب عاقه بأن سدد له ضربة كاراتيه لممارس خبير (فهذه الضربة تبدو أكثر خطورة من ذكر مجرد إلقاء بعض التراب على وجهه). وقرَّر كيرلى أنه ليس من الضرورى ذكر تعثره فى جحر من جحور البوم ووقوعه على الأرض، وبدلاً منها ذكر أن المطاردة قطَّعت أنفاسهما وهما يعدوان بسرعة فائقة ومتقاربة، كما صغَّر من قدر دور الشرطى دلينكو للإمساك بالمجرم الهارب بصورة مقنعة.

مضى أداء كيرلى التمثيلى فى البيت بشكل رائع؛ مما جعله واثقًا أن (تشاك

Twitter: @alqareah

ماكل) سيأخذ بكلامه أيضًا إذا ما أعاد نفس التمثيلية، وأول ما سيفعله فى صباح يوم الاثنين هو الاتصال بإدارة شركة الأم باولا ليبلغ نائب الرئيس بتفاصيل القبض على المتهم، وعن بطولاته. لم يكن قادرًا على انتظار سماع السيد ماكل وهو يطلق تهانيه.

بعد أن تناول عشاءه، جلس كيرلى ليشاهد مباراة لكرة القدم.

وما إن استقر أمام التليفزيون حتى ظهر الإعلان التجارى للأم باولا، يعلن عن أسعار خاصة، ففى الإمكان الحصول على وجبة بأى نوع من أنواع فطائر (البانكيك) إضافة إلى قطعة سجق وفنجان من القهوة، كل هذا فقط بـ (6,95 دولار).

وجعلت رؤية (كمبرلى لو ديكسون) وهى تقوم بدور الأم كيرلى يفكر فى الفيلم السينمائى السخيف الذى كان استأجره من مخزن تأجير الفيديو «البيت الأخير فى شارع وتش بوليفار».

لم يعد يتذكر هل كان عليه أن يعيده من بعد ظهر اليوم أم فى اليوم التالى؟ فكيرلى يكره دفع إضافة على سعر التأجير إذا ما تأخر فى إعادة الفيلم فى الوقت المحدد، ولذا قرر الذهاب إلى المقطورة ليأخذ شريط التسجيل.

وفى الطريق إلى هناك ازداد انزعاجه لتذكره أنه نسى شيئًا آخر عند موقع الإنشاء.. إنه مسدسه.

فى ليلة الصخب تلك، أضاعَ بشكل ما مسدسه من عيار (0,38) فهو لا يذكر أنه كان بحوزته حينما ركب مع الشرطى دلينكو فى سيارة الدورية، لذا فمن الأرجح أنه وقع من حزامه حين كان يتصارع مع الولد خارج المقطورة. هناك احتمال آخر أنه وقع منه حين تعثر بحفرة جحر البوم.

وانزعج كيرلى جدًّا من نفسه، ففقدان مسدس معمَّر أمر خطير. وحين وصل إلى الموقع المسيج أسرع إلى المكان الذى كان يتعارك فيه مع المراهق. ولم يجد المسدس عيار (0,38) وتراجع قلقًا وراح يبحث حول جحر البوم. وجه مصباحه الكهربائى إلى داخل الجحر، فلم يجد شيئًا.

Twitter: @alqareah

ازداد قلقه حدة. تفحص داخل القاطرة ولم يجد أنَّ ثمة عبثًا بأى شىء. كان الباب قد تعرض للتلف بحيث لا يمكن إعادة غلقه، ولذا راح كيرلى يغطى الفتحة بقطعتين من ألواح الخشب.

ثم بدأ فى البحث وفق منهج مدروس فى أنحاء الموقع كافة من أوله إلى آخره. وعيناه مركزتان على الأرض. حمل فى إحدى يديه حجرًا ثقيلاً تحسبًا لإمكانية وجود أحد الثعابين السامة.

تدريجيًّا، تسربت فكرة مؤذية واكتسحت عقله، وأرعشته كما لو أنه أُغرق بماء مثلج. ماذا لو أن المراهق السارق نشل المسدس من حزامه وخبأه بين القمامة؟ أو رماه وراء إحدى الأكام وهو يركض هاربًا؟»

ارتعش كيرلى وثابر فى البحث، وبعد مضى حوالى نصف الساعة، مضى فى طريقه يائسًا نحو المكان الذى كانت تقف فيه معدات حفر ونقل الأتربة لتهيئة الموقع للإنشاء.

ومع مرور الوقت فقد الأمل فى العثور على المسدس، ووجد نفسه بعيدًا عن المكان الذى يذكر أن المسدس كان فيه بحوزته، فإنه ليبحث الآن فى منطقة معاكسة للجهة التى هرب منها المخرِّب. تصور كيرلى أنه ليس فى الإمكان العثور على المسدس عيار (0,38) فى مكان على هذا البعد إلاَّ إذا التقطته بوم ضخمة ورمته فى هذا المكان.

غارقًا فى إحباطه، تركزت عيناه على رقعة ناعمة من الرمل. إنها أثر لأقدام حافية، قدمى إنسان بكل تأكيد. عدَّ كيرلى الأصابع ليزداد يقينًا.

من الواضح أن أثر القدمين يبدو لدى تفحصه أصغر من أثر قدمى كيرلى، وأصغر أيضًا من قدمى ذلك السارق الممتلئ.

وعلى مسافة أبعد شاهد كيرلى آثار قدمين أخريين.

Twitter: @alqareah

وتلاها أخريان، ثم أخريان. قادته الآثار مباشرة نحو مجموعة من آلات حفر الأرض. تقدم كيرلى نحوها يعتريه شعور متزايد بالقلق.

توقف أمام سيارة من سيارات نقل الأتربة، وهو يحمى جبهته من نور الشمس. فى أول الأمر لم يلحظ خطأ ما، ولكن بعدها شعر كما لو أنه أُصيب بركلة بغل، ثم لاحظ أن مقعد السائق لم يكن موجودًا بمكانه.

أفلتَ كيرلى الحجر الصلب الذى كان يحمله لحماية نفسه واندفع نحو سيارة نقل الأتربة التالية التى تصطف وراء الأولى التى كانت حفارًا. آه.. لقد اختفى منها مقعد السائق أيضًا.

وبلمح البصر اندفع كيرلى نحو القطعة الثالثة والأخيرة من آلات الحفر ونقل الأتربة وتسوية الأرض. لم يكن هناك أيضًا أى أثر لمقعد السائق.

وصَبَّ كيرلى لعناته: بدون مقاعد لافائدة من هذه السيارات، ولا مجال لتحريكها للقيام بمهمتها. يجب أن يجلس العاملون على المقاعد ليتمكنوا من تشغيل وتحريك آلة رفع الأتربة.

كانت الأفكار فى عقل رئيس العمال تتسارع بشكل جنونى، فإما أن الولد الذى أمسكوا به الليلة الماضية له رفيق خفى متواطئ معه فى الجريمة، وإما أن شخصًا آخر تسلل نحو الموقع بعد ذهابه. ولكن من هو؟ كان كيرلى يتساءل فى إحباط: من الذى قام بأعمال التخريب فى المعدات ليعطل العمل؟ ومتى؟

أخذ يبحث عن المقاعد المفقودة بلا جدوى، وقد ازداد مزاجه سوداوية، ولم يعد راغبًا فى مهاتفة السيد (ماكل) فى مركز إدارة الأم باولا، بل أصبح الآن خائفًا من الاتصال؛ فهو يترقب أن يجد نائب الرئيس- الفظ والمتجهم- بهجةً فى طرده من العمل فى أثناء المخابرة.

توجه كيرلى نحو دورات المياه المتنقلة يائسًا، فبعد أن أسرف فى شرب ما يقارب إبريقًا من الشاى المثلج خلال تناوله العشاء شعر الآن كما لو أن بطنه على وشك أن ينفجر، كما أن ضغط المأزق الذى يمر به لم يكن مساعدًا.

Twitter: @alqareah

سلَّح نفسه بالمصباح الكهربائى، ودخل إلى دورات المياه تاركًا الباب مواربًا تحسبًا لخروج اضطرارى مستعجل. أراد أن يتأكد من أن أحدًا لم ينصب له فخًّا من الزواحف المقززة مرة أخرى.

وجَّه مصباحه الكهربائى بحرص نحو الحفرة المظلمة للمرحاض. ابتلع ريقه حين أنار الشعاع شيئًا لامعًا وأسود داخل ماء الحفرة. وبعد أن حدَّق بنظرة أدق تحقق أن هذا الشىء اللامع ليس تمساحًا.

تمتم كيرلى وهو يشعر بمزيد من البؤس: «ممتاز. فعلاً ممتاز».

لقد وجد أخيرًا المسدس.

شعر روى برغبة مؤلمة للتسلل نحو الخرابة وزيارة أصابع المولييت. كان يريد أن يكتشف ما حدث فى الليلة الماضية على ملكية الأم باولا.

ولكن المشكلة كانت فى أمه، فقد استعانت بنظام يوم الأحد فور عودته من ممارسة التزحلق على اللوح فى المتنزه، وصممت على الانطلاق فى فسحة عائلية. قام والد روى بتنفيذ وعده وصحبهما إلى منطقة طريق تميامى التى تزخر بأسواق المنتجات السياحية للهنود الحمر، وتقدم عرضًا لرحلات بالمركب الهوائى فى منطقة (إفر جلاس) وهى منطقة الأهوار فى فلوريدا.

أمضى روى، فى آخر الأمر، وقتًا رائعًا، بالرغم من أن ضجة صوت محرك المركب كانت عالية جدًّا إلى الحدِّ الذى يؤذى طبلة أذنه.

كان قائد المركب من (السيمنول)، رجلاً طويل القامة يلبس قبعة رعاة البقر من القش، وذكر أن المحرك المستخدم فى المركب من النوع الذى يُستخدم فى تحريك الطائرات الصغيرة.

دمعت عينا روى من شدة اندفاع الرياح، بينما أخذ سطح المركب المستوى

Twitter: @alqareah

يميل بهم من خلال الحشائش المنشارية المستوية، ويترنح مارًّا خلال الجداول الضيقة التى تجتاحها الرياح العاصفة.

كانت الرحلة بالمركب أكثر متعة من لعبة التدحرج على تيارات وأمواج المياه الصناعية فى مجمع الألعاب المائية (رولر كوستر). على طول الرحلة النهرية توقفوا ليتطلعوا إلى الثعابين، والضفادع الكبيرة الحجم، والسحليات التى يتبدل لونها، والراكون، والأبوسوم(*)، والسلاحف، والبط، وطيور اللقلق، ونِسْرَين برأس أصلع، وثعلب الماء، وتسعة وعشرين تمساحًا (استطاع روى أن يعدها).

وصوَّر والد روى معظم المناظر بآلة تصوير الفيديو، بينما أخذت أمه تلتقط الصور بآلة التصوير الرقمية (ديجتال) الجديدة.

وبالرغم من أن المركب الهوائى كان شديد السرعة فقد جرت الرحلة خلال الجداول الضحلة كما لو كانوا ينزلقون على الحرير. ذُهل روى أيضًا لشدة استواء هذه البقعة من الأرض ورحابة اتساعها.

كما شدَّ انتباهه الأفق الرحيب، ووفرة المخلوقات الحية الغريبة.

فما إن تبتعد عن التكدس البشرى حتى تجد أن فلوريدا منطقة زاخرة بالحياة البرية مثلها مثل مونتانا.

شعر روى فى هذه الليلة وهو ممدد على سريره، بارتباط أكثر قوة بأصابع المولیت وتفهم أفضل للحملة الفردية الخاصة التى شنَّها الولد على بيت الفطائر، فالأمر لا يختص فقط بالبوم، بل بكل كائن حى من طير أو حيوان وبكل الأماكن العذراء البرية التى تتعرض لخطر مسحها والقضاء عليها. لا عجب من سخط الولد، ومن تصميمه على حماية البيئة.

وحين مرَّ والدا روى بغرفته ليتمنيا له نومًا هانئًا. قال لهما إنه لن ينسى أبدًا

(*) حيوان لبنى أمريكى يقتنص من أجل فرائه الثمينة.

Twitter: @alqareah

رحلتهم إلى الأهوار فى (إيفرجلادس). وكان هذا شعوره الفعلى، فما زال والداه أفضل صديقين لديه.

من الممتع الخروج والتجوال معهما. كان روى يعلم أيضًا أنه لم يكن من اليسير عليهما أبدًا أن يحزما متاعهما وينتقلا من منطقة إلى أخرى طوال الوقت. لكن عائلة إيبرهاردت كانت تعمل بروح الفريق المتآزر، المتعلق ببعضه البعض.

قال والد روى: «حينما كنا بالخارج ترك لنا الشرطى دلينكو رسالة على آلة تسجيل الرسائل على الهاتف يقول فيها إنه اعتقل فى الليلة الماضية متهمًا كان يقوم بالتخريب فى موقع البناء».

لم ينطق روى بأى كلمة. أضاف السيد إيبرهاردت: «لا تقلق. لم يكن المقبوض عليه الشاب الصغير الذى حدثتنى عنه. ذلك الولد الذى هرب من المستشفى».

قاطعت السيدة إيبرهاردت وهى تضيف بانفعال: «إنه الولد الذى هاجمك فى الحافلة. حاول أن ينتحل اسمك وإقناع الشرطة بذلك».

- لم يعد باستطاعة روى التظاهر بعدم المعرفة واعترف قائلاً: «جاريت أخبرنى بكل شىء».

علَّق والد روى: «فعلاً. لابد أن لديه مصادر خاصة».

قال روى: «لديه أفضل مصدر. ماذا تقول رسالة رجل الشرطة غير ذلك؟»

- هذا ما سأسألك عنه. هل لديك أى علم بما حدث للولد؟».

قال روى: «أنا»؟

قاطعت أم روى قائلة: «أوه. إن هذا مثير للسخرية. كيف لروى أن يعلم ما الذى يخطط له ولد سوقى مجرم مثل دانا ماثرسون؟».

أصبح فم روى جافًا كقطعة من الطباشير، فمع أنه مرتبط جدًا بوالديه إلاَّ أنه لم

Twitter: @alqareah

يكن مستعدًّالإخبارهما بأنه هو الذى أغوى دانا وخدعه عامدًا للذهاب إلى ملكية الأم باولا بعد أن لفَّق له قصة السجائر المخبأة داخل المقطورة.

قال السيد إيبرهاردت: «إنها قطعًا مصادفة غريبة أن يتآمر ولدان مختلفان جدًّا على تخريب الموقع ذاته. هل من الممكن أن يكون الولد ماثرسون قد حبك المؤامرة مع صديقك الأخ غير الشقيق لبياتريس؟» اعترض روى متشددًا: «هذا مستحيل. فدانا لا يهتم أبدًا بالبوم، فهو لا يهتم إلاَّ بنفسه».

قالت أم روى: «واضح أنه لا يهتم بالبوم».

وبينما كان الوالدان يغلقان وراءهما باب حجرة النوم قال روى: «هيه. ياأبى!».

- «نعم؟»

هل تذكر قولك لى: إن باستطاعة مالكى محلات الفطائر أن يفعلوا مابدا لهم فى الملكية لو أنهم حصلوا على كل التراخيص والأوارق اللازمة؟»

- «هذا صحيح».

تساءل روى: «كيف يمكننى التأكد من مثل هذا الأمر؟ كما تعلم. أريد فقط أن أتيقن أن كل الأوراق التى معهم سليمة قانونًا».

- «أظن أن عليك فى هذه الحالة الاتصال بإدارة تراخيص البناء فى المجلس المحلّى».

- «إدارة التراخيص؟ شكرًا»

وبعد أن أُغلِقَ الباب، سَمعَ روى والديه يتهامسان فى الممر. لم يستطع أن يتبين ما يتحادثان عنه. ولذا سحب الأغطية حتى عنقه. وفى الحال استسلم للنوم، وقبل أن يمضى وقت طويل سَمعَ أحدًا يهمس باسمه وافترض أنه لا يزال يحلم، ثم عاد وسمع الصوت من جديد. وهذه المرة بدا الصوت حقيقيًّا لدرجة جعلته يجلس فى سريره. كان الصوت الوحيد فى الغرفة هو صوت تنفسه. فكر فى نفسه: شىء عظيم هأنذا بدأت أهلوس وأتخيل أشياء غير واقعية.

Twitter: @alqareah

تمدد ورأسه على المخدة وأرسل طرفه نحو السقف.

- «روى؟»

تصلَّب تحت الأغطية.

- «روى. لا تخف».

ولكن هذا كل ما يشعر به. كان الصوت قادمًا من تحت سريره.

- «روى. هذه أنا».

- «أنا من؟».

تلاحقت أنفاس روى متسارعة. كان قلبه يدق مثل صوت الطبلة العميق.

كان فى استطاعته الشعور بوجود الشخص الآخر تحت فراشه فى الظلام.

- «أنا بياتريس. اهدأ يارجل».

- «ماذا تفعلين هنا»

-«شش. لا ترفع صوتك عاليًا بهذا الشكل».

سمعها روى وهى تنزلق لتخرج من تحت السرير. وبهدوء وقفت وتوجهت نحو النافذة. كان نور القمر فى السماء يكاد يكفى ليُظهِرَ شعرها الأشقر المجعد، ويضفى شعاعًا على إطارى نظارتها.

- «كيف دخلتِ إلى بيتنا؟» جاهد روى ليحتفظ بصوته منخفضًا، ولكنه كان يجلجل بشدة.

- «كم مضى عليك وأنتِ تختبئين ها هنا؟».

أجابت بياتريس: «طوال فترة مابعد الظهر، بينما كنتم جميعًا فى الخارج».

- «اقتحمتِ البيت ودخلتِ؟!».

- «استرح يا راعى البقر. لم أصدِّعْ أى نافذة أو أى شىء آخر. خرج الباب المنزلق للشرفة من مجراه بمجرد دفعه. وهذا ينطبق على كل الأبواب المنزلقة». قالت بياتريس هذا بكل بساطة وكأنه شىء عادى.

Twitter: @alqareah

قفزَ روى من تحت الأغطية وأغلق الباب بالمتراس، وأشعل المصباح على مكتبه، وانبرى يؤنبها بلهجة جافة: «هل فقدتِ عقلَكِ تمامًا؟ هل قام أحدهم بركلكِ على رأسكِ فى أثناء تأديتكِ لتمارين كرة القدم؟ أم ماذا؟»

قالت بياتريس: «أنا آسفة لاقتحامى المنزل. آسفة بالفعل. كل ما هنالك أن... أفٍّ. فالأمور تأزمت جدًّا فى بيتنا ولا أعرف مكانًا آخر لألتجئ إليه».

شعر روى فى الحال بالأسف لأنه خرج عن طوره وقال: «أوه. هل هى لونا؟»

أو مأت بياتريس برأسها بحزن وهى تقول: «أظن أنها فقدت عقلها أو شيئًا من هذا القبيل».

- «هذا شىء مقزز».

- «نعم. فقد التحمت مع والدى فى معركة حامية. أعنى فعلاً حامية.

فقد رشقته بمذياع يعمل بالساعة على رأسه. فردَّ عليها بثمرة مانجو». كان روى يظن دائمًا أن بياتريس لا تخاف أى شىء. ولكنها الآن لا تبدو عليها الشجاعة والجرأة كما كان يتصور. شعر بالأسف من أجلها - كان من الصعب تخيل العيش فى منزل يتصرف فيه الراشدون بمثل هذا السلوك الغبى.

وعرض عليها: «بإمكانك المبيت الليلة هنا».

- «هل أنتَ جادٌّ فى عرضِكَ».

- «ما دام أهلى لن يكتشفوا الأمر».

قالت بياتريس: «أتعلم يا روى أنك ولد لطيف؟».

ابتسم ابتسامة عريضة وقال: «شكرًا لكِ؛ لأنكِ ناديتنى باسمى روى».

- «شكرًا لكَ لأنك سمحتَ لى بالمبيت هنا».

قال لها: «نامى أنتِ على السرير. وسأنام على الأرض».

- «هذا شىء مستحيل يا .....».

Twitter: @alqareah

لم يناقشها روى. ناولها مخدة وغطاء. تمددت بياتريس بسعادة على السجادة. أطفأ الأنوار وتمنى لها ليلة طيبة. ثم تذكر أمرًا كان يود أن يستفسر عنه، فسألها: «هيه. هل التقيت بأصابع المولييت اليوم؟»

- «ربما!».

- «حسنًا. كان قد ذكر لى أن لديه خطة من أجل ليلة البارحة».

- «إن لديه دائمًا خططًا مُعدَّةً للتنفيذ».

قال روى: «ولكن هذه الخطط لن تستمر إلى الأبد. عاجلاً أو آجلاً سُيقبض عليه».

- «أعتقد أنه ذكى بما يكفى ليعرف ذلك».

-«إذن علينا أن نقوم بعملٍ ما».

سألت بياتريس بوهن: «مثل ماذا؟» كانت قد بدأت تستسلم للنوم وأكملت: «إنكَ لن تملك منعه ياروى. فهو عنيد جدًّا».

- «إذن، فأنا أظن أن علينا أن نحذو حذوه».

- قالت بياتريس وقد غلبها النعاس» أ ر جـ جو المعذر..رة».

- «تصبحين على خير يا بياتريس».

Twitter: @alqareah

الفصل السابع عشر

حدَّق كيرلى فى آلة الهاتف، كما لو أن التحديق سيجعله يكف عن الرنين. وأخيرًا دعَّم نفسه ورفع السماعة.

على الطرف الآخر كان طبيعيًّا أن يقول (تشاك ماكل): «هل أسمع صوت سيارات الحفر ونقل الأتربة وهى تعمل يا سيد برانيت؟

- «كلا يا سيدى».

- «لمَ لا؟ فنحن هنا اليوم فى صباح يوم الاثنين فى مدينة (ممفيس) الجميلة فى ولاية (تنيسى). ألم يبدأ صباح الاثنين عندكم فى فلوريدا بعد؟».

قال كيرلى: لدىَّ بعض الأخبار الحسنة، وكذلك بعض الأخبار السيئة».

- «هل تتضمن الأخبار الجيدة خبر عثورك على عمل فى مكان آخر؟».

قال كيرلى وهو يتلعثم فى كلامه: «أرجوكَ. أمهلنى حتى أتمَّ كلامى».

قال تشاك ماكل: بالطبع سأمهلكَ حتى تنتهى من لم أغراضك من فوق المكتب.

وقصَّ كيرلى بسرعة روايته المعدَّلة عما حدث فى ليلة السبت. وبالطبع احتلَّ الجزء الذى يدور حول المقاعد المسروقة من السيارات أبرز موضع سيئ من روايته، وبأمل ألا تبدو الأمور أكثر سوءًا لم يذكر أنه وجد مسدسه ملقىً، بطريقة ما، فى مرحاض من المراحيض المتنقلة.

Twitter: @alqareah

خيَّم صمت مريب غامض على الجانب الآخر من الخط فى (ممفيس) وتساءل كيرلى فيما بينه وبين نفسه، إن كان نائب الرئيس المسئول عن العلاقات العامة لشركة الأم باولا المتضامنة، قد أغلق الهاتف فى وجهه.

قال كيرلى: «آلو.. هلاً تزال على الخط؟»

أجاب تشاك بلهجة لاذعة: «دعنى أتفهم الأمر ياسيد برانيت. أنت تقول إنه تمَّ القبض على شاب صغير بتهمة محاولته ارتكاب جريمة سرقة ممتلكات الشركة».

- «هذا صحيح، بتهمة الانتهاك والتعدى على الممتلكات، وبتهمة أخرى هى التهجم والاعتداء».

- «ولكن بعد ذلك، وفى نفس الليلة قام أحدهم أو مجموعة من الأشخاص، المجهولى الهوية بسرقة مقاعد سيارات نقل الأتربة والجرافات أو أيا كان اسمها».

قال كيرلى: «نعم ياسيدى. وهى الأخبار، التى سبق وقلت لك إنها أخبار غير سارة جدًّا».

- «هل أبلغتَ الشرطة بحادثة السرقة هذه؟»

- «بالطبع لا. فقد وددت ألا يصل أى خبر إلى الصحافة» قال تشاك ماكل: «يبدو أنه لا يزال لديك بعض الأمل فى بقائك للعمل معنا». ثم سأل كيرلى إن كان بإمكانه تشغيل آليات الحفر وتسوية الأرض ونقل الأتربة بدون مقاعد.

- «هذا فقط. إن كان من سيعمل عليها أخطبوطًا».

- «إذن، فقد كنت على حق حين افترضت أنه لن يبدأ العمل اليوم؟» وأقرَّه كيرلى قائلاً بشراسة: «ولا حتى فى الغد. فقد طلبت شراء مقاعد جديدة من مخزن لبيع الأدوات بالجملة فى ساراسوتا، ولكنها لن تصل قبل يوم الأربعاء».

Twitter: @alqareah

قال تشاك ماكل: «أما إنها لمصادفة سعيدة، فهو اليوم الذى يصادف آخر أيام وجود الآنسة كمبرلى لو ديكسون معنا».

وسيبدأ تصوير فيلمها السينمائى الجديد «الحشرات المتحولة» فى نهاية الأسبوع القادم فى نيومكسيكو.

ابتلع كيرلى ريقه، وقال بلهجته السوقية: «أنتَ تريد أن تقيم حفل الافتتاح للمشروع فى يوم الأربعاء القادم؟ وماذا عن قطع الأشجار وإزالة الأنقاض وتسوية الأرض على الموقع؟».

قال تشاك ماكل: لقد تمَّ تغيير الخطة. واللائمة لا تقع علينا بل على هوليود. سنبدأ الاحتفال بافتتاح الموقع، وبعد أن يغادر الجميع تبدأ أنتَ فى تشغيل آلياتك. هذا على فرض ألا يُقدِم أحدهم على تعريتها من هيكلها الداخلى بالكامل قبل ذلك الحين».

- «ولكن، هذا يعنى ..... يوم الأربعاء. اليوم التالى للغد».

- «أنت فى حِلٍّ من أن تزعج نفسك يا سيد برانيت. سنقوم من هنا من مكاتبنا بترتيب كل التفاصيل. سنهتم بالدعاية اللازمة، وبنشر المادة الصحفية الداعمة. أعنى. كل ما يلزم. سأتصل بمكتب رئيس البلدية، وبغرفة التجارة وغيرهما. وحتى ذلك الحين كل ما هو مطلوب منك أن تبقى متيقظًا، إن المطلوب منك شىء فى غاية البساطة».

- «ما هو؟».

- «المطلوب هو أن تحافظ على إغلاق الموقع فى الأربع والعشرين ساعة القادمة أظن أنه طلب باستطاعتك تحمل مسئوليته. أليس كذلك؟».

قال كيرلى : «بكل تأكيد».

قال تشاك ماكل: «لا أريد أى تماسيح أو ثعابين سامة. ولا سرقات ولا أى مشاكل جديدة خلال هذه الفترة. هل فهمت؟».

Twitter: @alqareah

- «لدىَّ سؤال سريع. ماذا فعلتم بشأن البوم؟».

اندفع تشاك ماكل صارخًا: «أى بوم؟ هذه الطيور الحافرة هجرت جحورها».

فكَّر كيرلى فى سره: «يبدو أن أحدهم قد نسى أن يُخبر البوم بالأمر».

فليس هناك قانون يحول دون هدم جحور هجرتها طيورها. هذا ما قاله نائب الرئيس وأردف قائلاً: «سيكون هذا جوابك عن أى استفسارٍ لأحد: تخلَّت الطيور عن أعشاشها وهجرت هذه الجحور».

سأل كيرلى: «ولكن ما الذى أقوله إن شوهدت هذه الطيور وهى تحوم على الموقع؟».

صرخ تشاك ماكل لإرهاب كيرلى: «أى بوم؟ ليس هناك أى بوم على هذه الملكية. ،إياك أن تنسى هذا الأمر يا سيد برانيت. إن إمكان وجود أى بومة منعدم إلى درجة الصفر. وإذا ادعى أحدهم أنه شاهد بومة، فما عليك سوى الرد بقولك: لا علم لى بذلك ، لعله طائر أبو الحناء(*) أو دجاجة برية أو أى شىء آخر». فكر كيرلى فى سره: «دجاجة برية؟»

قال تشاك ماكل: «على فكرة سأطير قادمًا إلى كوكنت كوف سأحضر شخصيًّا لأكون برفقة الجميلة الآنسة ديكسون لحضور حفل افتتاح الموقع. فلنُصلِّ معًا كى لا يتم بيننا أى اتصال هاتفى جديد حتى ذلك الحين»

قال كيرلى. «اطمئن، ولا تقلق». رغم أنه كان هو نفسه يشعر بالقلق الشديد.

حين استيقظ روى من نومه، كانت بياتريس ليب قد غادرت غرفته. لم يكن لديه أدنى فكرة كيف تسللت إلى خارج المنزل دون أن يراها أحد.

ولكنه شعر بالفرحة لأنها تمكنت من التسلل بنجاح. قرأ والد روى، وهم على

(*) أبو الحناء: طائر صغير، صدره أحمر ضارب إلى الصُّفرة.

Twitter: @alqareah

مائدة الإفطار، بصوت عالٍ، الأخبار المقتضبة عن قصة القبض على دانا ماثرسون. كان العنوان الرئيسى يقول: «تم القبض على شاب صغير من سكان المنطقة وهو يحاول اقتحام أحد الأماكن». لم يكن مسموحًا ذكر اسم الولد فى الإعلام؛ لأنه مازال حدثًا ولم يبلغ بعد الثامنة عشرة من عمره. هذا الأمر أزعج والدة روى التى كانت تعتقد أنه كان من المفروض أن يُعلن عن اسم دانا ماثرسون ويُشهَّر به على الصفحة الأولى من الصحيفة.

كان كل ما ذُكِرَ عن الموضوع فى الصحيفة أنه تلميذ من مدرسة تراس ميدل. وأنه تم القبض عليه متهمًا بقيامه بعدة عمليات تخريبية، حدثت أخيرًا فى المدينة. لم يأتِ الخبر على ذكر الموقع الإنشائى للأم باولا كمكان مستهدف بشكل خاص.

كان خبر القبض على دانا هو الخبر المهم الذى أثار ضجة وثرثرة كبيرة فى المدرسة، فمعظم أولاد المدرسة كانوا على علم بمدى اضطهاده وقسوته على روى وسعيه لنتف ريشه. ولذا فقد بدا عليهم الاهتمام والتشوق لرؤية رد فعل روى لدى سماعه بخبر قبض الشرطة على من قام بتعذيبه لفترة طويلة.

كان روى حريصًا على إخفاء مشاعره بالارتياح أو بالسخرية مما حدث، وحاول أن يتجنب لفت الأنظار نحوه. فلو أنَّ دانا تكلم وفضفض عن قصة رزمة السجائر التى اختلقها روى وحضَّه على سرقتها، والتى قُبض عليه بسببها لن يكون لدى الشرطة أى مبرر لتصديق ادعاءات الولد، وهكذا آثَرَ روى ألا يُعرِّض نفسه لأى احتمال.

ما إن قُرع الجرس حتى ركض جاريت نحوه وقاده إلى جانب بعيد ليشركه فى تفاصيل خبر مثير.

قال جاريت هامسًا وهو يضع يديه حول فمه: «مصائد. مصائد جرذان!!».

تساءل روى: «ماهذا الذى تتحدث عنه؟».

Twitter: @alqareah

- «حين قبضوا عليه كانت هناك مصيدتان للجرذان عالقتان على زوجى حذائه. وهذا ما جعله يعجز عن الهرب بعيدًا».

- «أنا متأكد تمامًا من بطء حركته».

- «أنا جادٌ يا صاح. هذا ما قالته الشرطة لوالدتى. كان قد تعثر بهما حين تسلل نحو الشاحنة».

كان روى فى الواقع شديد المعرفة بدانا. ولذا تمكن من تخيُّل الموقف. قال جاريت: «كُسرت ثلاثة من أصابعه وهو يحاول الهرب».

- «أوه. لا تبالغ».

- «أنا لا أبالغ أبدًا. فنحن هنا نتحدث عن مصائد جرذان كبيرة الحجم» وأبعد جاريت يديه لمسافة قدم موضحًا كلامه.

- «ومهما يكُن، فقد كان روى يعلم جيدًا أن جاريت مشهور بتضخيم الأمور والمبالغة فى سردها».

سأل جاريت : «هل أخبرت الشرطة أمك بأى شىء آخر».

- «مثل ماذا؟».

- «مثل: ما الذى كان دانا ينوى سرقته؟».

- «قال لهم إنه كان يبحث عن سجائر. ولكن رجال الشرطة لم يصدقوه».

قال روى وهو يرشق حقيبة الكتب على كتفه: «ومن سيصدقه؟».

ظلَّ روى طوال فترة الصباح يبحث عن بياتريس ليب بين الفصول، ولكنه لم يجدها فى مداخل الأروقة والممرات.

فى ساعة الغداء جلست الفتيات من فريق كرة القدم معًا فى (الكافيتريا)، ولكن بياتريس لم تكن معهن. اقترب روى من الطاولة وسألهن عنها. قالت إحداهن وهى فتاة من فتيات العصابات من كوبا: «ذهبتْ إلى طبيب الأسنان. فقد

وقعت من أعلى سلالم بيتهم وكسرت سنها، ولكنها ستأتى لتشارك فى اللعب هذه الليلة».

قال روى: «رائع». ولكنه لم يشعر بالراحة لما سمع. فبياتريس تُعتبر ظاهرة نادرة فى تميُّزها بلياقة بدنية عالية. لايمكن لروى أن يتخيل أنها وقعت عن السلالم كأى شخص عادى. فبعد أن شاهد ما فعلته بعجلة دراجته لا يمكن أن يتصور أن سبب كسر سنها هو مجرد وقوع عن السلالم.

ظل روى مشغولاً يفكر فى بياتريس وهو فى حصة التاريخ الأمريكى. وجد نفسه يجاهد ليتمكن من التركيز فى امتحان السيد (ريان). مع أنه لم يكن امتحانًا شديد الصعوبة. كان السؤال الأخير هو نفسه الذى طرحه عليه السيد (رايان) وهما فى الرواق يوم الجمعة الماضى.

كان السؤال: من الذى ربح معركة بحيرة (إيرى)؟ بدون تردد كتب روى فى ورقة الإجابة: (الكوماندوز) اللواء (أوليفر بيرى) فهو الجواب الوحيد الذى كان متأكدًا من صحته.

نظر روى، وهو فى طريق العودة بالحافلة إلى البيت، نظرة قلق نحو أصدقاء دانا ماثرسون الذين يماثلونه فى الضخامة. ولكنهم لم يلتفتوا نحوه ولم يعيروه أى اهتمام. إما لكون دانا لم يذكر لهم بعد ما فعله به روى، وإما لأن أمر دانا لم يعد يهمهم.

كان ضابط الشرطة يقرأ قرار القبض على دانا ماثرسون حين دخل عليه الشرطى دلينكو والرائد، فأومأ لهما الضابط بالجلوس.

قال للشرطى دلينكو: «عمل رائع. فقد سهلْتَ علىَّ أمورًا كثيرة، وجعلت حياتى أيسر بعد أن استطعت إغلاق بوق المستشار جراندى. فهو واحد من مروجى الحملات الانتخابية السعداء».

Twitter: @alqareah

قال الشرطى دلينكو: «هذا من دواعى سرورى يا سيدى».

- «ما الذى فعلته فى شأن هذا الولد ماثرسون؟ ما الذى أفضى به؟

- «لم يخبرنى بالكثير».

فالتحقيق مع دانا ما ثرسون لم يمض بالسهولة التى كان الشرطى دلينكو يأمل فيها، ففى الأفلام التى واظب على رؤيتها عادةً ما ينهار المتهمون ويعترفون دائمًا بجرائمهم. ولكن مع دانا ظل طول الوقت مصممًا على عدم التعاون. وكانت أقواله محيِّرة. ففى أول الأمر قال إنه كان يحومُ متطفلاً حول موقع الأم باولا ليسرق كمية من سجائر الجلادياتور، ولكنه وبعد أن تحدث مع محاميه عاد وبدَّل أقواله، وأعلن أنه فى الحقيقة ذهب إلى الشاحنة ليستجدى سيجارة. ولكن رئيس العمال ظنَّ أنه جاء بغرض السرقة وطارده وهو يحمل مسدسًا.

قال الشرطى دلينكو: «إن قضية ماثرسون قضية صعبة».

قال الرائد: «نعم. فقد كان يحوم حول الموقع لعدة مرات» هزَّ الضابط رأسه مؤمِّنًا وقال: «لقد رأيت سجل اتهاماته. ولكن هناك أمرًا مازال يحيرنى، فهذا الولد ولا شك سارق. ولكنه ليس سارقًا مخادعًا ماهرًا . فأنا لا أستطيع أن أتصوره وهو يرمى التماسيح الحية فى مراحيض محمولة. من المحتمل أن أتصوره سارقًا لهذه المراحيض.

وأومأ الشرطى دلينكو موافقًا: «وأنا أيضًا أوافقك الرأى فقد تساءلت وتعجبت، فالذى قام بعمليات التخريب والتعدى على موقع الأم بولا يبدو محبًّا للمشاكسة وللمزاح الثقيل، الذى لا يتفق مع الماضى الإجرامى والأحمق للولد ماثرسون. فهو مثلاً قادر على تعرية وسرقة عجلات سيارة الدورية، ولكن ما كانت لتخطر على ذهنه فكرة رش زجاج نوافذ سيارة الدورية بالطلاء الأسود أو أن يعلِّق قميصه كما لو أنه علمُ بطولةٍ للعبة رياضية على هوائى سيارة الدورية».

تساءل الضابط بصوت عالٍ: «ترى ما أهدافه من هذه الأعمال المسلية؟».

Twitter: @alqareah

قال الشرطى دلينكو: «لقد سألته إن كان يحمل ضغينة ضد بيت الأم باولا لفطائر (البانكيك) وقد أجابنى بأنه يفضل عليها فطائر شركة (إيهوب)».

- «إذن، فهذا هو السبب، فهو يفضل فطائر (إيهوب)!».

أقرَّ الشرطى دلينكو: «هذا صحيح. ولكنه استثنى الفطائر المصنعة بالزبدة واللبن. وقال إنه يتلذذ بفطائر الأم باولا التى من هذا النوع».

اعترض الرائد محتدًّا: «آه!! هذا الولد يهدد مستقبلنا المهنى». تراجع الضابط بمقعده عن مكتبه ببطء. بدأ يشعر بهبوب موجة جديدة من المصائب وأوجاع الرأس. وقال: «حسنًا. علىَّ أن أسيطر على الموقف. ولذا سأعمل فى الحال على اتخاذ قرار قاطع. بما أنه ليس لدينا دليل أفضل نستند إليه، فأنا أنوى أن أُخبر رئيس الشرطة (دياكون) بأنه قد تم القبض على المتهم فى عمليات التخريب على موقع بيت الأم باولا، وأن القضية قد أُغلقت».

قال الشرطى دلينكو بعد أن تنحنح ليسلِّك صوته: «لقد رأيت على موقع الجريمة قطعة ممزقة من قميص، وهو أصغر كثيرًا من مقاس الولد المتهم، لا يمكن أن يكون قميص ماثرسون بأى حال من الأحوال».

لم يذكر لرئيسه أنه وجد بقية القميص معلقةً على هوائى سيارته كنوع من الاستفزاز والسخرية منه.

قال الضابط بصوت منفِّر: «نحن بحاجة لأكثر من رقعة من القماش. نحن بحاجة لجسم دافئ، لإثبات ملموس، والوحيد الذى بحوزتنا محتجز الآن فى مركز الأحداث. إذن فمن الناحية الرسمية هو متهمنا الوحيد. هل هذا مفهوم؟».

أعلن كل من الشرطى دلينكو والرائد عن تضامنهما مع هذا القرار.

قال الضابط: «أنا ذاهب الآن. وأنتما تعلمان ما يعنى هذا. إذا ما ارتُكِبَتْ جريمة أخرى على هذا الموقع، سأتصرف كوحش هائج، فإذا ما انتهى الأمر بإجبارى على ذلك فبعض الناس الموجودين هاهنا سيقضون بقية أيام مستقبلهم

Twitter: @alqareah

المهنى وهم يجمعون العملات المعدنية الصغيرة من آلات توقيف السيارات بالساعة فى الشارع. أوَاضحٌ ما أقول؟».

وللمرة الثانية أجاب كل من الشرطى والرائد بكلمة: «نعم».

قال الضابط : «ممتاز. والآن فإن مهمتكما الأساسية هى التأكد من عدم حدوث أى مفاجآت جديدة منذ الآن، وحتى يوم حفل الافتتاح الكبير للموقع الجديد للأم باولا يوم الأربعاء القادم».

انتصب الرائد واقفًا على قدميه وسأل الضابط: «بدون إحراج. هل سنُبلِّغ ديفيد بالأنباء السعيدة؟».

قال الضابط: «من الأفضل إبلاغه فى الحال. لقد تقرر إعادتك فورًا للعمل كشرطى دورية على الطريق. وفضلاً عن ذلك، فقد كتب الرائد شهادة تزكية توصى بك لقيامك بالقبض على المتهم. وهذه الشهادة ستُصبح جزءًا يضاف إلى سجلك الدائم».

أشرق وجه الشرطى دلينكو وقال مبتهجًا: «شكرًا لك ياسيدى».

- «هناك المزيد. نظرًا لخبرتك فى هذه القضية. فأنا أُوكل إليك القيام بمهمة خاصة، وهى تعيينك كشرطى دورية لمراقبة موقع بناء الأم باولا لمدة اثنتى عشرة ساعة يوميًّا تستريح بعدها لمدة اثنتى عشرة ساعة وهكذا دواليك. ستبدأ العمل هذه الليلة مع غروب الشمس. هل أنتَ مستعد لذلك؟».

- «أنا بكامل الاستعداد».

نصحه الضابط قائلاً: «إذن فلتذهب إلى منزلك، ولتأخذ غفوة، فإن غفلت عيناك مرة أخرى عن هذا الموقع، سأكتب رسالة أخرى أقل طولاً تضاف إلى ملفك وتنهى بها خدمتك».

فى خارج مكتب الضابط ربَّت الرائد على ظهر دلينكو بودٍّ، وهو يقول : «كلها ليلتان، وبعدها سنصبح أحرارًا ونستريح من هذه المهمة يا ديفيد. فهل أنت مستعد لذلك؟».

Twitter: @alqareah

- «سؤال واحد يا سيدى: هل سأكون فى حراسة الموقع بمفردى؟».

ردَّ عليه الرائد: «حسنًا». نحن فى أزمة الآن بالنسبة للمناوبات الليلية. أُصيب (كُربى) بلسعة دبور. (وميلر) خارج الخدمة بسبب إصابته بالتهاب فى الجيوب الأنفية. يبدو أنك ستكون على الموقع بمفردك».

قال الشرطى دلينكو: «هذا يوافقنى» مع أنه كان يُفضل أن يكون معه شريك يسانده فى مثل هذه الظروف، وسوف يمضى كيرلى فى الغالب ليلته داخل مقطورته، وما كانت صحبته بالتى تطيب.

- «هل تشرب قهوة ياديفيد؟»

- «نعم يا سيدى».

قال الرائد: «حسنًا. إذن اشرب ضعف ما اعتدت عليه. أنا لا أتوقع حدوث أى شىء، ولكن من الأفضل لك أن تكون يقظًا جدًّا إذا ما حدث أى طارئ».

فى طريقه إلى المنزل توقف الشرطى دلينكو عند مخزن لبيع الأشياء التذكارية يقع على الطريق العام، ثم مال نحو مركز سجن الأحداث ليلغو ويثرثر من جديد مع دانا ماثرسون. لكم سيكون إحساسه بالفرج والراحة كبيرًا إذا ما اعترف الولد، ولو بواحدة من التهم الموجهة إليه، اصطحب أحد الحراس دانا ماثرسون إلى حجرة مقابلة المسجونين وعاد ليتخذ موقف الحراسة على باب الغرفة.

كان الولد يرتدى بدلة مخصصة للمتهمين من الأحداث، من قطعة واحدة رمادية غير مهندمة، كُتب عليها من الخلف على الظهر كلمة: «مُقيم» بأحرف كبيرة. وكان يلبس جوربًا فقط، فما زالت أصابع قدميه منتفخةً من أثر مصائد الجرذان. قدَّم له الشرطى دلينكو قطعة علكة (لبان) أخذها الولد ولاكها بنهم بين فكيه. قال الشرطى: «كما ترى أيها الشاب، لقد أُعطيت متسعًا من الوقت للتفكير؟».

- «للتفكير بماذا؟». نفخ دانا فقاعة بعلكته، ثم فرقعها.

Twitter: @alqareah

- «أنت تعلم عمًّا أتحدث».

قال الولد: «أنا لست بحاجة للتفكير. وهذا ما جعلنى أوكل محاميًا». مال الشرطى دلينكو إلى الأمام وقال : «تناسَ أمر المحامين. سأكتب تقريرًا جيدًا للقاضى لو أنك ساعدتَ فقط فى توضيح بعض التهم الأخرى. هل أنتَ من قام برش نوافذ سيارتى بالطلاء الأسود؟»

عبَّر الولد عن غضبه ساخرًا وقال: «ولمَ أقوم بمثل هذا العمل الأحمق؟»

- «اصدقنى القول يا دانا. باستطاعتى أن أسهل الأمر عليك. أخبرنى فقط بالحقيقة».

قال الولد: «لدىَّ فكرة أفضل». ثم تلفظ بعبارة نابية، تدل على السخرية.

ضم الشرطى دلينكو يديه وقال: «هذا هو بالضبط التصرف اللاأخلاقى الذى يدل على عدم احترام السلطة، وهو ما جاء بك إلى هنا».

- «كلا يارجل. أنا سأقول لك من الذى جاء بى إلى هنا. إنه هذا الصبى الصغير روى إيبرهاردت».

وقف الشرطى وهو يقول: «لن نعود إلى هذا الهراء من جديد. من الواضح أنه مضيعة للوقت» اخنفَ صوت دانا ماثرسون وهو يقول مشيرًا إلى كيس مشتريات صغير، وضعه رجل الدورية على الطاولة: «ووه.... هوه. وأخيرًا هل جئت لى ببعض السجائر؟».

قال الشرطى دلينكو وهو يُدخل يده فى الكيس: «كلا، ولكنى جئت لكَ بشىء آخر، برفيق صغير ليؤنسك». قال هذا وهو يسقط شيئًا فى حضن الولد.

قام دانا ماثرسون بالنباح والنطح والضرب للشىء الذى وقع فى حجره مطيحًا بالكرسى الذى كان يجلس عليه من شدة الذعر. نهض بدون إبطاء عن الأرض واندفع خارج الباب حيث أطبق الحارس بيد مفتولة العضلات على ذراعه وقاده بعيدًا.

Twitter: @alqareah

ظل الشرطى دلينكو بمفرده يتأمل الشىء الملقى على البلاط القرميدى للغرفة - بأسنانه وحراشفه، كما لو كان حيًّا، باستثناء الورقة الصمغية التى تشير إلى سعره الذى يساوى (3,95) دولار والملتصقة على فكه. كان هذا هو التمساح المطاطى الذى اشتراه الشرطى دلينكو من مخزن البضائع السياحية.

أقنع رد فعل دانا ماثرسون تجاه اللعبة المطاطية التى لا يمكن أن تتسبب فى أى أذى، رجل الدورية وأكّد له أنه ليس الولد الذى قام بعمليات التخريب على موقع الأم باولا، فمن يُصب بالهلع والرعب من شىء تافه ومزيف لا يمكن أن يكون مؤهلاً للتعامل مع تمساح حقيقى مهما صغر حجمه، خاصة فى ظلمة دورة مياه متجولة، ممنوع الاقتراب منها.

إذن فالمتهم الحقيقى لايزال طليقًا فى مكان ما، يحلم بتنفيذ مخطط جديد. ولايزال أمام الشرطى دلينكو ليلتان طويلتان ومثيرتان للأعصاب.

تملك عائلة إيبرهاردت جهاز حاسب آلى يُسمح لروى باستعماله لأداء واجباته المدرسية، ولممارسة ألعاب لوح التزلج على الجليد فى (الفيديو).

كان روى يحسن التصفح والبحث من خلال شبكة (الإنترنت).

وهكذا وبدون صعوبة استطاع الدخول عن طريق (جوجل) والحصول على العديد من المعلومات عن البوم الحفار الذى يقوم بحفر جحوره فى الأرض. فمثلاً، عرف أن الاسم العلمى لهذا النوع الموجود فى فلوريدا، والذى يعرف باسمه اللاتينى هو (أتين كون كوكولاريا فلورديانا) وأنها تتميز بأن ريشها أغمق من الفصائل الأخرى الموجودة فى الغرب، وبأنها من الطيور الصغيرة الخجولة. وهى مثل غيرها من الأنواع الأخرى من البوم تنشط مع حلول الظلام، وعادة ما تبنى أعشاشًا لصغارها فى الجحور ما بين شهر فبراير ويوليو، ولكن لا يلاحظ وجود الفراخ الصغيرة فى أوكارها إلاّ بوقت متأخر من شهر أكتوبر.

Twitter: @alqareah

دوَّن روى كل هذه المعلومات التى حصل عليها بنظام وترتيب الواحدة بعد الأخرى شاعرًا كما لو أنه كسب الجائزة الكبرى، وطبع ورقتين بكافة المعلومات التى حصل عليها ووضعها فى حقيبة ظهره ومضى ليركب دراجته.

كانت رحلة سريعة إلى مركز بلدية كوكنت كوف. أحكم روى قفل دراجته وتتبع الإشارات التى أوصلته إلى قسم الإدارة.

وراء الطاولة وقف رجل ذو وجه شاحب ومبقع بالنمش بكتفين ضيقتين وحينما لم يعره الرجل اهتمامًا تقدم روى بجرأة إلى الأمام، وطلب منه الملف الخاص بملكية الأم باولا لبيت فطائر (البانكيك) الأمريكية.

بدا على الموظف أنه راغب فى التسلية. سأل روى: «هل لديك مواصفات الشكل الهندسى الرسمى؟».

- «لماذا؟».

- «للملكية».

- بالتأكيد، فهى تقع على زاوية شارعى (أوريول) (وودبرى).

قال الموظف: «ليس هذا مستندًا هندسيًّا رسميًّا للملكية. يكاد ألا يكون العنوان الصحيح للموقع».

- «آسفٌ، فهذا كل ما عندى من معلومات».

سأل الموظف: «هل هذه المعلومات من أجل مشروع طلبته منك المدرسة؟».

فكر روى فى نفسه: ولمَ لا؟ وقال للرجل: «نعم». ولم يرَ أى أذى من وراء أكذوبة صغيرة، ما دامت ستنقذ البوم.

طلب الموظف من روى الانتظار حتى يتفحص موقع الشارعين. عاد إلى الطاولة وهو يحمل بين ذراعيه رزمًا من الملفات، وضعها أمام روى. وسأله وهو يبتسم ابتسامة متكلفة: «أى واحدة تريد أن تتفحص؟» حدق روى بالملفات مرتبكًا، فما كانت لديه أى فكرة من أين يبدأ.

Twitter: @alqareah

سأله: «أريد الملف الذى عليه تراخيص البناء».

فتش الموظف خلال الرزم. انتاب روى شعور بالتشاؤم، فقد كانت الوثائق مكتوبة بصيغة ومصطلحات تقنية غاية فى التعقيد، سيصعب عليه فهمها. على أى حال فقد بدا الأمر له كما لو أنه يحاول قراءة اللغة البرتغالية.

قال الموظف وهو يعيد بحرص ترتيب ولفٍّ الملفات: «هممممم! هذا الملف غير موجود».

- سأل روى: «ماذا تعنى؟».

- «أظن أن الملف كله بما فيه من تراخيص، وإشعارات، وبيانات أُعطيت بعد المعاينة قد سُحِبَ من هنا».

- «من الذى أخذه؟».

قال الموظف: «علىَّ أن أسألَ المشرفةَ التى أعملُ معها. لقد غادرت بعد أن أنهت عملها، فالمكاتب تغلق فى الرابعة والنصف، وها نحن قد قاربنا هذا الوقت. دعنا لنرى بالفعل، فالساعة الآن الرابعة وسبع وعشرون دقيقة». وزيادة فى التأكيد ربت الموظف على وجه ساعته.

قال روى: «حسنًا سأعود فى الغد».

قال له الموظف فى نغمة أبدى فيها تأدبًا مصطنعًا: «لعلَّ من الأفضل أن تختار موضوعًا آخر من أجل مشروعك».

ابتسم روى بهدوء وقال: «شكرًا لك ياسيدى. ولكنى لا أستسلم بهذه السهولة».

قاد روى دراجته من مبنى البلدية إلى مخزن لبيع طعم للصيد، فاشترى بما تبقى لديه من نقود مدَّخرة بعد تناول طعام غذائه علبة مملوءة بالصراصير الحية. بعد مضى خمس عشرة دقيقة كان يتسلل إلى ساحة الخردة. لم يجد أصابع

Twitter: @alqareah

المولیت فی المسکن الحقیر علی شاحنة (الآیس کریم) لاحظ وجود مرتبة النوم غیر المهندمة فی مکانها. انتظر روی داخل الشاحنة لفترة، ولکن المکان لم یکن محتملاً، فبدون جهاز تکییف کانت الحرارة والرطوبة عالیتین. لم ینتظر طویلاً. عاد ورکب دراجته متجهًا نحو زاویة شرق (أوریول) (وودبری).

کان باب السیاج مغلقًا، ولم یکن هناك من أثر لرئیس العمال الأصلع والفظ. سار روی حول المحیط الخارجی للسیاج باحثًا عن أخی بیاتریس غیر الشقیق أو أی مفاجآت جدیدة قد یکون ترکها علی موقع بیت الفطائر لهؤلاء القوم.

لم یکن روی لیلحظ أی شیء غیر عادی لو لم تفر إحدی البومات من جحرها بعد أن جفلت وتحط علی غرفة القیادة لآلة نقل الأتربة. هنا لاحظ روی أن مقعد القیادة لم یکن موجودًا. وفی الحال بحث وتفحص بقیة الآلات التی تعمل فی حفر ونقل الأتربة وتسویة الأرض، ووجد أنها تعرضت للعبث والتخریب ذاته.

فکر روی مبتهجًا: إذن ذلك ما کان یخطط له الولد فی تلك اللیلة، وما دعاه لأن یطلب منی إحضار مفك إنجلیزی.

سار روی عائدًا نحو البوابة، وفتح علبة الصراصیر الطائرة ووضعها أعلی السیاج، فخرجت منها الصراصیر الواحد بعد الآخر. کانت الحشرات تثب خارج العلبة وتقفز من خلال الفتحات وتحط علی الأرض.

کان روی یأمل أن تعثر البوم علیها حینما تخرج من جحورها کوجبة لعشائها.

کما کان علیه أن یغادر المکان لولا أنه سمع أول صریر.

رکع هناك وأخذ ینتظر صابرًا، إلی أن خلت العلبة من آخر صرصار. عندها تلاشی صوت الصریر لیحل محله صوت دوی منتظم کصوت البوم. شاهد روی سیارة نصف النقل الزرقاء وسمع صوت مکابحها وهی تتوقف. رمی العلبة وقفز فوق دراجته ولکنه کان قد تأخر کثیرًا. فقد وقفت السیارة معترضة طریقه لتمنعه من الهرب. خرج الأصلع منها وقد اکتسی وجهه بلون قرمزی کالبنجر. وأمسك

Twitter: @alqareah

بالدراجة من مقعدها. ظل روى يدوس على الدواستين دونَ جدوى، وقد استشاط غيظًا. فقد تعطلت الدراجة عن السير. كانت قدماه تتحركان ولكنه لم يكن ينتقل من مكانه.

صاح رئيس العمال زاعقًا: «ما اسمك؟ وما الذى تفعله هنا؟ هذه ملكية خاصة. ألا تعلم ذلك؟ هل تريد أن تُزج فى السجن أيها الفتى؟»

توقف روى عن تحريك الدواستين والتقط أنفاسه.

زمجر الرجل الأصلع قائلاً: «أعرف ما الذى جاء بك إلى هنا. فأنا على علمٍ بخدعك الحقيرة».

قال روى: «أرجوك ياسيد اتركنى أذهب. لقد كنت أُطعم البوم فقط».

انسحبت الدماء القرمزية من وجنتى رئيس العمال وقال بصوت منخفض: «أى بوم؟ لايوجد أى بوم فى هذه المنطقة».

قال روى: «أوه ..... بل يوجد بوم. لقد شاهدتها».

اهتز الرجل الأصلع وبدا عصبيًّا. اقترب بوجهه أكثر من روى الذى اشتمَّ رائحة البصل المطبوخ نفَّاذةً من أنفاسه.

- «أنصتْ لى أيها الولد. أنتَ لم ترَ أيًّا من هذه البوم الملعونة. هل تفهمنى؟ إنما رأيتَ دجاجة. دجاجةً برية».

كتم روى ضحكته وقال: «هذا مؤكَّد».

- «هذا صحيح. فكما ترى. ما لدينا هنا نوع من الدجاج الصغير».

قال روى: «يا سيد. ما شاهدته كان بومة. وأنت تعلم ذلك. وأنا أعلم ما الذى يخيفك».

أبعد رئيس العمال يده عن دراجة روى وأخلى سبيله وهو يقول بصوت خلا من أى تعبير: «أنا لست خائفًا. وأنتَ لم ترَ أى بوم. والآن اذهب بعيدًا عن هذا

Twitter: @alqareah

المكان ولا تعد ثانية، إلاَّ إذا كنت ترغب فى دخول السجن، مثل الولد الآخر الذى أمسكت به وهو يتعدى على أملاك الآخرين».

قاد روى دراجته بحرص حول سيارة نصف النقل، ثم انطلق فى طريقه بأقصى سرعة وهو يعلن بانتصار: «إنها بوم».

ثم مضى يعلو، ثم يعلو، ثم يعلو إلى الجانب الأعلى من الجبل الشاهق، هذا ما كان يتخيله على أى حال، أما فى الواقع فقد كان يترنح بدراجته على طول الشارع العريض لشرق (أوريول) والذى كان مستويًا ومسطحًا كفطيرة من فطائر (البانكيك) للأم باولا. انتابه القلق الشديد، وخاف أن يغير رئيس العمال رأيه ويلحق به لمطاردته والإمساك به. وأخذ يترقب فى كل لحظة أن يسمع بوقًا من ورائه، أو أن تصله اللعنات فى مهب الريح. كانت سيارة نصف النقل تزحف فى تثاقل شديد بالقرب منه، حتى إنه كاد يشعر بسخونة محركها 8-7 الكبير.

وهكذا لم ينظر روى إلى الخلف ولم يبطئ من سرعته. ظل يدوس بأسرع ما أوتى من قوة. وقد توترت ذراعاه المشدودتان إلى المقود.

وشعر بساقيه تكادان تحترقان.

لم يرغب فى التوقف حتى يصل إلى ما كان يتخيل أنه أعلى قمة على جبال مونتانا الشاهقة، وأن يستكمل المسيرة على طول الساحل هابطًا المنحدر نحو الجو البارد والمعتدل للوادى.

Twitter: @alqareah

الفصل الثامن عشر

اشتكى كيرلى للشرطى دلينكو قائلاً: «جاء الليلة، مرة أخرى ذلك الولد الهزيل المؤذى الذى لاحظته وهو يحوم ويدور حول الموقع الأسبوع الماضى، لكننى قبضت هذه المرة على هذا الصغير التافه!».

عرض الشرطى دلينكو أن يكتب تقريرًا بالحادثة، ولكن كيرلى أكد له أن لا مدعاة لذلك قائلاً: «لن يعود إلى هنا وأنا أضمن ذلك. ليس بعد أن هزأته وواجهته بوجه مخيف حانق».

كان الوقت قد قارب منتصف الليل وهما على موقع البناء. وقف الرجلان بالقرب من سيارة الدورية يتبادلان أحاديث عرضية، بلا مبالاة، وكان كلاهما فى سريرته يعتقد بأن مرتكب عمليات التخريب على الموقع لم يُعرف بعد، ولكنهما لم يرغبا فى الإفصاح عن شكوكهما لبعضهما البعض.

لم يخبر الشرطى دلينكو كيرلى أن خوف الولد ماثرسون من التماسيح كان واضحًا، وبأنه من المستحيل أن يكون هو من قام بهذه العملية. فلم يشأ أن يثير غضب رئيس العمال مرة أخرى.

كذلك لم يخبر كيرلى الشرطى دلينكو عن حادثة اختفاء مقاعد سيارات النقل (البلدوزر)، مع أن ماثرسون كان مقبوضًا عليه حين حدثت السرقة. فما كان

Twitter: @alqareah

كيرلى ليرغبَ فى أن ينقل الشرطى هذه المعلومة إلى مركز الشرطة، حتى لا يتسرب الخبر إلى أى مراسل صحفى من مثيرى الشغب.

على الرغم من محافظة كل منهما على سره فقد كان كل منهما مسرورًا؛ لأنه لن يمضى الليلة وحيدًا على هذا الموقع. كان شعورًا مريحًا أن يجد كل منهما سندًا قريبًا يؤازره.

قال الشرطى دلينكو: «هيه. كان بنيتى سؤالك.. ما الذى حدث لتلك الكلاب الشرسة التى كنت طلبتها لحراسة المكان؟».

قال كيرلى: «هل تعنى تلك الكلاب المدربة المعتوهة؟ على الأرجح أعادها ذلك المجنون إلى برلين بأقصى ما يمكنه من سرعة. اسمع. سأدخل الآن إلى مقصورتى. نادنى إذا ما احتجت لأى شىء» قال الشرطى دلينكو: «هل تراهن؟».

- «لن تأخذ غفوة هذه الليلة. أليس كذلك؟».

- «لا تقلق».

سُرَّ الشرطى دلينكو لأن الظلام كان مخيمًا. فما كان يرغب فى أن يتمكن رئيس العمال من رؤيته وقد احمر وجهه خجلاً، وما نسىَ أبدًا المنظر المؤلم لسيارته الغالية (كوين فيكتوريا) وقد اكتسى زجاجها كله بطلاء أسود كالقار. ولايزال الشرطى يحلم بالقبض على المذنب وإصدار الحكم عليه.

بعد أن انسحب كيرلى إلى مقصورته المريحة والمكيفة الهواء على المقطورة، بدأ رجل الدورية مهمته بالسير على الملكية متتبعًا خط شعاع مصباحه الكهربائى. أخذ يتنقل بين أوتاد المعاينة.

كان بنيته أن يستمر فى الكشف عليها، حتى لو استدعى الأمر بقاءه طوال الليل متنقلاً بينها ليتأكد أن أحدًا لم يعبث بها.

Twitter: @alqareah

كان قد أحضر معه من البيت خمسة أوعية حافظة (ترامس) مُلئت إلى حافتها بالقهوة، وتركها فى سيارته على الموقع. وهكذا ضمن وفرتها، فلا مجال لنفادها.

إن حراسة موقع خالٍ ليس من أكثر الأعمال تشويقًا وسحرًا لرجل الشرطة. ويعلم الشرطى دلينكو هذا كل العلم.

ولكن هذه المهمة على درجة قصوى من الأهمية، فرئيس البوليس والضابط، والرائد، كلهم يعتمدون عليه للحفاظ على ملكية بيت الفطائر بعيدة عن أى اعتداء.

وقد وعى الشرطى دلينكو أنه إذا ما قام بأداء واجبه بشكل جيد فإن مستقبله فى قسم الشرطة العام لمدينة كوكنت كوف سيعاود تصاعده السريع. وسيكون بإمكانه، بكل سهولة، أن ينال فى المستقبل القريب وسامًا ذهبيًّا يعلن عن ترقيته كشرطى سرى.

مشى دلينكو مشيًا مجهدًا بين الظلال وهو يتصور نفسه فى (بدلة) رسمية مفصَّلة على مقاسه، بدلاً من البزة النظامية القاسية التى يرتديها. سيقود حينذاك سيارة مختلفة من (الكراون فيكتوريا) بلون الفحم الرمادى الغامق من (موديل) لايحمل أى علامة، يُحتفظ به فقط لرجال البوليس السرى. وسيحمل جراب مسدس يلبسه على كتفه بدلاً من الجراب المعلق بحزامه. وبينما كانت تنتابه أحلام اليقظة هذه مثل حصوله على جراب مسدس يلبسه على رسغه أيضًا وبداخله مسدس خفيف الوزن يليق به، وجد نفسه وقد قام فجأة بحركة بهلوانية فى الهواء انقلب فيها رأسًا على عقب ونزل على الجانب الآخر بالقرب من شجرة رملية.

وجالَ فى خاطره: أوه.. ليس مرة أخرى. تلمَّس ما حوله إلى أن عثر على مصباحه الكهربائى. لم يضئ فى أول الأمر. هزه عدة مرات متتالية، وأخيرًا ومضت ذبالة المصباح بنور خافت، وقد كان على يقين من أنه تعثر مرة أخرى بجحر من جحور البوم.

Twitter: @alqareah

نهض الشرطى دلينكو وسوَّى التغضنات عن سرواله وتمتم قائلاً: «لحسن الحظ أن كيرلى غير مستيقظ حتى لا يرى ما حدث لى».

أجابه صوت خشن مثير للأعصاب: «هيه».

ألقى الشرطى دلينكو يده اليمنى ليمسك بعقب مسدسه. ووجه بيده اليسرى شعاع نور مصباحه الكهربائى نحو المتعدِّى غير المرئى. أصدر رجل الدورية الأمر قائلاً: «اجمد فى مكانك. ولا تتحرك».

– «هيه، هيه، هيه».

جال شعاع نور المصباح الأصفر إلى الأمام وإلى الخلف، ولم يظهر أى شىء. يبدو أن هذا الصوت المكتوم، الذى تبدو عليه حشرجة من يعانى الربو، هذا الصوت المجهض قادم من العدم. تقدم الشرطى دلينكو بحرص خطوتين إلى الأمام ووجه نور المصباح داخل الحفرة التى زلت بها قدمه. برز من الظلمة زوجان من العيون البراقة السوداء بلون العنبر تتطلع مستقصية بحب استطلاع.

– «هيه».

أزاح رجل الدورية يده عن مقبض مسدسه وهبط باحتراس منحنياً نحو الحفرة وقال: «ماذا تريد؟ مرحبًا. أنتَ يا من هناك».

– «هيه ! هيه! هيه !» .

كان هناك فرخ بوم لا يزيد طوله على خمس أو ست بوصات، وما رأى الشرطى دلينكو فى حياته أى شىء بهذه الرقة والنعومة المميَّزتين. قالت البومة: «هيه». قال رجل الشرطة: «هيه».

بالرغم من أن صوته كان أشدَّ رزانةً من أن يحسن التقليد، وأكمل الشرطى: «أراهن على أنك بانتظار والديك ليأتيا بعشائك إلى البيت. أليس كذلك؟».

Twitter: @alqareah

ومضت العينان العنبريتان. وفُتح المنقار الأصفر ثم أُغلق مترقبًا، واهتز الرأس الصغير المستدير إلى الأمام والخلف.

ضحك الشرطى دلينكو بصوت عالٍ. كان منبهرًا بالطائر المنمنم. أطفأ نور المصباح الكهربائى قائلاً: «لا تقلق ياصغيرى، فلن أتسبب لك بالأذى».

ومن أعلى شعر بحركة رفرفة مسعورة، تبعها صوت: «هارش كش، كش، كتش». نظر الشرطى إلى أعلى وشاهد فى إطار سماء مضاءة بالنجوم، شكلين بجناحين مظللين. إنهما والدا فرخ البوم. كانا يحومان فى دوائر، إذ لا شك أنهما قلقان على صغارهما المرعوبة. وبادر الشرطى دلينكو بالتراجع عن الجُحر وهو يأمل أن الطائرين البالغين سيدركان إمكانية هبوطهما بأمان.

استطاع أن يرى على صفحة ذات زرقة رمادية للسماء شكليهما المعتمين يدوران هابطين قريبًا من الجحر أكثر فأكثر. ولذا سارع متراجعًا.

حتى بعد أن حطت البومتان، وحتى بعد أن شاهدهما وهما تختفيان مثل شبحين مكسيين بالريش داخل الجحر. استمر فى تقهقره متراجعًا إلى الخلف خطوة بعد خطوة إلى أن...

اصطدم بشىء شديد الضخامة والبرودة والصلابة. كاد يسحب أنفاسه منه. استدار حوله وأشعل نور مصباحه الكهربائى. إنها آلة نقل الأتربة. كان الشرطى دلينكو قد اصطدم مباشرة بإحدى آلات كيرلى. حدَّق فى هيكل الآلة المصنعة من الصلب وفرك كتفه المتورمة من تأثير الصدمة. لم يلحظ عدم وجود المقعد. وحتى لو لاحظ فما كانَ ليهتم.

كان رجل الشرطة مشغول البال وحزينًا جدًّا من أجل مصير البوم. أخذ ينقل بصره جيئة وذهابًا بين هذه الكتلة الصماء للآلة وبين جحر الطيور. ظل الشرطى دلينكو حتى هذه اللحظة مشدودًا ومنهمكًا فى تنفيذ واجبه المهنى. يحاول قلقًا

Twitter: @alqareah

حل مشكلة الأم باولا وإنقاذ مستقبله المهنى، فما سنحت له الفرصة للتفكير بأى أمر آخر.

والآن ها هو ذا يتفهم ويعى ما الذى سيحدث لهذا البوم الصغير إذا ما قام بواجبه على النحو الصحيح. وهذا ما جعله مثقلاً بالألم والحزن، وبأسف لا يمكنه الفكاك منه.

تأخر والد روى فى عمله؛ لذا لم تسنح لروى الفرصة لإخباره عن المعلومات التى حصل عليها من خلال الإنترنت عن البوم، ولا عن اختفاء الملفات الخاصة ببيت الأم باولا للفطائر من المجلس البلدى. بدا الأمر بالنسبة لروى مثيرًا للريبة والشك، ولذا أراد أن يشرك والده ليستمع لرأيه فى هذا الأمر.

ولكن ما إن جلس على مائدة الإفطار حتى وجد نفسه مصعوقًا وعاجزًا عن الكلام، فعلى ظهر الصحيفة التى كان يتصفحها والده بدت أمامه الأم باولا بذاتها بابتسامتها اللطيفة المحببة.

كان هذا إعلانًا للشركة يحتل مساحة نصف صفحة من الصحيفة كُتب بأسلوب استعراضى جرىء ينم عن الروح الوطنية.

يســـر بيـــوت الأم بـــاولا

لفطائر (البانكيك) الأمريكية

الشهيرة عالميًّا بمنتجها اللذيذ الشهى

(الفلاب جاك) المصنع من دقيق الشوفان: بأن تفتتح فرعها

الجديد لتصبح جارة لكم فى كوكنت كوف..

Twitter: @alqareah

ترحب بكم الأم باولا وتتشرف بالحضور شخصيًّا لمشاركتكم
فى حفل الافتتاح بالمهرجان الكبير الذى سيقام
غدًا على زاوية شارعى شرق
أوريول وودبيرى.
الموقع الجديد لرقم 469 من سلسلة مطاعمنا الراقية فى
الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وجامايكا.

أسقط روى ملعقته مبعثرًا العصيدة الغارقة بالسوائل فى جميع أنحاء المطبخ. سألته أمه: «ماذا بك ياعزيزى؟».

شعر روى بالغثيان وبانقباض فى معدته وأجاب: «لاشىء يا أمى» ثم لاحظت السيدة إيبرهاردت الإعلان أيضًا، فقالت: «أنا آسفة ياروى. من الصعب التفكير فى هذه الطيور المسكينة والتى لا حيلة لها. وأنا أعلم شعورك نحوها».

أدار السيد إيبرهاردت الصحيفة ليرى ما الذى يحدق فيه ابنه وزوجته. عبس وقال: «أظن أنهم يتعجَّلون العمل للبدء فى هذا المشروع».

نهض روى عن مائدة الطعام وقد ظهر عليه التشوش والحزن وقال: «من الأفضل لى أن أذهب، فأنا لا أريد أن أتأخر عن موعد الحافلة».

قالت له أمه: «أوه. لايزال أمامك متسع من الوقت. اجلس وأكمل إفطارك». هزَّ روى رأسه بلا مبالاة ثم التقط حقيبة ظهره من على الكرسى وقال: «ألقاكما على خير يا أمى ويا أبى».

Twitter: @alqareah

قال له والده: «انتظر يا روى. هل تريد أن تقول شيئًا؟».

- «ليس بالفعل يا أبى».

أطبق الأب الصحيفة وناولها له قائلاً: «ألا تريد أن تطلع على مجرى أحداث اليوم؟».

قال روى : «آه. كدت أنسى هذا»

فكل يوم ثلاثاء، يطلب السيد رايان من تلاميذه أن يصطحبوا معهم إلى المدرسة موضوعًا أو مقالاً عن مجرى أحداث اليوم حتى يعمل التلاميذ على مناقشته معًا فى الفصل. كان والده يعطيه الصحيفة فى هذا اليوم ليتصفحها فى الحافلة ويختار منها مقالاً متمشيًا مع أحداث الساعة.

عرضت عليه أمه قائلة: «ما رأيك؟ سأصطحبك إلى المدرسة» خمَّن روى أن والدته تشعر بالأسف من أجله بسبب الإعلان عن بيت الفطائر فى الصحيفة. فبرأيها أن البوم هالكة لا محالة، ولكن روى لم يكن مستعدًّا للتخلى عن الأمل فى إيجاد حل.

وضع الصحيفة داخل حقيبة الظهر وأجابها: «لا داعى. هل أستطيع أن أستعير آلة تصويرك؟».

- «خيرًا».

- «سأحتاج إليها فى الفصل». قال هذا منزعجًا لاضطراره للكذب وأضاف: «سأكون فى غاية الحرص. أعدك بهذا».

- «حسنًا خذها. فأنا لا أرى سببًا للرفض».

خبأ روى آلة التصوير الرقمية (ديجتال) بحرص بين كتبه وضمَّ أمه ولوَّح لوالده بيده مودعًا، وخطا خارج الباب. ظل يهرول مبتعدًا عن الموقف المعتاد الذى يركب منه الحافلة، وظل يركض طول المسافة نحو شارع غرب أوريول..

Twitter: @alqareah

الموقف الذى تستقل منه بياتريس ليب الحافلة. لم يكن قد وصل بعد أى من تلاميذ تراس ميدل. ولذا مضى روى نحو منزل بياتريس ليب وأخذ ينتظر على الرصيف أمام المنزل.

حاول أن يفكر فى حجة مقبولة تبرر سبب وقوفه فى هذا المكان، إذا ما لاحظ وجوده لونا أو ليون. كانت بياتريس هى التى خرجت أخيرًا من الباب الأمامى للمنزل. ركض روى نحوها بسرعة شديدة وكاد أن يوقعها على الأرض.

بادرها قائلاً: «ما الذى حدث لكِ البارحة؟ أين أخوك؟».

هل قرأت الصحيفة هذا الصباح؟ هل...؟».

وضعت بياتريس يدها على فمه لإسكاته وهى تقول: «تمهَّل يا راعية البقر. فلنذهب إلى الموقف لانتظار الحافلة. سنتحدث ونحن فى الطريق».

تحققت ظنون روى، فبياتريس لم تكسر سنها بسبب وقوعها من أعلى السلم فى البيت، ولكنها كسرتها وهى تعض على خاتم لتنتزعه من إحدى أصابع زوجة أبيها.

كان الخاتم مصنعًا من أحجار (التوباز) الصغيرة الساحرة والتى كانت أم بياتريس قد تخلَّت عنها حين انتقلت وأقامت بعيدًا.

كانت لونا قد اختلست الأحجار، حجرًا بعد الآخر من درج جوارب ليون ليب وصاغتها على شكل خاتم لبسته فى إصبعها القبيح. كانت بياتريس تعترض على السرقة وتقول متذمرة: «لو شاء أبى أن يقدمها للونا؛ لأعطاها إياها بنفسه».

بدا روى كالمصعوق وقال: «وهكذا قمتِ أنتِ بقرضه لتنتزعيه من إصبعها».

- «لم يكن الأمر سهلاً».

قالت بياتريس هذا وهى تقوم بتقليد وجه الشمبانزى، وأشارت إلى القطعة الحادة المتبقية والتى كانت نابًا من أنيابها. قالت مفسرة: «كُسِرَ رأس السن.

Twitter: @alqareah

سيقوم الطبيب بتركيب سن صناعية وستبدو وكأنها سن جديدة. من حسن الحظ أن لدى والدى تأمينًا على الأسنان».

- «هل كانت لونا واعية حين قمتِ بهذا؟».

قالت بياتريس: «نعم. ولكنها على الأرجح تمنت لو لم تكن، على أى حال ما الذى كُتب فى الصحيفة هذا الصباح، والذى جعلك تتصرف على نحوٍ غريب؟».

تأوهت بياتريس حين عرض عليها روى الإعلان الباهر عن حفل الافتتاح والمهرجان للبدء فى العمل بمشروع الأم باولا.

وقالت بمرارة: «إنَّ هذا هو ما يحتاج إليه العالم تمامًا.. ملهى آخر وضيع لفطائر (البانكيك)».

سألها روى: «أين أخوك الآن؟ هل تظنين أنه سمع بهذا؟».

ردَّت بياتريس بأنها لم ترَ أصابع المولية منذ يوم السبت الماضى وأضافت: «كان هذا حين- وأنت تعلم ما الذى يُشعِلُ الفتيل- كان يختبئ فى المرآب ينتظرنى لأُعطيه بعض القمصان النظيفة، حين خرج أبى من أجل صندوق مشروبات (ماونتن ديو). وقفا معًا يتبادلان الحديث بود وصداقة إلى أن ظهرت لونا وفجَّرت شجارًا كبيرًا».

قال روى: «وما الذى حدث بعد ذلك؟».

- «لقد هرب ككلبٍ لُسع بماءٍ مغلىٍّ، وفى أثناء ذلك احتدمت معركة حامية.

- «تلك المعركة التى حدثتنى عنها».

قالت بياتريس: «هذا صحيح. كان والدى يريد أن يعود أخى للسكن معنا من جديد، ولكن لونا أصرَّت بأنه لامجال لذلك لأنه بذرة سيئة. ما الذى تعنيه بذلك يا تكس؟ بذرة سيئة. على أى حال لايزالان متخاصمين لونا ووالدى. ولا يتحدثان معًا. ويبدو المنزل وكأنه على وشك الانهيار».

Twitter: @alqareah

بدت حالة بياتريس لروى كمن يعيش فى كابوس مستديم. سألها: «هل أنتِ بحاجة لمكان تختبئين فيه؟».

- «لا داعى. فوالدى يقول إنه يشعر بالراحة حين أكون معه».

ضحكت بياتريس وأردفت: «أخبرته لونا بأننى خطيرة ومجنونة، وقد يكون نصف ادعاءاتها صحيحًا».

حين وصلا إلى موقف الحافلة اندمجت بياتريس فى الحديث مع إحدى زميلاتها فى فريق كرة القدم وبدأتا فى التعليق على مباراة الليلة الماضية، والتى فازت بها بياتريس بعد نجاحها فى تصويب ضربة جزاء. التزم روى بالوقوف وراءهما ولم يشارك فى الحديث مع أنه شعر بنظرات الفضول ترمقه من بقية الأولاد، فقد كان، بعد كل شىء، الولد الذى تحدَّى دانا ماثرسون وبقىَ حيًّا.

انتابت روى الدهشة حين تمكنت بياتريس من التخلص من زميلتها فى الفريق لتجلس إلى جواره فى الحافلة.

وهمست له: «دعنى أرى هذه الصحيفة مرة أخرى».

وبينما كانت تتفحص إعلان الأم باولا قالت له: «أمامنا خياران يا تكس. إما أن نخبره وإما ألا نخبره».

- «أنا أقول علينا أن نفعل أكثر من الاكتفاء بإخباره».

- «هل تعنى أن ننضم إليه، كما قلتَ فى تلك الليلة؟»

قال روى: «إنهم جميعًا ضده. وهو بمفرده وليس أمامه أى فرصة».

- هذا أكيد. ولكن من الممكن أن ننتهى نحن الثلاثة إلى الإصلاحية».

- لن يحدث إذا ما تصرفنا بهدوء.

نظرت إليه بياتريس بفضول وقالت: «هل لديك خطة يا إيبرهاردت؟».

أخرج روى آلة تصوير والدته من حقيبة الظهر وعرضها على بياتريس.

Twitter: @alqareah

قالت له: «إننى أستمع».

وهكذا قام روى بإخبارها بخطته.

أضاع الحصة لأنه استُدعىَ إلى مكتب نائبة الرئيس.

بدت الشعرة الطويلة والمتفردة على الشفة العليا للآنسة هينيبين أكثر تجعدًا ولمعانًا مما شاهدها فيها روى آخر مرة. ومن الغريب أن لون الشعرة الآن أصبح أشقر بدلاً من اللون الأسود الفاحم الذى كانت عليه. تساءل روى بينه وبين نفسه: هل من الممكن أن تكون الآنسة هينيبين قد صبغتها؟

بادرته قائلة: «لقد أُحِطنا علمًا بأن شابًّا صغيرًا هرب من غرفة فى قسم الطوارئ فى المستشفى يوم الجمعة الماضى. شاب صغير سُجل فى المستشفى منتحلاً اسمك للتضليل. ما الذى يمكنك أن تخبرنى به بهذا الشأن ياسيد إيبرهاردت؟»

قال روى بمنتهى البساطة: «أنا لا أعرف اسمه الحقيقى». كان أصابع المولیت حكيمًا فى عدم الإفضاء باسمه، دون أن يدرى أنه قد أنقذ روى من الاضطرار للنطق بكذبة أخرى.

- «هل تتوقع أن أصدق ما تقول؟»

- «إننى صادق يا آنسة هينيبين».

- «هل هو تلميذ فى تراس ميدل؟»

قال روى: «كلا يا سيدتى».

كان من الواضح أن نائبة الرئيس قد خاب رجاؤها. وأصيبت بالإحباط. من الجلى أنها كانت تأمل فى رفع دعوى قضائية على الولد الهارب.

- «إذن. ما اسم المدرسة المقيد بها صديقك الذى لا اسم له ياسيد إيبرهاردت؟»

Twitter: @alqareah

جالَ فى فكر روى: «ها هى ستبتدئ بخلق المشاكل». وأجاب: «أظن أنه يسافر كثيرًا يا آنسة هينيبين».

- «إذن فهو تلميذ من المنازل؟».

- «يمكنك قول هذا».

أمعنت مس هينيبين النظر فى روى بدقة وهى تربت بسبابتها الهزيلة على الشعرة اللامعة فوق فمها.

اقشعر روى متقززًا.

بادرته قائلة: «هل تعلم ياسيد إيبرهاردت أن عدم التحاق ولد فى سنك بالمدرسة يعتبر غير قانونى، وأن هذه التهمة سيعاقب عليها، وتسمى التسكع بالشوارع والتغيب عن المدرسة؟».

- «أووه. أعرف هذا».

«إذن، ربما ترغب فى إبلاغ صديقك بهذه التهمة». ثم أضافت نائبة الرئيس بنبرة لاذعة: «هل لديك فكرة أن لدى مدارس المقاطعات فرقًا خاصة من الشرطة، مهمتها البحث عن المتغيبين عن الدراسة والمتسكعين فى الشوارع؟ وأنا أؤكد لك أنهم يحسنون القيام بمهامهم».

كان رأى روى أن هذه المهمة بالنسبة للشرطة لن تكون سهلة فى اقتفاء أثر أصابع المولييت الذى يحسن الاختفاء خلال الغابات والأشجار الاستوائية، ولكن هذا الاحتمال جعله، على أى حال، قلقًا على صديقه، فلنفرض أن لديهم كلابًا ضخمة مدربة لتعقب طريدى العدالة، أو طائرات هليكوبتر؟

اقتربت الآنسة هينيبين منه أكثر لاويةً عنقها النحيل مثل الصقر، وقالت له: «أنتَ الذى سمحت له باستخدام اسمك فى المستشفى أليس كذلك يا إيبرهاردت؟ ساعدت هذا المارق المنتهك للقانون باستعارة اسمك من أجل تنفيذ أهدافه المشبوهة».

Twitter: @alqareah

- «لقد عضته كلاب شرسة وكان بحاجة لطبيب».

- «وهل تنتظر منى أن أصدق قصتك الملفقة هذه؟».

كل ما استطاع روى فعله هو أن يهز كتفيه مستسلمًا وهو يقول: «أيمكننى الذهاب الآن؟».

قالت الآنسة هينيبين: «لنا لقاء آخر أنا وأنت، لنعد للحديث فى هذا الموضوع. فأنا أعلم تمامًا حين أشم رائحة فأرٍ غير طيبة».

فنبهت روى إلى تلك الشعرة فوق شفتها.

فى الفسحة المخصصة للطعام استعار روى دراجة جاريت وقادها نحو فناء الخردة. لحسن الحظ لم يشاهده أحد وهو يغادر المدرسة، فالنظام المدرسى يمنع منعًا باتًّا مغادرة المدرسة بدون طلب إذن.

كان أخو بياتريس غير الشقيق يأخذ غفوة حين اقتحم روى بقوة شاحنة جوجو للمثلجات. كان الولد يرقد عارى الجذع وقد امتلأ جسمه بلسع البعوض. تلوَّى ليخرج من كيس نومه وأخذ الصحيفة التى ناولها له روى.

انتظر روى منه ردة فعل انفعالية تجاه خبر مراسم الافتتاح والمهرجان الكبير، ولكن أصابع المولييت ظل بشكل مثير للدهشة هادئًا كما لو أنها أخبار كان يتوقعها. قام بحرص بقطع الإعلان وأخذ يتفحصه كما لو أنه خريطة قيمة. وتمتم بهدوء: «عند الظهر. أليس كذلك؟».

قال روى: «هذا يعنى أنه بعد أربع وعشرين ساعة فقط من الآن، فماذا نصنع؟».

- «ما الذى تعنيه بصيغة الجمع؟».

- «أنت وأنا وبياتريس».

- انس الأمر يا رجل. فأنا لا أنوى توريطكما فى هذا العبث.

انتظر.. أنصت إلىَّ.

Twitter: @alqareah

قال روى بإلحاح: «لقد سبق وتحدثنا بالأمر أنا وبياتريس. نحن نريد مساعدتك فى إنقاذ البوم وقد تورطنا بالفعل.

أخرج آلة التصوير وأعطاها للولد قائلاً: «سأشرح لكَ كيف تعمل. هذا سهل جدًّا».

- «وما الفائدة من الصور؟».

- «إذا استطعت التقاط صورة لواحد من هذه الطيور، فلعلنا نتمكن من منع العاملين على مشروع الفطائر من الاستمرار فى حفر الأرض وتسويتها».

- «آه. يبدو أنك مهتم جدًّا بالقضية؟».

- «أنا واثق مما أقول. فقد اطلعت من خلال شبكة الإنترنت وعلمت أن هذه الفصيلة من البوم نادرة ومحرم قتلها. ومن يعبث بجحورها يعتبر متعديًا على القانون، الذى يعمل على حمايتها، ما لم يمتلك ترخيصًا خاصًّا يسمح له بذلك.

وقد اكتشفتُ أن ملف شركة الأم باولا الذى يضم الأذون والتراخيص اللازمة مفقود وغير موجود فى المجلس المحلى. فما الذى يوحيه إليكَ مثل هذا الخبر؟».

أمسك أصابع المولية بآلة التصوير بين أصابعه متشككًا وقال: «إنها أخبار مثيرة للخيال. ولكننا تأخرنا كثيرًا. لا مجال للاعتماد على الخيال الآن. إنه وقت العمل الإيجابى.

وأصرَّ روى: «انتظر. إذا ما تمكنا من الحصول على برهان وإثبات بوجود هذه الطيور فسنجبرهم على إغلاق المشروع. ما تحتاجه مجرد صورة قذرة لفرخ بوم صغير».

قال الولد: «من الأفضل لك أن تنصرف بعيدًا، فأمامى عمل علىَّ أن أنجزه».

- «ولكنك لن تستطيع محاربة شركة الفطائر بمفردك. هذا مستحيل. ولن أغادر المكان حتى تغيِّر رأيك».

- «قلت لك: ابعد عن هذا المكان فى الحال». قالها أصابع المولية، وقبض على روى بذراع واحدة، ولفَّه لفة كاملة وطوَّح به خارج شاحنة المثلجات.

Twitter: @alqareah

سقط روى على أطرافه الأربعة فوق الحصى الساخن وقد انتابه بعض الذهول. كان قد نسى مدى قوة الولد.

ووجَّه القول إلى روى: «سبق أن تسببتُ لك ولأختى فيما يكفى من المشاكل. إنها معركتى من الآن وصاعدًا».

وقف أخو بياتريس غير الشقيق على باب الشاحنة حازمًا أمره، وقد توردت وجنتاه وبرقت عيناه، يحمل فى يده اليمنى آلة تصوير السيدة إيبرهاردت.

أشار روى إلى الآلة وقال: «احتفظ بها الآن».

- «إذا أردت الحقيقة، فأنا لا أتخيل أبدًا كيفية استعمال مثل هذه الآلة البلهاء».

- «دعنى أشرح لكَ» ...

قال الولد وهو يهز رأسه رافضًا: «لا. عد إلى مدرستك. لدىَّ عمل علىَّ القيام به».

انتصبَ روى على قدميه، وأزال الحصى العالق بسرواله. وقد شعر بغصة فى حنجرته، لكنه كان عازمًا على ألا يبكى.

قال له الولد الهارب: «سبق أن فعلت الكثير من أجلى. أكثر مما لى الحق فى توقعه».

كان هناك ما يقرب من مليون فكرة أراد روى أن يعبِّر عنها. إلا أنه اقتصر على التفوه بكلماتٍ كانت: «حظ سعيد فى الغد».

غمز أصابع المولييت بعينه، ورفع إبهاميه راجيًا الانتصار، وهو يقول: «إلى اللقاء يا روى».

احتوت الصحيفة التى أخذها روى من والده على عدة مواضيع مهمة، كان من الممكن اختيارها للتعبير عن الأحداث الجارية.

هناك خبر يتحدث عن إنقاذ جندى من قوات الأمن من ذوى القبعات

Twitter: @alqareah

الخضراء، كان مفقودًا فى جبال باكستان، وموضوع آخر عن طبيب فى (بوستون) اخترع دواء جديدًا لعلاج مرض اللوكيميا (سرطان الدم). وفى مدينة (نابل) فى مقاطعة (فلوريدا) قُبض على عضو لجنة حكومية من سكان المقاطعة لأخذه رشوة بمبلغ 5000 دولار من مقاول إنشاء، لصور كان أخذها لملاعب «المينى جولف».

وحين جاء دور روى ليقدم موضوعه فى فصل السيد رايان، لم يختر أى خبر من تلك الأخبار الحيوية، وبدلاً من ذلك أمسك بالصحيفة وأشار إلى الصفحة المنتزعة حيث كان إعلان الأم باولا، وبدأ حديثه قائلاً: «على الأغلب أكثر الموجودين فى هذا الفصل مغرمون بفطائر (البانكيك). وأنا أيضًا أعلم أننى أحبها، وحين سمعت لأول مرة عن قرب افتتاح فرع جديد هنا فى كوكنت كوف أحسست أنه شىء ظريف بالفعل».

هزَّ عدة تلاميذ رءوسهم وهم يبتسمون ويوافقونه فى الرأى وربتت إحدى الفتيات على موضع معدتها تعبيرًا عن رغبتها فى تذوق هذه الحلوى اللذيذة.

أردف روى: «حتى حين اكتشفتُ المكان الذى ينوون إقامة البناء عليه، تلك الأرض الخلاء التى تقع على زاوية شارعى وود بيرى وشرق أوريول لم أجد أى خطأ فى الفكرة. وبعدها صحبنى صديق لى ذات يوم إلى هذه الأرض وجعلنى أرى شيئًا بدَّل أفكارى تمامًا».

توقف بقية التلاميذ عن الثرثرة فيما بينهم وأعاروه آذانًا صاغية، فما استمعوا من قبل إلى الولد الجديد وهو يتحدث بمثل هذه الإفاضة.

وواصل روى سرد قصته: كان ما رأيت بومة بهذا الطول. ورفع إصبعين من أصابعه الواحدة فوق الأخرى بما يساوى ثمانى إلى تسع بوصات. ليبين طول البوم، واستطرد: حين كنت أعيش مع عائلتى هناك فى الغرب، كان بإمكاننا رؤية الكثير من البوم، ولكنها لم تكن أبدًا بهذا الصغر. وما شاهدت لم يكن فرخًا صغيرًا، بل كان مكتمل النمو. كان يبدو مستقيمًا وجادًّا مثل دمية لأستاذ صغير.

Twitter: @alqareah

ضحك الفصل للتشبيه.

واستطرد روى قائلاً: «يُعرف هذا البوم باسم البوم الحفار؛ لأنها فى الواقع تعيش تحت الأرض فى حفر وسراديب قديمة قام بحفرها السلاحف وحيوان المدرع (إرماديليوز Armadillos)(*). وقد جاء زوجان من فصيلة هذا البوم وانتشرا فى هذه الرقعة من الأرض ما بين شارعى وود بيرى وشرق أوريول، وقاما ببناء عُشيهما فى تلك الجحور لتربية صغارهما فى داخلها».

تحرك بعض التلاميذ وقد بدا عليهم الاضطراب والارتباك، بدأ بعضهم يتهامسون فى لهجة قلقة متسائلة، ونظر البعض الآخر للسيد رايان الذى جلس يمعن الفكر فيما سمع وقد أراح ذقنه بين يديه.

وقال لروى برقة: «هذا موضوع ممتاز يا روى يصلح لمادة التشريح وعلم الحيوان، أو كموضوع شائق للمواد الاجتماعية. إلا أنه قد لا يصلح كموضوع يتعلق بأحداث الساعة».

قاطعه روى قائلاً: «أوه. بل هو بالقطع من صميم الأحداث الجارية، فسيحدث فى ظهر الغد يا سيد رايان».

- «ما الذى سيحدث؟».

قال روى: سيبدءون فى الغد فى وضع حجر البناء لإنشاء بيت الفطائر. ستقام حفلة كبيرة ومهرجان. شىء من هذا القبيل.

وستحضر السيدة التى تقوم بتمثيل دور الأم باولا فى إعلان التليفزيون، وكذلك رئيس البلدية. هذا الذى ذكر فى الصحيفة».

رفعت فتاة ذات شعر أحمر، تجلس فى الصف الأمامى، يدها وسألت: «ألم تذكر الصحيفة شيئًا عن البوم؟».

(*) المدرع: حيوان ثديى يعيش فى أمريكا.

Twitter: @alqareah

فقال روى: «نعم، لم تذكر شيئًا».

وقال الولد ذو البشرة المنمشة الذى يجلس فى الصف الأخير من الفصل: «إذن ما الذى سيحدث لها؟».

نظر روى نحو السيد رايان ثم قال: «سأقول لكَ ما الذى سيحدث... ستعمل الآلات على دفن الجحور بما فيها».

صرخت الفتاة ذات الشعر الأحمر: «مستحيل!». وانفجر الفصل فى نقاش هائج إلى أن طلب السيد رايان من كل واحد منهم الالتزام بالهدوء حتى يتم «روى» ما يريد قوله.

استرسل «روى» قائلاً: «قد تحاول البوم مكتملة النمو أن تطير هاربةً. وقد تفضل البقاء فى الجحور لحماية صغارها».

صرخ الولد ذو البشرة المنمشة قائلاً: «لكنها ستموت!».

وتساءلَ ولد آخر: «كيف استطاع القائمون على بيت الفطائر الإفلات والتحايل على القانون؟».

قال روى: «لا أعلم. ولكن هذا تصرف غير مشروع. وعن غير حق».

وهنا اعترض السيد رايان بشدة قائلاً: «عليك الالتزام يا روى. ما الذى تعنيه بأن هذا عمل غير مشروع؟ يجب أن تكون حريصًا حين تتفوه بمثل هذه الادعاءات الخطيرة».

ونهض روى ساخطًا، وبدأ يفسر أن هذه الفصيلة من البوم الحفار تخضع لحماية الولاية وللقوانين الفيدرالية. وعليه فإن الإضرار بها أو حتى إفساد نشاطها، دون الحصول على تراخيص حكومية خاصة، يعتبر تعديًا على سيادة القانون.

قال السيد رايان: «حسنًا هذا شىء رائع. ولكن ما تعليق شركة الفطائر بهذا الشأن؟ لاشك لدىَّ أن لديهم كل الأذون والتراخيص المطلوبة».

Twitter: @alqareah

وقاطعه روى: «إنَّ الملف الذى يثبت هذا ليس موجودًا فى البلدية، فهو مفقود. وقد حاول رئيس العمال على الموقع إقناعى بعدم وجود أى بوم فى الملكية، ولا حتى بومة واحدة. وهذه كذبة واضحة».

عاد الفصل للأزيز والغمغمة من جديد.

وتابع روى قوله: «وهكذا سأذهب غدًا، فى ساعة الغداء إلى هناك من أجل... حسنًا، فقط لأننى أريد أن أبيِّن للقائمين على مشروع الأم باولا، أن هناك شخصًا فى كوكنت كوف يهتم بأمر هذه الطيور».

وتنحنح الأستاذ قائلاً: «ذلك موقف صعب يا روى.. إننى أعرف مدى النفور والإحباط اللذين تشعر بهما، ولكن ينبغى علىَّ أن أذكركَ أنه لا يجوز - خاصةً للتلاميذ - أن يتركوا مدرستهم».

وعلَّقَ روى: «سوف آخذ إذنًا من والدىَّ».

فابتسم الأستاذ قائلاً: «إنها الطريقة المثلى».

وترقب الفصل أن يضيف الأستاذ المزيد. ولكنه لم يفعل.

قال روى: «لاحظوا. إننا نقرأ كل يوم عن أشخاص أسوياء من الأمريكيين العاديين الذين دخلوا التاريخ لمواقف نضالية، آمنوا بها وحاربوا من أجلها.

ربما نتحدث هنا فقط عن بعض صغار البوم الضعيفة، وإنى لأعلم أن الجميع مغرمون ومهووسون بفطائر الأم باولا، ولكن ما يجرى هناك على الساحة خطأ واضح، وخطأ شنيع».

شعر روى بحلقه جافًا كالتراب وبسخونة فى جوفه. فتمتم: «على أى حال، موعدنا فى الغد. غدًا عند الظهيرة». وعاد للجلوس على مقعده.

عمَّ الفصل سكون، وخيم صمت طويل وثقيل، ضجَّ فى أذنى «روى» وكأنه قطار هادر.

Twitter: @alqareah

الفصل التاسع عشر

قال الشرطى دلينكو لكيرلى: «أنا قلق بشأن البوم».

- «أى بوم؟».

خيَّم الظلام على موقع البناء، وانقضَّت طيور السنونو الخطاف تحوم جيئة وذهابًا تلاحق البعوض. لقد كان الغد. هو اليوم المهم.. يوم الاحتفال.

قال رجل الدورية: «دعك من هذا. لقد شاهدتها بعينى». واستطرد: «ألا يمكننا إيجاد طريقة ما، كنقلها إلى مكان آمن وبعيد؟».

قال كيرلى: «هل تريد نصيحتى؟ لا تعرها اهتمامًا. وهذا ما أقوم به بالفعل».

- «لا أستطيع. وهنا تكمن المشكلة».

هزَّ كيرلى إبهامه نحو المقطورة وقال: «ألا تريد أن تأخذ إجازة؟ لقد استأجرت الجزء الجديد من(جاكى شان)».

لم يستطع الشرطى دلينكو أن يستوعب كيف يمكن لرئيس العمال ألا يبالى بدفن جحور البوم، وتساءل: تُرى هل يتظاهر فقط بعدم الاهتمام؟ وسأله: «هل أخبرتهم بوجود البوم على هذه الأرض؟».

- «أخبر من؟»

- «شركة الفطائر. ربما كانوا لا يعلمون».

Twitter: @alqareah

صرخ كيرلى ساخطًا: «هل تسخر منى؟ إنهم يعلمون كل شىء.. ليست هذه مشكلتنا، حتى لو أردنا إنقاذهم لن يسمحوا لنا. ليس هناك ما نفعله».

مضى كيرلى إلى مقطورته بينما استأنف الشرطى دلينكو دورته التفتيشية على أرض الموقع. كان كلما مرَّ بالقرب من أحد الجحور وجه ضوء مصباحه الكهربائى إلى داخله.

ولكنه لم يرَ أى بوم، تمنى لو أن الطيور أحست- بالفعل- بالخطر وهربت بعيدًا. بالرغم من أن هذا بعيد الاحتمال.

بعد منتصف الليل بقليل سمع الشرطى دلينكو صوت كيرلى يخرج من مقطورته مناديًا عليه. قال رئيس العمال إنه صحا من النوم على جلبة مثل صوت شخص يتسلق السياج بحث رجل الشرطة فى أرجاء المكان.

بعد أن شرَّع مسدسه. فتش بدقة على سقف المقطورة وتحتها. كان كل ما عثر عليه خطًّا من آثار أقدام حيوان (الأبوسوم)(*) على الرمال، قال كيرلى متزمِّرًا: «يبدو أن هذه آثار أقدام لمخلوق أكبر من الأبوسوم».

وبعدها، وبينما كان الشرطى دلينكو يحضر العبوة الثالثة من (ترامس) القهوة من سيارة الدورية، خُيِّل إليه أنه رأى سلسلة من الومضات المشعة البيضاء الصغيرة على الجانب الآخر من الملكية، ذكرته بالفرقعات اللامعة التى شاهدها بعد حادث تصادم للسيارات فى ساعة متأخرة من الليل، حينما كان المصور المسئول فى قسم الشرطة يلتقط صورًا للحادث.

ولكن حين ركض الشرطى دلينكو إلى المكان الذى انطلقت منه الومضات لم يجد شيئًا غير عادى. وفكَّر لعله يكون تفجُّرًا ناتجًا عن برق منعكس من الغيوم المنخفضة.

(*) الأوبوسوم: حيوان أمريكى من ذوات الجراب يتظاهر بالموت عندما يحدق به الخطر.

Twitter: @alqareah

مضت بقية الليلة دون أحداث مهمة. وظل رجل الدورية صاحيًا يقظًا.

سأل روى والدته وهما على مائدة الإفطار إن كان بإمكانه التغيب عن المدرسة خلال فترة تناول طعام الغداء. تخيل أنها ستكون أكثر ليونة من والده، ولكنها أدهشته بقولها: «لا أظن أن حضور حفل افتتاح الأم باولا فكرة صائبة».

- «ولكن يا أمى».

- «دعنا نر ما هو رأى والدك؟».

فكر روى فى سرِّه: حسنًا هذا كفيل برفض الفكرة تمامًا ومنعه من الذهاب.

ما إن جلس السيد إيبرهاردت إلى المائدة حتى أبلغته السيدة إيبرهاردت بطلب روى. قال السيد إيبرهاردت: «بالطبع يمكنه التغيب فى فرصة الغداء».

«ولمَ لا؟ سأكتب لك إذنًا بالموافقة».

تدلى فك روى، وظل لفترة فاغر الفم من الدهشة.

ما كان ينتظر أن يكون رد فعل والده إيجابيًّا.

قال السيد إيبرهاردت: «ولكن عليك أن تعدنى بأنك ستُحسن السلوك مهما شعرت بالضيق أو بالغضب وتعكُّر الدم».

- أعدك يا أبى.

بعد ذلك، وضع الوالد دراجة روى فى صندوق سيارته واصطحبه إلى تراس مدل، وحين أنزله أمام باب المدرسة سأله السيد إيبرهاردت: «هل تظن أن صديقك سيحضر الاحتفال اليوم؟ أعنى أخا بياتريس غير الشقيق».

قال روى: «على الأرجح».

- «هذه مخاطرة منه».

- أعلم يا والدى، وقد حاولت أن أنبهه.

Twitter: @alqareah

قال السيد إيبرهاردت بحزم: «وأنتَ أيضًا. خذ حذركَ. وتصرفْ بذكاء».

- «سمعًا وطاعةً يا سيدى».

كانت بياتريس ليب تنتظر خارج فصل روى. كان شعرها الأجعد رطبًا كما لو أنها خرجت للتو من الاستحمام. قالت له: «ماذا ستفعل؟».

- «حصلتُ على إذن بالتغيب. وماذا عنكِ أنت؟»

عرضت عليه بياتريس منشفة ورقية مجعَّدة، كُتب عليها بخط أخرق وبقلم حبر أحمر. برَّرت بياتريس ذلك بقولها: «أيقظتُ أبى لأطلب منه كتابة إذن بالتغيب. لم يكن على وعى بنفسه. ربما وقَّع على أى ورقة أقدمها له، كان بودى أن أعطيه شيكًا ليوقعه بألف دولار».

قال روى: «يبدو أننا سنذهب جميعًا ساعة الظهيرة».

ثم خفض صوته وأضاف: «لقد ذهبت لرؤية أخيك، فألقانى خارج الشاحنة»

هزت بياتريس كتفيها وهى تقول: «ماذا باستطاعتى أن أقول؟ إنَّ من الصعب التعامل معه».

بحثت فى كيسها وأخرجت آلة تصوير والدة روى وهى تقول: «جاء إلى البيت البارحة فى ساعة متأخرة من الليل بعد أن مضى والدى ولونا إلى السرير. وترك الآلة وهو يقول إنه التقط الصور التى طلبتها. حاولت أن ألقى نظرة عليها. ولكننى لم أستطع أن أشغل هذا الشىء اللعين».

بدون أن ينطق بأى كلمة اختطف روى آلة التصوير منها وخبأها فى درجه وأقفل عليها.

قالت له بياتريس قبل أن تذوب فى مجرى جدول التلاميذ وتختفى داخل الرواق: «تفاءل خيرًا».

Twitter: @alqareah

أمضى روى بقية الصباح وهو تائه، مشتت الفكر، يتساءل إن كان من الممكن لخطته أن تنجح بالفعل.

* * *

فى الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة صباحًا دخلت سيارة (ليموزين) سوداء إلى الأرض الخلاء التى تقع عند تقاطع شارعى وولد بيرى وشرق أوريول. نزل السائق من السيارة وفتح الأبواب. لبضع دقائق لم يحدث شىء. ثم ظهر للعيان رجل طويل ذو شعر ممسوح فضى ونظر شزرًا نحو الشمس. كان يلبس سروالاً أبيض مكويًا بعناية، وسترة كحلية طُرز على جيبها الصدرى شعار الشركة.

تطلع الرجل إلى ما حوله متبرمًا بنظرة تنم عن نفاد صبر واستعلاء من وراء نظارته الشمسية الملونة. أشار بأصابعه بحزم إلى الشرطى ديفيد دلينكو الذى كان يقوم بفتح سيارة الدورية لدخولها.

لم ينتبه رجل الدورية إلى إشارة الرجل. كان يشعر بالجهد بعد عمل دام لمدة أربع عشرة ساعة متواصلة على موقع البناء. كان كيرلى قد ذهب إلى منزله ليحلق ذقنه ويأخذ حمامًا. ولذا بقىَ الشرطى دلينكو ليحرس آلات حفر الأرض فى غيابه، والتى أُعيد تجهيزها بمقاعد جديدة.

والآن وبعد أن عاد كيرلى - رئيس العمال - وقد أصلح من هندامه بسترة جديدة وربطة عنق مزينة بكل شىء. جاء دور رجل الشرطة ليغادر كل هذه البلاهة. لم تكن لديه الرغبة ليبقى من أجل حفل الافتتاح الأحمق الذى لا يمثل له شيئًا.

ونادى عليه - بإصرار - الرجل ذو الشعر الفضى قائلاً: «أيها الشرطى!».

اقترب الشرطى دلينكو من سيارة (الليموزين) وسأل: «هل من خطأ ما؟» عرّف الرجل نفسه على أنه تشاك ماكل نائب رئيس لشىء أو لآخر لبيوت الأم

Twitter: @alqareah

باولا لفطائر البانكيك الأمريكية المساهمة. قال هذا بلهجة توحى بالثقة لمن يخاطبه. وأضاف: «نحن بحاجة لمساندة حكيمة وحذرة هنا».

أخبره الشرطى دلينكو قائلاً: «حسنًا. ولكنى أنهيت وردية عملى الآن. ويسعدنى أن أطلب لك شرطيًا غيرى من الوحدة» كان مرهقًا من قلة النوم، ولم تتبق لديه أى طاقة للاستمرار فى أى حديث.

سأله تشاك ماكل: «هل يمكنك أن تخمن من الذى يجلس هناك فى هذه السيارة؟». قال هذا وهو يشير نحو (الليموزين).

- «كلا يا سيدى»

- «الآنسة كمبرلى لو ديكسون».

قال الشرطى دلينكو بصوت أجوف، خالٍ من أى انفعال: «هذا شىء لطيف».

- «كمبرلى لو ديكسون بذاتها».

- «حسنًا. وما الذى يعنى هذا؟».

قرَّب تشاك ماكل وجهه المتورد من الشرطى وقال: «ليس لديك أى فكرة فيما يبدو عمًا أتحدث أيها الشرطى. أليس كذلك؟».

- «ولا أدنى فكرة. لم أسمع قط باسم هذه السيدة».

أدار نائب رئيس الشركة عينيه وواصل كلامه ليشرح للشرطى من هى كمبرلى لو ديكسون، ولمَ تجشمت عناء السفر كل هذه المسافة من (بيفرلى هيلز) فى كاليفورنيا لتأتى إلى كوكنت كوف فى فلوريدا.

ثم قال تشاك ماكل: «وهى الآن، وفى هذه اللحظة، بحاجة لاستعمال غرفة الزينة».

ردَّد الشرطى دلينكو ساخرًا: «غرفة زينة؟».

Twitter: @alqareah

- «مكان لتعيد تزيين وجهها. مكان لتنعش نفسها».

انفجر تشاك ماكل ساخطًا بعد أن نفد صبره وقال: «هل هذه المعلومة مما يصعب إدراكُهُ أيضًا أيها الشرطى؟ دعنى أصُغ هذا فى لغة يمكنك فهمها. فهى بحاجة إلى وعاء لقضاء حاجتها (مرحاض). هل فهمت الآن؟».

أشار الشرطى دلينكو نحو مقطورة كيرلى وهو يقول: «فهمت الآن. اتبعنى» حين أطلت كمبرلى لو ديكسون خارجة من الليموزين، هرع الشرطى دلينكو لرؤيتها، وقد بدت امرأة فى ريعان الشباب مقارنة بالجدة العجوز المجعدة التى تظهر فى الإعلانات التجارية على التليفزيون. كانت كمبرلى لو ديكسون تتميز بعينين خضراوين لامعتين، وشعر كثيف بلون بنى محمر، وبشرة ناعمة بيضاء كاللبن. كانت تبدو امرأة جميلة، جذابة ومثقفة. هذا ما خطر للشرطى دلينكو حين رآها.

ثم فتحت فمها.

وأعلنت فى صوت مزعج كورق الصنفرة: «أريد أن أرى. تقدَّم لتدلنى على المكان أيها اللاعب البارع».

حملت الممثلة حقيبة زينة من الجلد على إحدى كتفيها. كانت تلبس حذاء بكعب عالٍ. وتنورة (جونلة) سوداء وقميصًا حريريًّا بلون باهت.

صعق كيرلى حين فُتِحَ باب المقطورة وشقت كمبرلى لو ديكسون طريقها دون أن تتفوه بكلمة، ثم تجاوزته ومضت نحو دورة المياه.

سألته بصوت أجش: «هل يمكننى أن أبدل ثيابى هنا؟».

- «تبدلين ماذا؟ أنت تبدين فى غاية الأناقة والجمال».

قاطعه الشرطى دلينكو: «تبدل ثيابها لتبدو على شكل الأم باولا. لقد وصلت

Twitter: @alqareah

السيدة مع رجل، وهو يريد أن يعلم إن كان بإمكانها استخدام المقطورة كغرفة لتبديل الثياب».

ملأ الرجل الضخم مدخل الباب وتبعته عصفة ريح مشبعة برائحة عطر مزيت. ودمدم هادرًا بصوت مألوف وساخر: «لابد أنك الوحيد والأوحد لروى برانيت».

انكمش كيرلى متذللاً. وابتعد الشرطى عن الطريق وهو يقول: «هذا السيد مسئول فى شركة بيت فطائر (البانكيك)».

قال كيرلى: هذا ما خمنته. ومدَّ يده اليمنى إلى تشاك ماكل الذى حدَّق بها كما لو كانت سمكة ميتة ملطخة بالطين.

وقال تشاك ماكل: «أرجوك. طمئنى يا سيد برانيت بأنك لن تعطينى أخبارًا سيئة تعكر هذا الصباح الاستوائى الرائع. قل لى إن كل شىء هنا فى كوكنت كوف على ما يرام».

قال كيرلى: «نعم يا سيدى. أمضينا الليلتين الماضيتين هنا على هذه الملكية، أنا وهذا الشرطى. وقد عمَّ السلام كما لو كنا فى بيت للعبادة.. أليس هذا صحيحًا يا ديفيد؟».

قال الشرطى دلينكو: «هذا صحيح تمامًا».

حرَّك تشاك ماكل نفسه بعيدًا عن الظلال ورمق رجل الدورية متشككًا وقال:

لا يمكن أن يصادف وتكون أنت رجل الشرطة نفسه، المتميز جدًّا، الذى استهتر بواجبه وأخذ غفوة بسيارة الدورية فى أثناء ساعات العمل، بينما كان المخرِّب ينزع أوتاد المعاينة عن أرضنا. هل يمكن أن تكون هذا الشرطى نفسه؟»

على قدر ما كان الفضول متملكًا من الشرطى دلينكو لرؤية كمبرلى لو ديكسون وهى تظهر بهيئة الأم باولا، أصبح الآن يتمنى بنفس القدر لو كان أبعد ما يكون عن هذا الموقع.

Twitter: @alqareah

استمر ماكل فى استهزائه قائلاً: «هل أنت ذلك العبقرى الذى تسببتْ لنا عادات نومه المستهترة فى نشر مقال غير عادل لطّخ الاسم النظيف والسمعة الطيبة لشركة الأم باولا؟ هل هو أنت؟».

قال كيرلى: «نعم إنه هو».

وجه الشرطى دلينكو إلى رئيس العمال نظرة غضب قبل أن يتوجه بالحديث إلى السيد ماكل قائلاً: «أنا فى أشد الأسف على كل ما تسببت لكم فيه يا سيدى».

وأسَرَّ فى نفسه «فى الواقع أننى أشعر بالأسف على نفسى أكثر مما أشعر به نحوكم».

علّق تشاك ماكل قائلاً: «بلا ريب، فمن المذهل أنك لاتزال محتفظًا بوظيفتك. يبدو أن رئيس البوليس رجل ذو قلب رقيق سمح أو أنه يائس من العثور على رجال أكفاء».

وأخيرًا تفتق ذهن كيرلى عن رد إيجابى يساهم فى تحسين صورة الشرطى فقال: «لقد كان الشرطى دلينكو هو الذى ساعدنى فى القبض على السارق فى تلك الليلة».

كانت مبالغة مخجلة من كيرلى فى تضخيم دوره فى القبض على دانا ماثرسون. وحين حاول الشرطى دلينكو تصحيح الأحداث، انطلقت كمبرلى لو ديكسون خارجة من دورة المياه وهى تصرخ بأعلى صوتها: «المكان فى الداخل ملىء بالصراصير الضخمة!!».

فرد كيرلى: «هذه ليست صراصير عادية. إنها صراصير الليل. وأنا لا أعلم بحق الجحيم من أين تأتى وكيف تدخل».

Twitter: @alqareah

وشق طريقه بمرفقيه متخطيًا الشرطى دلينكو وتشاك ماكل، وقدَّم نفسه للممثلة قائلاً: «أنا المهندس المشرف على المشروع يا آنسة ديكسون. وأنا أريدك أن تعلمى أننى شاهدت كل أفلامك».

ربتت كمبرلى ديكسون على صلعته اللامعة وهى تقول: أنتَ تعنى الفيلمين الوحيدين. ليس هذا مهمًّا يا سيد برانيت، ومع هذا فإنه شىء لطيف منك أن تذكر ذلك».

- «هيه. لا طاقة لى على الانتظار لمشاهدة فيلمك الجديد: الغزاة المتحولون من زحل الحادى عشر، فإننى مغرم فعلاً بهذا النوع من أفلام الخيال العلمى».

قاطعه تشاك ماكل: «المشترى السابع. اسم الفيلم: (الغزاة المتحولون من المشترى السابع)».

قال كيرلى متحمسًا: «مهما كان الاسم. ستبدين رائعة وخيالية كملكة للجراد المتحول».

رفعت الممثلة ساعة معصمها المرصعة بالألماس وقالت: «نعم. وقد بدأت منذ الآن كتابة نص الكلمة التى سألقيها فى حفل الأوسكار».

- «أنصت إلىَّ من الأفضل الإسراع فى تغيير شكلى لأبدو بالصورة المعتادة للفاتنة والمحبوبة الأم باولا العجوز، هل بإمكان أحد منكما يا حبيبىَّ أن يتفضل ويحضر لى حقيبتى من (الليمو)؟».

الفصـل العشـرون

نقلت سيارة (ليموزين)، أصغر حجمًا من سيارة الممثلة، رئيس بلدية كوكنت كوف، وعضو المجلس البلدى فى المدينة (بروس جراندى)، ورئيس الغرفة التجارية، إلى موقع البناء، ثم ما لبثت أن وصلت شاحنة تابعة للقمر الصناعى من محطة تليفزيون (نابل). وتبعهما وصول مصور فوتوجرافى مندوبًا من الصحيفة المحلية.

قام عمال من المدينة بتعليق أعلام خفاقة بالألوان الأحمر والأبيض والأزرق على السياج، وبتعليق لافتات كتبت باليد تقول: «مرحبًا بالأم باولا».

وقبل الثانية عشرة ظهرًا بعشر دقائق وصل روى وبياتريس. هذه المرة كانت هى التى تجلس على مقود الدراجة، وهو الذى يقودها، ويحرك الدواستين. وضع روى آلة التصوير بعناية فى حقيبة ظهره. اندهش كل من روى وبياتريس حين اكتشفا أنهما لم يكونا الوحيدين اللذين حضرا إلى موقع الإنشاء. كان هناك الولد ذو البشرة المنمشة، والفتاة ذات الشعر الأحمر، وعلى الأقل نصف الفصل الذى يحضر حصة التاريخ مع السيد رايان. وكان بصحبتهم بعض من أهالى الأولاد.

سألته بياتريس: «بالله عليكَ. ما الذى ذكرته البارحة لهؤلاء الأولاد؟ هل وعدتهم بأنكَ ستقدم لهم فطيرة (فلاب جاك) أو شيئًا من هذا القبيل مجانًا؟».

قال روى : «كل ما فعلته أننى حدثتهم عن البوم».

Twitter: @alqareah

وكانت هناك مفاجأة سارة أخرى، فقد وصلت حافلة صغيرة تابعة لتراس ميدل من قسم النشاط الرياضى تقلُّ زميلات بياتريس من فريق كرة القدم ، واللاتى احتللنَ مراكزهن من المكان، وقد حمل بعضهن ملصقات إعلانية.

ابتسم روى ابتسامة عريضة لبياتريس التى هزت كتفيها بعدم مبالاة، كما لو أن هذا الأمر لا يعنيها، وراحا يتفحصان الحشد المتزايد بدقة، ولكنهما لم يعثرا على أثر لأخى بياتريس الهارب.

ولم يظهر أى أثر للبوم أيضًا، وهو أمر لم يثر دهشة روى، فمع كل هذه الضوضاء والهياج البشرى، تفضل الطيور فى الغالب الاختفاء فى جحورها تحت الأرض حيث تتوافر الظلمة والأمان. وإن روى ليعلم جيدًا أن هذا ما يراهن ويعتمد عليه أصحاب شركة فطائر (البانكيك)، فشعور الطيور بالفزع وعدم الأمان سيمنعها من المجازفة والخروج من جحورها.

فى الثانية عشرة إلاَّ الربع، فُتح باب المقطورة التى تقف على الموقع. وكان أول من ظهر للعيان الشرطى الذى عرفه روى على الفور - الشرطى دلينكو . ثم ظهر رئيس العمال الأصلع، المشرف على عمليات الإنشاء، سيئ الطبع، وتبعه رجل متغطرس يتشامخ بازدراء، ذو شعر فضى ونظارة قاتمة.

كان آخر من ظهر السيدة التى تلعب دور الأم باولا فى الإعلان التجارى على التليفزيون. كانت تلبس شعرًا مستعارًا بلون رمادى لامع، ونظارة رخيصة ذات إطار معدنى، ومريلة من قماش خام سميك، وصفق لها قليل من الحاضرين بعد أن تعرفوا عليها، فلوَّحت لهم بفتور.

مشت المجموعة نحو مستطيل مُهِّدت أرضه وهيئ لاستقبالهم فى منتصف موقع البناء، وسُلِّم للرجل ذى الشعر الفضى مكبرٌ للصوت، فبدأ بالتعريف بنفسه ذاكرًا أن اسمه تشاك. آى ماكل. وأنه نائب الرئيس المركزى لشركة الأم باولا. كان بإمكان روى القول بأن الرجل وقح ومتغطرس. تجاهل السيد ماكل رئيس

Twitter: @alqareah

العمال، ورجل الشرطة. واستكمل خطبته بحماس كبير ليعرف الحشد على بعض كبار القوم من رجال السياسة المحليين - رئيس البلدية، وعضو المجلس البلدى فى المدينة، ورئيس الغرفة التجارية.

وأردف قائلاً «لا أستطيع أن أُعبر لكم عن مدى فخرنا وسرورنا بأننا سنجعل من كوكنت كوف البيت الجديد رقم (469) لعائلة سلسلة مطاعمنا الراقية». واستطرد السيد ماكل قائلاً: «السادة، رئيس البلدية، وعضو المجلس البلدى المستشار (جراندى)، وجميع الحضور الكرام الذين جاءوا خصيصًا للمشاركة فى هذا اليوم الرائع من أيام فلوريدا.. أنا هنا لأعاهدكم وأعدكم بأن الأم باولا ستكون مواطنة صالحة، وصديقة مخلصة، وجارة طيبة للجميع».

قال روى : «باستثناء إذا كنتَ بومةً».

لم يسمع السيد ماكل تعليق روى. فقد كان مهتمًّا بتحية التلاميذ والترحيب بهم قائلاً: «أشعر بالفعل بالإثارة لرؤية هذا الحشد من الشباب الرائع. إنها لحظة تاريخية لمدينتكم، بل لمدينتنا، كما يتوجَّب علىَّ القول، ونحن سعداء لأنكم استطعتم الحصول على فرصة قصيرة من فصولكم لمشاركتنا هذا الافتتاح والمهرجان».

وتوقف وأطلق ضحكة مصطنعة خافتة وهو يقول: «على كل الأحوال، فإننى أترقب مشاهدة أكبر عدد منكم فى لقائنا القادم عند افتتاح المطعم وانشغال الأم باولا فى المطبخ. هيه. وهأنذا الآن أتوجه بالسؤال للجميع: من منكم مغرم بفطيرة الشوفان بالعرقسوس؟».

مرَّت لحظة حرجة، فمن بين الحضور لم يرفع يده سوى رئيس البلدية، والمستشار جراندى. وقامت لاعبات فريق كرة القدم برفع يافطات صنعنها بأيديهن، واجهن بها الجمهور على الوجه الخالى من الكتابة. كن ينتظرن التعليمات من بياتريس لقلبها على الوجه الآخر.

Twitter: @alqareah

ضحك السيد ماكل بعصبية ضحكة مكتومة وقال موجهًا حديثه للممثلة: «عزيزتى الأم باولا. أظن أنه قد حان الوقت. هل نبدأ العمل؟».

وقفوا جميعًا متراصين جنبًا إلى جنب - نائب رئيس الشركة، رئيس البلدية، الأم باولا، المستشار جراندى ورئيس الغرفة التجارية - من أجل طاقم التصوير التليفزيونى، ومصور الأخبار.

تناول كل منهم جاروفًا مطليًّا باللون الذهبى، وعندما أعطى السيد ماكل الإشارة رسم المهمون ابتسامة على وجوههم، وانحنوا إلى الأمام، وقاموا بنبش حفنة من الرمال، وقام موظفو المدينة بالتتابع وسط حشد من الناس بإلقاء كلمة والهتاف والتصفيق لبعضهم البعض.

لم يرَ «روى» فى حياته أكثر من هذا المشهد افتعالاً وتملقًا. لم يتخيل أن أحدًا سيرضى بعرض هذا الزيف فى محطات التليفزيون أو بنشره فى الصحف.

قالت بياتريس: «هؤلاء الناس بحاجة إلى حياة».

ما إن انتهوا من اتخاذ الوضع الخاص للتصوير حتى قذف السيد ماكل بجاروفه الذهبى واختطف مكبر الصوت وأعلن: «قبل أن تبدأ آلات الحفر، والجرف، ونقل التراب فى العمل، ترغب الأم باولا بالتوجه إليكم بكلمة صغيرة».

لم تبدُ الأم باولا مبتهجة ومكبر الصوت يُقذفُ بين يديها. أخذته وقالت: «إنَّ مدينتكم، مدينة جميلة حقًّا. سأعود إليكم فى الربيع القادم للاحتفال بالافتتاح الكبير».

- «أووه. كلاَّ لن تعودى».

هذه المرة انطلقت الكلمات من فم روى كالصيحة المدوية. لم يكن أى شخص من الحضور أكثر ذهولاً وصدمة منه. سرَت موجة من الارتعاش بين الحضور وتقدمت بياتريس مقتربة منه، نصف مترقبة أن يقوم أحدهم بالإمساك به.

بدا الاستياء واضحًا على الممثلة التى تمثل دور الأم باولا، وحدقت من

Twitter: @alqareah

خلال إطار نظارتها المعدنى الرخيص فى الحشد وقالت: «والآن من الذى قال هذا؟».

وجد روى نفسه وهو يرفع ذراعه اليمنى ويصيح: «أنا الذى قلت هذا ياماما باولا. إذا ما أصيب أى فرخ من هذا البوم بأى أذى فأنا لن آكل بعد اليوم أى فطيرة من فطائر (البانكيك) الحقيرة».

- «ما الذى تتحدث عنه؟ أى بوم؟». اندفع تشاك ماكل إلى الأمام ليختطف مكبر الصوت. ولكن الأم باولا دفعته بمرفقها فأصابته فى بطنه وهى تقول بازدراء: «تراجع إلى الوراء يا تشاكى. يا أيها المهم».

قال روى وهو يشير إلى ما حوله: «تعالى، وتفحصى. وتأكدى من الأمر بنفسك. واعلمى أن فى داخل كل حفرة من هذه الحفر جحرًا من جحور البوم؛ تبنى فى داخلها أعشاشها، وتبيض وتقفس. إنها بيوتها».

انصبغت وجنتا السيد ماكل باللون القرمزى. شعر رئيس البلدية بأنه لا محالة ضائع. وبدا المستشار جراندى مغشيًّا عليه، كما لو أنه على وشك أن يفقد الوعى. وأما الموظف فى الغرفة التجارية فكان كمن ابتلع لوحًا من الصابون.

فى تلك الأثناء كان أهل الأولاد الموجودون بين الحشد يتحدثون بصوت عالٍ وهم يشيرون إلى حفر الجحور. بدأ البعض من زملاء المدرسة فى الإنشاد مؤازرة لروى. وأما لاعبات كرة القدم من صديقات بياتريس فبدأنَ بالتلويح باليافطات التى قمن بكتابتها بأيديهن، والتى كُتب على واحدة منها: «الأم باولا لا تهتم بنعيب البوم».

وعلى واحدة أخرى: «ياقاتلى الطيور عودوا إلى دياركم».

وأخرى ثالثة تقول: أنقذوا البوم، وادفنوا كعكات الزبد باللبن (الباتر ملك). وبينما أخذ المصور الفوتوجرافى لأخبار الصحف يلتقط صور المعارضين ناشدت الأم باولا الحضور قائلة: «ولكننى لا أريد أن أتسبب فى أىّ سوء للبوم. فأنا فى الواقع لا يمكننى أن أؤذى حتى برغوثًا».

Twitter: @alqareah

وأخيرًا. استطاع تشاك ماكل أن يعيد التقاط مكبر الصوت وأن يهدر من خلاله معنفًا روى بصوت أجش قائلاً: «من الأفضل التأكد من ادعاءاتك، قبل أن تطلقها جزافًا فتثير مثل هذه الاتهامات الشائنة والافتراءات المسيئة لسمعة الأم باولا. لا يوجد أى بوم على هذا الموقع، ولا حتى واحدة، فهذه البوم التى تحفر جحورها فى الأرض قد هاجرت منذ سنوات».

تناول روى آلة تصوير أمه من حقيبة ظهره وهو يقول صارخًا: «ماذا تقول؟ لدىَّ هنا ما يثبت ذلك. صخب الأولاد المحتشدون وهلَّلوا هاتفين. تبدَّل وجه تشاك وأصبح رماديًّا شاحبًا. مدَّ ذراعيه ومال مترنحًا نحو روى وهو يقول: «دعنى أرى هذا».

ابتعد روى عن متناول يد ماكل. شغَّل زر آلة التصوير الرقمية وكتم أنفاسه. لم يكن لديه أدنى فكرة عمَّا سيشاهده.

ضغط على الزر ليستعرض الصورة الأولى التى صورها أصابع المولييت. ومنذ اللحظة التى ظهرت فيها الصورة الملطخة والمعقوفة وغير الواضحة على شاشة العرض، عَرفَ روى أنه واقع فى مشكلة لا محالة.

كل ما أظهرته الصورة شكل إصبع.

شاعرًا بالقلق، ضغط ثانية ليشاهد الصورة التالية. ومارآه لم يكن أقل تثبيطًا وإحباطًا. أظهرت الشاشة صورة قدم عارية ووسخة. كان روى يعلم تمامًا من هو صاحبها.

يتميز أخو بياتريس غير الشقيق بالعديد من المواهب. ولكن قطعًا لم يكن التصوير (الفوتوجرافى) للمناظر الطبيعية واحدًا منها.

ضغط روى مرة أخرى على الزر. وظهرت الصورة الثالثة. هذه المرة كان ما ظهر فى إطار آلة التصوير شيئًا ليس جزءًا من جسم إنسان. كان لشكل متقطع بعيد مكسوًّ بالريش وقد سطع عليه وميض وهج الآلة.

Twitter: @alqareah

صرخ روى: «هنا. انظر».

خطف تشاك ماكل آلة التصوير منه وتفحص الصورة بدقة فى نحو ثلاث ثوانٍ قبل أن ينفجر فى ضحكة قاسية وهو يقول: «ما المفروض أن يكون هذا الشىء؟».

قال روى: «إنه صورة لبومة».

وبالفعل كانت صورة بومة. كان روى متيقنًا من ذلك. لسوء الحظ، يبدو أن الطائر أدار رأسه للناحية الأخرى بينما أصابع المولیت يلتقط له الصورة.

قال تشاك ماكل: «تبدو لى وكأنها كومة من الطين». ثم قام برفع الآلة ليتسنى لهؤلاء الذين يقفون فى الصفوف الأمامية من الجمهور رؤية الصورة. ثم أضاف بلهجة مثيرة للشك: «هذا الغلام يملك قدرًا من الخيال. فإذا كانت هذه صورة لبومة فأنا إذن نسر أصلع»(*).

أصرَّ روى قائلاً: «ولكنها صورة لبومة. وقد التُقِطتْ هذه الصورة البارحة ليلاً، هنا على هذه الأرض».

تأمله تشاك ماكل وهو يشعر بارتياح خبيث وقال: «أثبت لنا هذا».

لم يتمكن روى من الإجابة، فهو لا يملك أى إثبات.

أخذت آلة تصوير أمه تنتقل بين أيدى الحشد. وفى الوقت الذى عادت فيه ثانية إليه عَلِمَ روى أن معظم الناس لم يمكنهم القول بأن ما ظهر فى الصورة هو بالفعل شكلٌ لطائر، حتى بياتريس بدت مترددة. أخذت فى تقليب الآلة فى كل الاتجاهات ورأسًا على عقب وهى تحاول دون جدوى أن تتعرف على ما يدل على أن هذا جزء من تشريح البومة.

شعر روى بالهوان؛ فهذه الصورة التى صورت بآلة تصوير أمه لا قيمة لها، فالسلطات المسئولة عن حماية البوم النادر لن تأخذ بهذا الدليل الواهى لإيقاف البدء بعملية إنشاء بيت الفطائر.

(*) النسر الأصلع: نوع نادر من النسور تتسم بزغب أبيض على الرأس.

Twitter: @alqareah

قال السيد ماكل للجمهور من خلال مكبر الصوت: شكرًا على حضوركم، وشكرًا على تحليكم بالصبر خلال هذه الإعاقة الطائشة غير المراعية لمشاعر الآخرين. أنتم يا محبى فطائر (البانكيك) سنراكم جميعًا فى الربيع القادم على مأدبة إفطار شهية. وفى الوقت الحاضر أُعلن أن هذه المناسبة من الناحية الرسمية قد انتهت.

اضطرب التلاميذ الذين من تراس ميدل وهم يشعرون بالقلق، ونظروا نحو بياتريس وروى اللذين لم يعد فى جعبتهما المزيد من الخطط. تدلت كتفا روى لشعوره بالإحباط والهزيمة، بينما اكتسى وجه بياتريس بقناع من الاستسلام والتجهم المقيت.

ثم ما لبثوا أن سمعوا صوتًا لشابٍّ يعلو قائلاً: «انتظر.. كلا.. لم تنته المناسبة بعد.. كلا ولا على بعد ميل.. لم تنته».

هذه المرة لم يكن الصوت صوت روى.

رفعت بياتريس عينيها وقالت« أهوو». وأطلقت فتاة من مؤخرة الحشد صرخة.

استدار الجميع فى الحال لينظروا. للمحة الأولى كان يمكن أن يُظنَّ أن ما ظهر على أرض الموقع، كرة رُشقت على الأرض، ولكنه فى واقع الأمر كان رأس ولد.

كان شعره الأشقر متلبدًا ووجهه بنيًّا بلون السكر المعقود، وعيناه الواسعتان لا تطرفان. وظهر خيط طائرة ورقية يصل ما بين شفتيه المزمومتين، ويد دلو كبيرة من الصفيح وضعت على بعد عدة أقدام من الرأس.

هرول المهمون من كبار القوم من وسط الحشد وبياتريس وروى فى أعقابهم. توقفوا جميعًا وقد فغرت أفواههم من الدهشة ينظرون إلى الرأس البارز على وجه الأرض.

Twitter: @alqareah

اشتكى رئيس العمال متذمرًا: «ما الجديد الآن؟».

هدر صوت تشاك ماكل صارخًا: «أهى مزحة سقيمة تفتق عنها ذهن أحدهم؟».

صرخ رئيس البلدية: «يا إله السماوات. هل هو ميت؟». لم تظهر على الولد أى علامة من علامات الموت. كان يبتسم لأخته غير الشقيقة ويغمز خلسة بخبث لروى. استطاع، بطريقة ما. أن يُدخِل جسمه الهزيل النحيل داخل حفرة جحر البوم. وهكذا لم يبق بارزًا فوق سطح الأرض سوى رأسه.

ونادى: «أنتِ. أيتها الأم باولا».

خطت الممثلة نحوه إلى الأمام مترددة. بدا شعرها المستعار مائلاً بعض الشيء. و(ساحت) زينة وجهها من تأثير الجو الرطب.

سألته وقد بدا عليها الاضطراب والخوف: «ماذا تريد؟».

قال لها أصابع المولية: «إذا سمحتِ بدفن هذه البوم ستدفنيننى معها»

- « ولكننى أحب الطيور بكل أنواعها».

أشار تشاك ماكل إلى الشرطى ليتقدم نحوهم وقال له: «أين أنتَ أيها الشرطى دلينكو؟ فلتعتقل هذا الوقح المتسلل الصغير فى الحال».

- «بأى تهمة؟».

- «هذا أمر واضح.. بتهمة التعدى على الممتلكات».

أشار الشرطى دلينكو قائلاً: «ولكن شركتكَ أعلنت أن هذه الحفلة مفتوحة لعامة الناس. فإذا ما اعتقلت هذا الولد فسوف يتحتم علىَّ أيضًا اعتقال جميع الحضور الآخرين على هذه الملكية».

لاحظ روى انتفاخ وريد فى عنق تشاك ماكل ينبض بقوة، وكأنه خرطوم مياه فى الحديقة. قال ماكل مستهجنًا وقد تقطعت أنفاسه: «أول ما سأفعله فى صباح

Twitter: @alqareah

الغد هو تقديم شكوى ضدك إلى رئيس الشرطة «ديكون»، وسوف يستدعى هذا أن تمضى ليلة كاملة وأنت تكتب رسالة تعتذر فيها عمَّا بدر منك».

ثم توجه بنظراته الصاعقة نحو رئيس العمال البائس قائلاً: «من فضلك.. اقتلع هذا الـ..... هذه الدودة اللزجة فى الحال يا سيد برانيت».

وحذَّره أخو بياتريس غير الشقيق من بين فكيه المطبقين قائلاً: «لن تجرؤ على فعل ذلك».

قال تشاك ماكل: «فعلاً؟! ولمَ لا؟».

ابتسم الغلام وقال: «يا روى. أسدِ إلىَّ خدمة. تفحَّص ما فى الدلو».

شعر روى بسعادة لأنه قدم خدمة للولد.

سأله الولد: «ماذا ترى؟».

أجاب روى: «ثعابين من نوع (صلال الماء) السامة».

- «كم عددها؟».

- «تسعة أو عشرة».

- «أتبدو هادئةً يا روى؟».

- «كلا. لا تبدو هادئةً أبدًا».

- «ماذا تظن أنه سيحدث لو قمت بقلب هذا الدلو رأسًا على عقب؟». وأظهر أصابع المولية طرف الخيط الذى يربط ما بين أسنانه وبين الدلو.

قال روى: «قد يصاب أحد بأذى شديد». مع أنه شعر بالراحة حين رأى أن الزواحف الموجودة فى الدلو غير حقيقية، وأنها مصنَّعة من المطاط.

اهتاج السيد ماكل وقال: «هذا شىء سخيف. افعل ما طلبت منك. ابعد هذا الولد عن نظرى».

تراجع رئيس العمال إلى الوراء قائلاً: «لن أفعل ذلك. فأنا لست على علاقة طيبة مع الثعابين».

Twitter: @alqareah

- «حقًا! إذن فأنت مطرود من العمل» ثم استدار نائب الرئيس مرة أخرى موجهًا الحديث إلى الشرطى دلينكو: «قم بعمل مفيد. أطلق النار على هذه الأشياء الملعونة».

- «كلا يا سيدى. ليس فى وجود هذا الحشد من الناس. إنه أمر خطير جدًّا».

اقترب الشرطى من الولد ونزل على إحدى ركبتيه وسأله: «كيف دخلتَ إلى هنا؟».

قال الولد : «وثبتُ من فوق السياج فى الليلة الماضية، ثم اختبأت وراء آلة الجرف. لقد تخطيتنى أكثر من خمس مرات».

- «هل أنتَ من قام بطلاء سيارة الدورية الأسبوع الماضى؟».

- «لا تعليق».

- «وهل أنت الولد الذى هرب من المستشفى؟».

قال الولد: «لا تعليق للمرة الثانية».

«أأنت الذى علَّقت قميصك الأخضر على هوائى سيارتى؟».

- «إنك لا تدرك يا رجل. ليست هناك أية فرصة لهذه البوم أمام هذه الآلات».

قال الشرطى دلينكو: «إنى لأعى هذا.. أعيه بصدق. ولكن لدىَّ سؤال أخير: هل هى ثعابين سامة وخطيرة؟».

- «خطيرة مثل الإصابة بذبحة صدرية».

- «هل أستطيع أن ألقى نظرة على ما بالدلو؟».

ومضت عينا الولد وقال: «يبدو أن اليوم هو يوم جنازتك».

همس روى لبياتريس: «علينا أن نفعل شيئًا، فهذه الثعابين ليست حقيقية».

- «أووه. هذا هائل».

وحينما أخذ الشرطى فى الاقتراب من الدلو الصفيح، صرخت بياتريس بصوت عالٍ: «لا تفعل، لا تقترب، فقد تلدغك الثعابين».

Twitter: @alqareah

لم يحجم الشرطى دلينكو، فاقترب واختلس نظرة من فوق حافة الدلو. بدت هذه اللحظة لروى وبياتريس لا نهائية. فكّر روى وهو يرتجف من الرعب وقد شعر بالاكتئاب أنه من المستحيل ألا يلحظ الشرطى أن هذه الثعابين غير حقيقية، ولكن على الرغم من ذلك لم ينطق رجل الدورية بكلمة بعد أن تراجع مبتعدًا عن الدلو.

تساءل السيد ماكل: «حسنًا. ما الذى سنفعله الآن؟».

قال الشرطى دلينكو: «يبدو أن الولد جاد فى تهديده. لو أننى مكانك للجأت للتفاوض».

خطف تشاك ماكل الجاروف المطلى باللون الذهبى من يدى عضو المجلس البلدى المستشار جراندى، وشجّع نفسه واتجه نحو الدلو.

صاح الولد من داخل جُحر البوم متذمرًا وهو يبصق الخيط: «لا تقترب».. ولكن لم يكن هناك أى مجال لإيقاف الرجل المسئول من شركة الأم باولا. رمى الجاروف نحو الدلو فاصطدم به وقلبَه ثم بدأ يضرب ويرفس الثعابين كيفما اتفق كالأعمى وقد سال لعابه من شدة الغضب.

ولم يتوقف.

إلى أن تقطعت الثعابين المطاطية إلى نتف صغيرة.

شاعرًا بالإرهاق مال تشاك ماكل منطويًا على نفسه ينظر شزرًا نحو اللعب المطاطية المتقطعة التى كانت على شكل ثعابين، وظهرت على تعابير وجهه نظرة تدل على الدهشة والخزى.

تنفس بجهد وقال وهو يئز: «ما هذا؟».

خلال الهجمة الهمجية على الثعابين كان الجمهور يصرخ: (أووه.. آاه). والآن أصبح الصوت الوحيد المسموع هو صوت (كليك.. كليك) فرقعات آلات التصوير الفوتوغرافية، والأنفاس اللاهثة لنائب رئيس شركة الأم باولا.

Twitter: @alqareah

انطلق صوت كيرلى صائحًا: «انظرْ إلى هذه الثعابين، فهى - حتى - ليست حقيقية».

مال روى نحو بياتريس وهمس لها: «كما ترين لدينا (أينشتاين) جديد!!»

دار تشاك ماكل فى مكانه بحركة بطيئة. أشار بحد الجاروف، وهو ينذر بالسوء، نحو الولد المدفون داخل جحر البوم، وتقدم منه متشامخًا وصرخ: «أنتَ!».

قفز «روى» ووقف أمامه، فقال له تشاك ماكل: «ابتعد عن طريقى أيها الغلام. لم يعد لدىَّ وقت لهذا الهراء.. تحرَّك فى الحال».

كان من الواضح أن المسئول الكبير فى مؤسسة الأم باولا قد فقد هدوء أعصابه بالكامل، ومعه أى برودة يختزنها.

سأله روى، وهو يعلم أنه على الأرجح لن يتلقى جوابًا شافيًا بعد أن فقد الرجل كل صبره وهدوئه: « ماهذا الذى تفعله؟».

- «قلتُ لكَ ابتعد عن طريقى، لأقتلعنَّ هذا التافه الوضيع من تحت الأرض بنفسى».

انتفضت بياتريس ليب مندفعة ووقفت إلى جانب روى وأمسكت بيده اليمنى. ارتفع صوت همهمة توحى بالقلق من الحشد.

وراحَ تشاك ماكل يصب جام غضبه عليهما قائلاً بطريقة ساخرة: «أووه! هذا شىء لطيف جدًّا، كما لو كنتما روميو وجولييت». ثم خفض صوته وقال: «انتهت اللعبة الآن أيها الأولاد الصغار. حين أصل بالعد إلى رقم ثلاثة سأبدأ فى استعمال هذا الجاروف - وقد تكون لدىَّ طريقة أفضل، مارأيكم أن أطلب من هذا الأصلع تشغيل سيارة حفر الأرض؟».

عبس رئيس العمال وقال: «أظن أنك سبق أن طردتنى من العمل».

من مكان ما، تقدم أحدهم واختطف يد روى اليسرى. كان هذا جاريت. وقد وضع لوح التزلج تحت إبطه. اصطف ثلاثة من زملائه، ممن يمارسون لعبة التزحلق على اللوح إلى جانبه.

Twitter: @alqareah

قال روى: «ما هذا الذى تفعلونه يا أولاد؟».

أجاب جاريت فرحًا: «هربنا من المدرسة. ولكن يبدو يا عزيزى أن ما يجرى هنا أكثر تسلية».

التفت روى ووجد أن كل فريق كرة القدم للبنات من زميلات بياتريس اصطففن إلى جوارها وقد تشابكت أذرعهن وشكلن سلسلة صامتة. كن طويلات القامة، قويات البنية، لم يعرن التهديدات الصاخبة التى يطلقها تشاك ماكل أى اهتمام.

هذا ما أدركه تشاك ماكل أيضًا، فأخذ يرجوهنَّ قائلاً: «توقفن عن هذا العمل السخيف فى الحال. لا حاجة لمثل هذا المشهد الهمجى القبيح».

شاهد روى بإعجاب واندهاش خروج المزيد والمزيد من الأولاد من الحشد والانضمام إلى الحلقة لتتشابك الأيدى مشكلين حاجزًا بشريًا حول أخى بياتريس غير الشقيق الذى قام بدفن نفسه فى جحر البوم.. لم يحاول أحد من الأهالى وقف تجمع أولادهم.

أعلن مصور التلفزيون أن هذه المظاهرة قد بُثت مباشرة بالفعل وظهرت مع أخبار فترة الظهر، بينما أخذ المصور الفوتوجرافى المرسل من الصحيفة ينقض ويلتقط صورة مقربة لتشاك ماكل يبدو فيها مهزومًا ومسنًّا بشكل فجائى بعد أن انسحبت الدماء من وجهه. كان يقف متسانِدًا على الجاروف، الذى جُهز خصيصًا لهذا الاحتفال، كما لو كان عصا يرتكز عليها.

قال بصوت أجش مثير للأعصاب: «ألا يريد أحد من الموجودين هنا الاستماع إلىَّ؟ لقد انتهت هذه الحفلة. أنجزت مهمتها!! بإمكانكم جميعًا العودة إلى منازلكم».

تقهقر كل من رئيس البلدية، والمستشار جراندى، والرجل المسئول فى الغرفة التجارية خلسة ليركبوا سيارة (الليموزين)، بينما سار لروى برانيت ببطء نحو مقطورته باحثًا عن زجاجة بيرة باردة. وانحنى الشرطى دلينكو مستندًا على السياج ليكتب تقريره.

Twitter: @alqareah

كان روى لا يزال فى حالة من الانبهار الغريب.

بدأت فتاة فى التغنى بأغنية شعبية قديمة ومشهورة اسمها: هذه الأرض هى أرضك وكانت هذه الفتاة بياتريس ذاتها من بين كل هذا الجمع. ومن المدهش أن صوتها كان رقيقًا وجذابًا، وما لبث أن انضم إليها بقية الأولاد يشاركون فى الغناء. أغمض روى عينيه، وشعر كما لو أنه يطوف على منحدر مشمس فوق الغيوم.

سمع صوتًا يقول له: «اعذرنى أيها اللاعب البارع، هل هناك متسعٌ لشخص آخر؟».

ومضت عينا روى وهو يفتحهما، وأشرقت أساريره عن ابتسامة واسعة.

وقال: «نعم يا ماما».

وقفت الأم باولا بينه وبين جاريت لتنضم إلى الحلقة. كان صوتها عاديًّا، ولكن كان باستطاعتها الالتزام باللحن بشكل جيد.

استمرت المظاهرة لساعة أخرى. جاء طاقمان جديدان من مصورى التليفزيون ومعهما المزيد من رجال شرطة دورية كوكنت كوف. كان دلينكو قد استنجد بهم.

حاول تشاك ماكل أن يحض رجال الأمن الذين حضروا مؤخرًا على القبض على المتظاهرين بتهمة التعدى على أملاك الغير، وتهمة إفساد النظام والسلام. رُفض هذا الطلب بشدة، وأبلغ رائد فى الشرطة السيد ماكل أن القبض على مجموعة من تلاميذ المدرسة الإعدادية لن يعطى انطباعًا طيبًا عن مركز الأمن العام المسئول عن المدينة.

ظل الوضع، بشكل ما، متوازنًا إلى حين الوصول المسعور للونا ليب، التى لمحت ابنها فى أخبار الظهيرة. كانت قد أخذت زينتها كما لو أنها مدعوة إلى حفلة صاخبة. لم تشعر بأى خجل أو إحراج لدس أنفها أمام آلات التصوير التلفزيونية والفوتوجرافية. سمعها روى وهى تتحدث عن مدى فخرها بابنها الذى خاطر بحريته من أجل إنقاذ البوم المسكين الذى لاحيلة له.

Twitter: @alqareah

صاحت لونا صيحة ابتهاج وهى تقول: «هذا هو صغيرى الشجاع البطل المنقذ للبوم».

وانطلقت نحو الجدار البشرى الذى أحاط بابنها وهى تطلق صرخة طويلة حادة ومزيفة.

طلبت بياتريس من جميع التلاميذ أن يُحكموا الإمساك بأيدى بعضهم البعض ليمنعوا لونا من الاقتراب من ابنها. مرَّت برهة حرجة، حين وقفت كل من لونا وابنة زوجها، عين كل منهما على الأخرى تحدق بها بجرأة وتحد، كما لو أنهما على وشك الاشتباك. كسر جاريت من حدة الموقف المتشدد باصطناع صوت فرقعة من فمه تشبه صوت إخراج الريح، مما جعل لونا تتراجع إلى الوراء مذعورةً.

وكز روى بياتريس برفق بمرفقه وقال: «انظرى إلى هناك».

فوق رءوسهم كان هناك طائر صغير قاتم اللون يحوم فى السماء بدوائر لولبية جريئة ومدهشة. شاهده روى وبياتريس فى بهجة وسعادة وهو يطير مائلاً، ثم يبدأ فى الهبوط أكثر فأكثر منتهيًا بانقضاض فطرى غريزى نحو الجحر فى وسط الحلقة.

اندفع الجميع ليشاهدوا أين حطَّ الطائر. وفجأة توقف الغناء.

حاول أصابع المولييت أن يمسك نفسه من القهقهة؛ فقد حطَّ هذا الشيطان الجرىء بهدوء فوق قمة رأسه.

قال الولد للطائر: «لا تخف أيها الصغير، فأنت الآن فى أمان».

Twitter: @alqareah

الفصل الواحد والعشرون

«نابليون؟».قرأ روى الاسم بصوت عالٍ: «نابليون بريدجر».

وعلقت والدته: «إنه ملوَّن بالتأكيد».

كانا يجلسان على مائدة الإفطار. وكانت السيدة إيبرهاردت تشبك بحرص مقالات وصورًا مقتطعة من الصحيفة الصباحية.

ظهر على الصفحة الأولى للصحيفة صورة لـ«روى» وبياتريس والأم باولا وهم يمسكون بأيدى بعضهم البعض فى حلقة المظاهرة. بدا رأس أخى بياتريس غير الشقيق فى خلفية الصورة وكأنه ثمرة من ثمار جوز الهند وقعت من الشجرة على الأرض، وعليها خصلة شعر مستعار أشقر.

أبرز العنوان الرئيسى الذى كُتب تحت الصورة أن الأم باولا ممثلة مشهورة وملكة جمال أمريكا سابقًا وأن اسمها كمبرلى لو ديكسون. وذُكِر أن اسم أخى بياتريس غير الشقيق هو نابليون بريدجر ليب.

سألت والدة روى: «هل عاد الآن ليقيم معهم فى المنزل؟»

قال روى: لا أعلم إن كان يعتبره منزلاً له. ولكنه يقيم الآن مع أمه وزوجها.

ففى مشهد المعارضة التى نظمها التلاميذ افتعلت لونا ليب مشهدًا مأسويًّا باكيًا وهى ترجو أن يلتئم شملها بابنها بعد افتراق. كان هذا منتهى أمل رجال الشرطة، ففى رأيهم أنه ليس هناك ماهو أفضل من ذلك؛ لذا قاموا باقتيادها خارج

Twitter: @alqareah

الزحمة نحو أصابع المولية مثيرين صخبًا أخاف البوم الصغير الجرىء الذى طار بعيدًا عن الولد.

قالت لونا وهى تقف منتشية أمام عدسات آلات التصوير: «يابطلى الصغير الشجاع» فى الوقت الذى كان فيه ابنها يتلوى محاولاً الخروج من الجحر. شاهدها روى وبياتريس وهما يشعران بالاشمئزاز وهى تغمر أصابع المولية بضمة تمثيلية مثيرة.

أخرجت السيدة إيبرهاردت الصورة التى نُشرت فى الصحيفة للونا وهى تقف مع ابنها الذى بدا عليه الانزعاج الشديد.

قالت والدة روى بأمل: «لعلَّ الأمور تنصلح بينهما».

قال روى: «كلا يا أمى. إن كل ما تريده هو الظهور على شاشة التليفزيون». وأخذ حقيبة ظهره وهو يقول: «من الأفضل لى أن أذهب إلى المدرسة».

عمل السيد إيبرهاردت إلى ساعة متأخرة فى الليلة الماضية. وكان روى قد مضى للنوم حين وصل الأب إلى البيت.

سأل روى أمه: «هل هو غاضب منى؟».

- «لا أظن ذلك. غاضب من أى شىء؟».

أشار روى إلى أوراق الصحف التى اقتطعت منها الصور وقال: «عما حدث البارحة. على ما قمنا به أنا وبياتريس».

قالت السيدة إيبرهاردت: «ياعزيزى. أنتَ لم تتعدَّ على القانون، ولم تؤذِ أحدًا. كل ما فعلته أنكَ دافعتَ عمَّا تؤمن بأنه صحيح. ووالدك يحترم ما فعلت».

يعلم روى جيدًا أن «يحترم» لا تعنى بالضرورة أنه «يوافق» كان لديه شعور بأن والده متعاطف مع قضية الطيور، ولكنه لم يرغب أبدًا فى أن يبدى أى اهتمام أو أن يتحدث حول الموضوع.

Twitter: @alqareah

سألته أمه: «هل لا تزال شركة الأم باولا مصممة على المضى فى مشروع إنشاء محلات بيت الفطائر؟»

- «لا أعلم. ولكن يبدو أن السيد ماكل هذا قد فقد أعصابه وحاول أن يخنق المراسلة الصحفية حين وجهت إليه هذا السؤال بالذات»

- «هذا مستحيل!». كان روى وبياتريس قد غادرا الموقع قبل أن ينفض المؤتمر الصحفى المرتجل».

رفعت السيدة إيبرهاردت المشبك عن قصاصات الصحف التى جمعتها وقالت: «هذا ما تذكره الصحيفة هنا».

لم يستطع روى أن يصدق الحيز الكبير الذى خصصته الصحيفة لنشر موضوع الاحتجاج والمعارضة لصالح البوم. يبدو وكأنه أهم خبر هزَّ مدينة كوكنت كوف منذ عاصفة (الهوريكان) الشهيرة التى حدثت فى الماضى.

قالت والدة روى: «بدأ جرس الهاتف بالرنين منذ السادسة صباحًا وهذا ما دعا والدك ليطلب منى فصل التيار عن الهاتف».

- «إننى فى غاية الأسف يا أمى».

- «لا تكن أبله. فهأنذى أعمل على تجميع كراسة (مفكرة) من قصاصات الصحف ليشاهدها أولادك وأحفادك. شىء نفتخر به جميعًا ياعزيزى».

فكَّر روى فى نفسه بأنه يفضل لو شاهد أولاده وأحفاده البوم نفسها. إذا ما تبقى حتى ذلك الحين شىء منها.

- «روى!».

كان هذا صوت والده ينادى عليه من غرفة مكتبه الصغيرة قال له: «هل لك أن ترى من على الباب لو تفضلت؟».

كانت تقف على السلالم الأمامية للمنزل شابة نحيفة بشعر قصير أسود، بادرته بالتحية. كانت تتسلح بدفتر ملحوظات لولبى وقلم حبر جاف.

Twitter: @alqareah

قالت له: «مرحبًا أنا مندوبة عن صحيفة (الجازيت)».

- «شكرًا لكِ. ولكننا مشتركون بالفعل بالصحيفة».

ضحكت السيدة وقالت: «أوه. أنا لا أبيع الصحيفة. أنا أعمل محررة بها».

ومدَّت له يدها لتعرفه بنفسها: «(كيلى كولفاكس)».

لاحظ روى على عنقها عدة علامات مزرقة، علامات بحجم أصابع اليد، تشبه تلك التى تركها دانا ماثرسون على عنقه. فهم روى أن كيلى كولفاكس هى المراسلة الصحفية الذى حاول تشاك ماكل خنقها.

قال لها: «سأُخبر والدى بوجودك».

قالت له: «ليس هذا ضروريًّا، فأنتَ من أريد التحدث معه. أنتَ روى إيبرهاردت.. أليس كذلك؟».

شعر روى بأنه وقع فى المصيدة، لم يرغب التصرف بفظاظة. ولكنه بالطبع لم يرد أن يتسبب فيما يزيد الأمور تعقيدًا لأصابع المولييت.

وبدأت كيلى كولفاكس بإطلاق أسئلتها:

«كيف تورطت فى المظاهرة؟».

«هل أنتما صديقان لنابليون بريدجر ليب؟».

«هل أنتما متورطان فى حوادث التخريب والاعتداء على ملكية الأم باولا؟».

«هل تحب فطائر البانكيك؟».

«وأى نوع منها؟».

أحس روى بدوار فى رأسه. وأخيرًا قاطعها قائلاً: «انظرى لقد ذهبت إلى هناك فقط رغبة فى المساندة لحل مشكلة البوم».

وبينما أخذت المراسلة تدوِّن باختصار، وعلى عجل أقوال روى، انفتح الباب فجأة وبرز السيد إيبرهاردت يقف أمامهما وهو بكامل زينته وهندامه بعد أن حلق ذقنه وأخذ حمامًا وارتدى إحدى بدلاته الرمادية.

Twitter: @alqareah

قال: «أرجو المعذرة ياسيدتى. ولكن هل لى فى التحدث مع ابنى؟».

قالت كيلى كولفاكس: «بالتأكيد».

أخذ السيد إيبرهاردت روى إلى داخل البيت وأغلق الباب وراءهما ثم قال: «ماكان عليك ياروى أن تجيب على أى من أسئلتها».

- «ولكنى أردتها فقط أن تعلم».

- ««خذ. أعطها هذا» فتح والد روى محفظة أوراقه الجلدية وأخرج منها ملفًا سميكًا مصنعًا من ورق (المانيلا).

- «ماهذا يا أبى؟».

- «ستكتشف بنفسها مدى أهمية هذا الملف».

فتح روى ملف الأوراق وابتسم ابتسامة عريضة وقال: «هذا هو الملف الذى كان مفقودًا فى البلدية. أليس كذلك؟».

قال الوالد: «بلى. إنه نسخة منه. هذا صحيح».

قال روى: «إنه الملف الذى يحتوى على كل ما يخص شركة الأم باولا. والذى حاولتُ العثور عليه. واكتشفتُ أنه مفقود. وهأنذا الآن أعرف السبب».

فسَّر له السيد إيبرهاردت أنه كان قد استعار الملف وقام بنسخ كل صفحة منه ثم أخذ المستند إلى بعض المحامين المتمرسين بشئون المحافظة على البيئة. سأله روى: «إذن هل تمكنت شركة الأم باولا من الحصول على رخصة لدفن البوم أم لا؟ هل كان هذا موجودًا فى الملف؟».

هزَّ الوالد رأسه نافيًا وقال: «كلا».

شعر روى بالبهجة لهذه الأخبار ولكنه كان أيضًا متحيرًا من تصرف والده. وسأله: «ألم يكن من الأحرى بك تسليم هذه الملفات لوزارة العدل؟ لمَ طلبتَ منى توصيل هذه المعلومات إلى الصحافة؟».

Twitter: @alqareah

أجاب السيد إيبرهاردت بهدوء وبأسلوب يوحى بالثقة: لأن فى داخل هذا الملف شيئًا يجب أن يعلم به كل من يقيم فى مدينة كوكنت كوف. ففى الواقع أن ما هو مهم ليس موجودًا فى هذا الملف».

قال روى لأبيه: «أخبرنى».

وأخبر الأب ابنه بكل شىء.

وحين فتح روى الباب الأمامى للمنزل مرة أخرى، كانت كيلى كولفاكس فى انتظاره وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة مرحة.

قالت له: «هل بإمكاننا استئناف حديثنا الصحفى؟».

ابتسم روى بدوره ابتسامة مشرقة وقال لها: «أنا آسف جدًّا. ولكن علىَّ الإسراع بالذهاب إلى المدرسة، فقد تأخرت بالفعل».

ثم أخرج الملف وقدمه لها قائلاً: «تفضلى. فمن الممكن أن يساعدك هذا الملف فى تحرير قصتك».

دسَّت المراسلة مفكرتها تحت إبطها، وخطفت الملف من بين يدىَّ روى. وفيما كانت تقلِّب بأصابعها خلال المستندات تبدد الإشراق الذى كان باديًا على وجهها واكتسى بخيبة الأمل، وقد انتابها شعور بالإحباط.

وقالت: «ما الذى يعنيه كل هذا الكم من المعلومات ياروى؟ وما هو الشىء الذى علىَّ معرفته على الوجه الصحيح؟».

قال روى: «أظن أن هذا ما يسمى ا . ح . ب» قال هذا مرددًا الكلمات التى سمعها للتو من والده.

- «والتى تعنى؟».

- «إقرارًا بالحفاظ على البيئة».

قالت المراسلة: «هذا صحيح تمامًا. ففى كل مشروع إنشائى كبير، من

المفروض أن تقدم الشركة المالكة للمشروع إقرارًا يُثبت استخراجها للرخص اللازمة. فعلاً هذا هو القانون».

- «نعم. ولكن ا. ح . ب الذى يخص شركة الأم باولا غير موجود بين هذه المستندات».

- «أنتَ تشتتنى ياروى».

أجابها: «من المفروض أن يكون هذا الإقرار فى الملف. ولكنه غير موجود. وهذا يعنى إما أن الشركة لم تستخرج إقرارًا أو أنها تعمدت إضاعته لغرض ما.

بدت كيلى كولفاكس كما لو أنها ربحت لتوها ورقة يانصيب وقالت: «آه! شكرًا لكَ ياروى». ضمّت الملف بين ذراعيها ونزلت السلالم وهى تردد امتنانها: «أنا بغاية الامتنان». قال روى : لا تشكرينى. «عليك التوجه بالشكر لوالدى»، والذى بدا مهتمًّا كذلك بالبوم.

Twitter: @alqareah

الخاتمة

خلال الأسابيع التالية تطورت قضية الأم باولا إلى فضيحة متفجرة. برز بوضوح خبر اختفاء إقرار الحفاظ على البيئة على الصفحة الأولى من صحيفة الجازيت. وثبت فى النهاية بعد سماع الإفادات والأقوال أنه تسبب بالضربة القاضية لمشروع بيت الفطائر، فقد تبين أن قرار الحفاظ على البيئة قد استخرج بالفعل. وأن المتخصصين فى علم الأحياء فى مؤسسة الحفاظ على البيئة كانوا قد قدموا الوثائق التى تثبت إقامة ثلاثة أزواج من البوم الحفارة على هذه الأرض.

ففى ولاية فلوريدا تُحاط الطيور بشكل عام بحماية فائقة كأجناس تحظى باهتمام خاص؛ ولذا فإن إثبات إقامتها على ملكية الأم باولا كان سيسبب مشاكل قانونية خطيرة وكارثة فى العلاقات العامة إذا ما عُرفت على نطاق واسع، وبالتالى، فإن اختفاء إقرار الحفاظ على البيئة من بين ملفات البلدية بدا ملائمًا تمامًا، وتبين بعد ذلك أن هذا الإقرار موجود فى حقيبة للعبة الجولف تخص المسئول فى المجلس البلدى المستشار بروس جراندى. ومعها ظرف يحتوى على ما يقارب الـ(4,500) دولار نقدى. أنكر المستشار ساخطًا أن هذا المبلغ من المال كان رشوة من شركة فطائر (البانكيك) ومن ثم أسرع بتوكيل أغلى محامى دفاع فى (فورت مايرز)

فى تلك الأثناء، تخلّت كمبرلى لو ديكسون عن دورها فى تمثيل الإعلان التجارى فى التليفزيون للأم باولا، وأعلنت أنها لا تستطيع العمل مع شركة تدفن البوم من أجل بيع بضع قطع من فطائر (الفلاب جاك). ووصل البلاغ المشبع بالدموع

Twitter: @alqareah

للذروة حين أظهرت الممثلة بطاقة تثبت عضويتها لمدى الحياة فى جمعية (أدوبون) - هذه اللحظة التقطها البرنامج التلفزيونى الشهير: (حفل التسلية الليلى داخل هوليود)، كما نُشرت أقوالها فى مجلة (بيبول) مع الصورة التى ظهرت فيها كمبرى لو ديكسون تمسك بأيدى روى وبياتريس فى مظاهرة الاحتجاج من أجل بقاء البوم.

كان هذا بالنسبة لكمبرلى لو ديكسون وسيلة إعلام ودعاية أكثر إثارة وكسبًا للجمهور وللرأى العام من الذى تلقته حين حصولها على لقب ملكة جمال أمريكا أو حتى عن دورها القادم كنجمة فى سلسلة أفلام الخيال العلمى التى ستعرض تحت اسم: «الغزاة المتحولون القادمون من المشترى السابع».

تتبعت والدة روى مسار المستقبل الفنى للممثلة، الذى بدأ يسمو ويرتفع فى أعمدة الصحف التى تكتب عن الأعمال الفنية والأفلام السينمائية، حيث نُشِرَ خبر يُعلن أنها وقَّعت مؤخرًا على عقد للمشاركة فى أفلام (آدم ساندلر) السينمائية.

وعلى النقيض تمامًا، كان اهتمام الإعلام بنشر قصة البوم والترويج لها كابوسًا مزمنًا بالنسبة للشركة المساهمة لبيت الأم باولا للفطائر الأمريكية. فقد وجدت نفسها محطَّ الأنظار والموضوع المخزى والفاضح على الصفحات الأولى من صحيفة الـ (وول ستريت). وفى الحال، بدأت أسعار أسهم الشركة فى الهبوط مثل الحجر.

بعد أن استُهزئ بالسيد (تشاك ماكل) بما فيه الكفاية يوم حفل الافتتاح على أرض الموقع نزلت رتبته فى الشركة إلى منصب مساعد صغير لنائب الرئيس، ومع أنه لم يزجَّ به فى السجن لقيامه بمحاولة خنق الصحفية فقد أُجبر على الالتحاق بفصل تأهيلى يسمى «كيف تتحكم فى غضبك». ولكنه باء بالفشل ولم يفِ بالغرض.

وبعدها بفترة قصيرة استقال من شركة الفطائر واتخذ عملاً كمدير لمكتب سياحى فى ميامى.

وفى النهاية لم يبق أمام شركة الأم باولا أى اختيار آخر سوى التخلى عن مشروعها فى بناء مطعم على زاوية شارعى شرق أوريول وودبيرى. فمن ناحية كان

Twitter: @alqareah

نشر الانتقادات والشكاوى يتوالى فى عناوين الصفحات الأولى للصحيفة، تتحدث عن اختفاء إقرار الحفاظ على البيئة. كما أثَّرت الاستقاله المحرجة والمورطة لكمبرلى لو ديكسون، ناهيك عن طول اللقطة التلفزيونية التى ركَّزت على تشاك ماكل وهو يحاول خنق كيلى كولفاكس، وأخيرًا وليس آخرًا، الوجود الفعلى للبوم ولجحورهم.

فقد كان الجميع قلقين على مصير البوم.

أرسلت كل من شركة ن. ب. س وشركة س . ب. إس. فريقًا لتصوير أفلام عن مدرسة (تراس ميدل) وإجراء حوارات مع التلاميذ الذين قاموا بالاحتجاج والتظاهر، وكذلك مع بعض أعضاء هيئة التدريس. حاول روى أن يقلل من قيمة الدور الذى قام به. ولكنه سمع بعدها من جاريت أن الأنسة هينيبين، وفى أثناء الحوار معها، أثنت على الأولاد الذين شاركوا خلال فترة الغداء، بالاحتجاج وأعلنت أنها شخصيًّا، شجعتهم على المشاركة. وكان روى يجد تسلية حقيقية حين يكتشف لجوء بعض البالغين للكذب ليبدو أكثر أهمية.

لم يكن يشاهد التليفزيون فى تلك الليلة حين اندفعت أمه لتخبره أن المذيع (توم بروكو) يتحدث عنه وعن بياتريس على الشبكة الإخبارية. قادت السيدة إيبرهاردت روى إلى غرفة المعيشة فى الوقت الذى كان رئيس شركة الأم باولا يتعهد بأنه سيعمل على الحفاظ على الملكية فى كوكنت كوف كملاذ ومحمية دائمة لهذا النوع النادر من البوم الحفار. وبأنه يتبرع بمبلغ (50000) دولار للمنظمة المتخصصة للحفاظ على الموارد الطبيعية.

قال: نحن نريد أن نؤكد لكل زبائننا، أن الأم باولا ستلتزم بشدة بالحفاظ على الموارد الطبيعية وتتعهد بحماية البيئة. كما أننا نعبر عن أسفنا العميق للإهمال واللامبالاة اللذين كانا من الموظفين ومتعهدى البناء السابقين؛ واللذين كانا سيعرضان هذه الأنواع الفريدة من الطيور للخطر الشديد.

Twitter: @alqareah

دمدم روى متذمرًا: «ياله من رجل ملوث بالسخام وفاشل».

- «روى أندرو إيبرهاردت!!».

- «أنا آسف ياأمى. ولكن هذا الرجل لا يقول الحقيقة. فقد كان يعلم بوجود البوم. كلهم يعلمون بوجودها».

خفض السيد إيبرهاردت صوت التليفزيون وقال: «إن روى محقٌ يا ليز، فهؤلاء الناس إنما يحاولون تغطية أهدافهم الدنيئة».

قالت والدة روى: «حسنًا. أهم ما فى الموضوع أنك نجحت فى مهمتك. فهذه الطيور تعيش الآن فى أمان بعد أن انزاح خطر جماعة فطائر (البانكيك). يجب أن تشعر بالفخر للدور الذى أقدمت عليه».

قال روى: «أنا فعلاً فخور بما فعلت، ولكن لم أكن أنا من أنقذ البوم».

اقترب السيد إيبرهاردت من ابنه ووضع يده على كتفه وقال: «ولكن أنت من جاهر بالقضية. من دونك ما كان لأى إنسان أن يعرف ما يحدث، وما كان لأحد أن يذهب إلى الموقع ويحتج ويقف ضد أعمال الحفر والبناء».

قال روى: «هذا صحيح. ولكن كل هذا كان بفضل أختى بياتريس غير الشقيق، فهو الوحيد الذى يستحق الظهور فى برنامج (بيتر بروكو) أو غيره. فكل شىء كان نتيجة لأفكاره».

قالت السيدة إيبرهاردت: «أنا أعلم ذلك ياعزيزى. ولكنه ذهب واختفى» أومأ روى برأسه وقال: «طبعًا إذا ما نظرنا للأمر من هذا المنطلق».

ففى الواقع لم يتحمل أصابع المولية البقاء مع لونا تحت سقف واحد إلاَّ ما يقل عن ثمانٍ وأربعين ساعة. وقد أمضت معظم هذا الوقت على الهاتف تحاول الدعاية وجذب المزيد من المقابلات التلفزيونية. كانت تحاول أن تستغل ابنها لتبقى عائلة ليب أكبر وقت ممكن فى دائرة الضوء، وهذا أبعد ما كان يرغب فيه.

Twitter: @alqareah

تسلل الولد خارجًا من البيت بمساعدة بياتريس، بينما كانت لونا وليون يتنازعان حول ثوب جديد اشترته لونا بمبلغ سبعمائة دولار متوقعة الظهور فى عرض (أوبرا وينفرى). لم يحاول أحد من مديرى برامج أوبرا الرد على مكالمة لونا أبدًا. ولذا طلب منها ليون أن تعيد الرداء وتستعيد نقودها.

وحين وصلت المشادة والصراخ بين الزوجين (ليب) إلى المستوى التقريبى المعهود (ديسبل ب - 52)(*). ساعدت بياتريس أخاها فى النزول خارج نافذة الحمام ليهرب من خلالها. ولكن لسوء الحظ ظنَّ أحد الجيران الصاخبين، حينما لاحظ الولد متدليًا خارج النافذة، أنه شروع فى سرقة. ولذا قام بإبلاغ الشرطة. لم يبتعد أصابع المولية أكثر من مجموعتين من البيوت قبل أن تحيط به سيارات الدورية المسرعة.

شعرت لونا بالغضب الشديد حين علمت بعودة ابنها لخدعه القديمة فى الهروب، فقالت لرجال الشرطة، نكاية به، أنه سرق من صندوق مجوهراتها خاتمًا قيمًا تلبسه عادةً فى إصبع قدمها. وطلبت منهم القبض عليه وإيداعه فى مركز للأحداث ليتلقى درسه.

وهناك ظل الولد لمدة سبع عشرة ساعة قبل أن يفر هاربًا من جديد، ولكن هذه المرة مع شريك غير مرتقب وغير مرغوب فيه.

لم يكن لدى دانا ماثرسون، وهو يختبئ فى سلة الغسيل مع أفضل أصدقائه الجدد أى فكرة عن أنه قد اختير بشكل خاص ليشارك فى عملية الفرار من مركز الأحداث. وأن الولد الهزيل الأعجف والأشقر يعلم تمامًا من هو، كما يعلم بكل الأعمال التعسفية المؤذية التى مارسها ضد روى إيبرهاردت.

نظرًا لضعف مداركه العقلية، فقد حسب دانا أنَّ من حظِّه أن يتمكن من الفرار بعد أن أخذت سلة الغسيل وحُملت على شاحنة نقل الغسيل المتسخ. وبعدها سارت الشاحنة فى طريقها خارج المعتقل. ولم يقلق دانا. حتى بعد سماع صفارة

(*) وحدة لقياس التفاوت فى منسوب قدرتين: Decibel .

Twitter: @alqareah

الخطر التى اقتربت من الشاحنة وشُدَّت مكابحها لتتوقف وتُفتح أبوابها الخلفية ليقفز منها فى الحال الهاربان الشابان من بين أكوام الثياب المتسخة التى تنبعث منها الروائح المقززة، ويطلقان ساقيهما للريح.

حين سمع روى القصة من بياتريس، عرف فى الحال لمَ اختار أخاها غير الشقيق دانا ماثرسون كشريك فى الهروب. كان أصابع المولیت نحيلاً، سهل الانزلاق والحركة، بينما كان دانا ضخم الجسم، ثقيل الحركة، متورم القدمين بعد إصابتهما بمصائد الجرذان. الطعم المثالى. هكذا كان دانا.

تمكن رجال الشرطة من الإمساك بسهولة بقاطع الطريق الضخم. بالرغم من أنه أسقط اثنين منهم قبل أن يتمكنوا، فى آخر الأمر، من تكبيله بالأغلال. فى تلك الأثناء كان أخو بياتريس غير الشقيق قد ابتعد كثيرًا، كبقعة غير مرئية على البعد، أو كفتلة من خيط رفيع برونزى تلاشى داخل خطٍّ من الأشجار المتشابكة. ولم يتمكن رجال الأمن من العثور عليه أبدًا، أو أنهم لم يبذلوا جهدًا للبحث عنه بشكل خاص. فقد كان دانا بالنسبة لهم هو الجائزة التى أمسكوا بها بكل قوة، فهو الولد ذو السلوك السيئ، واللائحة من التهم السابقة.

كذلك لم يستطع روى العثور على صائد المولیت. كان يقود دراجته بشكل دائم إلى ساحة الخردة ويتفحص شاحنة الجوجو للمثلجات. ولكن لم يكن هناك أى أثر للولد. وبعد ذلك اختفت الشاحنة نفسها ذات يومٍ بعد أن جُرَّت وضُغطت وأصبحت عبارة عن مكعب صدئ من خردة معدنية.

كانت بياتريس ليب هى الوحيدة التى تعلم أين يختبئ أخوها غير الشقيق، ولكنها كانت قد أقسمت اليمين بكتمان سره.

قالت لروى: «أنا آسفة ياتكس. فقد عاهدته بدمى بأننى لن أفشى سره».

وهكذا، اختفى الولد. وعرف روى أنه لن يرى أبدًا نابليون بريدجر إلاَّ إذا رغب هو نفسه فى ذلك.

Twitter: @alqareah

قال روى ليطمئن أمه: «سيكون الولد بخير، سينجو، وسيعيش فهو جدير بالحياة».

أجابته أمه: «أرجو أن تكون على حق. ولكنه لايزال صغيرًا جدًّا».

قال والد روى وهو يخشخش بمفاتيح سيارته: «لدىَّ فكرة. دعونا نقُم بجولة فى السيارة».

حين وصلت عائلة إيبرهاردت إلى زاوية شارعى وودبيرى وشرق أوريول، كانت تقف هناك عند باب السياج مركبتان أخريان. الأولى كانت سيارة دورية. والأخرى كانت شاحنة نصف نقل زرقاء اللون.

تعرّف روى على المركبتين. كان الشرطى دلينكو قد توقف وهو فى طريق عودته إلى المنزل من قسم الشرطة. كان قد تلقى أمرًا جديدًا من رئيس الشرطة هذه المرة للمساعدة فى إلقاء القبض من جديد على دانا ماثرسون.

أما لروى برانيت - كيرلى - الذى كان يعمل الآن بشكل مؤقت بين وظيفتين، فقد كان يصطحب زوجته وأمها إلى سوق المركز التجارى. وقرر أن يمر على الموقع ليقوم بجولة قصيرة حوله. كانوا جميعًا مثل عائلة إيبرهاردت قد حضروا لرؤية البوم.

ومع حلول الظلام انتظروا جميعًا فى سكون ودود لا يشوبه أى تكدير، مع أنه كان لديهم الكثير ليتحدثوا عنه.

لم يحمل الموقع، باستثناء السياج بأعلامه الباهتة، أى أثر يشير إلى أن شركة بيت فطائر (البانكيك) قد حلّت يومًا فى هذا المكان. كانت مقطورة كيرلى قد سُحبت. وأُزيح معها جميع آلات الحفر ونقل التراب (البلدوزرات). كما استعادت الشركة التى تؤجر المراحيض المتنقلة دورات مياهها. حتى أوتاد المعاينة اقتُلِعت وحُملت مع القمامة التى نتجت عنها بعيدًا عن الأرض.

تدريجيًّا، حلت نسمات الليل وسُمع صوت أزيز صرصار الليل. ابتسم روى لنفسه وهو يتذكر الصندوق الصغير الممتلئ بالصراصير الذى أفرغه هناك على الأرض.

من الواضح أن لدى البوم الكثير من الحشرات الأخرى لتتغذى عليها.

Twitter: @alqareah

وقبل أن يمضى زمن طويل، برز زوجان من البوم من أحد الجحور وتبعهما فرخ يرتعش متمايلاً يترنح على ساقيه. كان يبدو هشًّا ورقيقًا مثل زينة أعياد الميلاد الزجاجية.

أخذت طيور البوم تتلفت وتدور، بانسجام وتوافق، برءوس بحجم حبة البصل وهى تحدق ببنى البشر الذين كانوا بدورهم يبادلونها التحديق. وكان بإمكان روى أن يتصور ما الذى يجول فى تفكيرها.

قال كيرلى بصوت مزعج وضح فيه الحب والحنان: علىَّ أن أعترف بأنها جذابة طريفة.

وفى أحد أيام السبت وبعد أن انتهت فضيحة الأم باولا، مضى روى ليشاهد بياتريس وفريقها وهن يلعبن مباراة لكرة القدم. كان بعد ظهر يوم شديد الحرارة ومشبع بالرطوبة، ولكن روى استطاع ترويض نفسه على الواقع، فالطقس فى جنوب فلوريدا لا يتبدَّل كثيرًا مع تغيير الفصول، إلاَّ بعض الاختلاف الطفيف فى فصل الصيف.

بالرغم أنه كان مفتقدًا الطقس الخريفى المنعش والبارد فى مونتانا. لاحظ روى أن أحلام اليقظة لم تعد تعاوده بكثرة للعودة والعيش فى ذلك المكان. أضاءت الشمس المساحة الخضراء لملعب كرة القدم، كما لو أن وهجها أنوار مصابيح (نيون) مسلطة على سجادة خضراء، وشعر روى بالسعادة وهو يخلع قميصه (التيشيرت) ويقود دراجته.

كانت بياتريس قد أدخلت ثلاث كرات فى المرمى قبل أن تلحظه وهو يتسلق بجهد المدرج المكشوف، وحينما لوَّحت له رفع لها روى إصبعيه مشجعًا وهو يضحك ضحكة خافتة بينه وبين نفسه. بالنسبة له بدا هذا أمرًا مسليًا جدًّا - فها هى ذى بياتريس الدبة تلوِّح لـ«تكس»، الوافد الجديد إلى المدرسة.

أعادت الشمسُ العالية المحرقة والهواء الحار المشبع بالرطوبة لروى ذكرى بعد ظهر يوم آخر لم يمضِ عليه زمن طويل وفى مكان لا يبعد كثيرًا. قبل أن تنتهى

Twitter: @alqareah

مباراة كرة القدم، اختطف روى قميصه وتسلل مبتعداً. وقاد دراجته لمسافة قصيرة من ملعب كرة القدم نحو الجدول الصغير. ربط سلسلة دراجته إلى عقدة على جذع شجرة قديمة. وشقَّ طريقه خلال الأشجار المتشابكة.

كان المد عاليًا جدًّا، ولم يبق ظاهرًا فوق سطح الماء من غرفة قيادة الباخرة الغارقة (مولى الجميلة) سوى الإسفين الذى نخرته عوامل التعرية وأحوال الجو السيئة. علَّق روى حذاءه الرياضى على غصن شجرة متشعب ، وسبح نحو ركام السفينة الغارقة. كان التيار الدافئ يدفعه برفق باتجاهها.

تشبث بكلتا يديه بحافة سقف غرفة القيادة، ورفع نفسه إلى أعلى إلى قاعدة الخشب العارى. وجد بجهدٍ مكانًا جافًّا لنفسه.

خمد روى وهو يرقد منبطحًا على بطنه. طرف بعينيه ليزيح الملح عنهما وأخذ ينتظر. كان الهدوء يحيط به مثل ملاءة ناعمة.

لمح فى أول الأمر الظلال. كانت على شكل T سرب من أسماك (البسارة) تعبر سابحة فى الخضرة الشاحبة لمياه الجدول من تحته. وبعدها ظهر طائر مالك الحزين (البلشون) الأبيض وانقضَّ وهو يطير منخفضًا باحثًا، بدون جدوى، عن حافة ضحلة ليخوض فى الماء. وفى آخر الأمر حطَّ الطائر فى منتصف المسافة فوق شجرة استوائية سوداء وهو يصرخ بصوت عالٍ وحادٍّ شاكيًا ومتهيجًا من علو مياه المد.

رحَّب روى بهذه الصحبة الأنيقة، ولكنه ترك عينيه مركزتين على الجدول. نبهته حركة المياه وتناثر الرشاش الذى سببته أسماك (التاريون) الباحثة عن طعامها فى أعلى الجدول، وجعلته متيقظًا، وأخذ سطح الماء فجأة فى الاهتزاز، وفى خلال ثوانٍ معدودة اندفع سرب من أسماك (المولية) على شكل قضبان فضية ملساء فوجًا بعد فوج.

من أعلى غرفة القيادة مدَّد روى نفسه فوق سطح الماء بقدر ما واتته شجاعته مدليًا ذراعيه الاثنتين، كفَّت أسماك المولية عن القفز، ولكنها تجمعت فى سرب

Twitter: @alqareah

على شكل «V» وهو ما دفع بعصبية تموجات مترقرقة إلى وسط الجدول وباتجاه المركب الغارق (مولى الجميلة). وسرعانَ ما اغمقَ لون المياه من تحته واستطاع روى أن يميز شكل الرأس المتصلب وغير الحاد والجاف لكل سمكة. كانت كل واحدة منها تسبح مهتاجة تحاول الهرب من أجل إنقاذ حياتها. ما إن اقترب سرب أسماك المولیت من المركب الغارق الذى كان يستعمل لصيد السلطعون، حتى قسمَ نفسه بدقة وبراعة إلى قسمين كما لو أن سيفًا قاطعًا قسمهما إلى شريحتين متساويتين. راقب روى بسرعة إحدى السمكات واقتفى أثرها ثم تأرجح بحرص وهو يُغطس كلتا يديه داخل التيار.

خلال برهة من الارتعاش شعر روى بالفعل وكأنما السمكة فى قبضته، أحس بها باردة، منزلقة، وساحرة مثل الزئبق. ضغط بأصابعه نحو قبضتيه ولكن سمكة المولیت استطاعت أن تتملص من بينهما بمنتهى السهولة وبأن تحرر نفسها وهى تثب مرة أخرى قبل أن تعود للانضمام إلى بقية أعضاء المدرسة الهاربة.

جلس روى وأخذ يتفرس محدقًا فى كفيه المبللتين الفارغتين. فكر. هذا مستحيل، فلا يمكن لأى إنسان أن يلتقط هذه الأشياء الملعونة بكفيه فقط، ولا حتى أخو بياتريس غير الشقيق.

لابدَّ أن هناك حيلةً ما.. نوعًا من الخداع البارع.

سمع صوت جلبة كما لو أنها ضحكة مكتومة، انبعثت من وراء الأشجار الاستوائية الكثيفة. افترض روى أن هذا صوت مالك الحزين، ولكن حين رفع رأسه ونظر اكتشف أن الطائر لم يعد موجودًا. نهض ببطء وهو يحمى جبهته من أشعة الشمس الساطعة.

وصرخ بصوتٍ عالٍ: «أهوَ أنت؟ نابليون بريدجير. أذلكَ أنت؟».

ولم يتلق ردًّا.

انتظر روى طويلاً إلى أن هبطت الشمس وتثنى الجدول تحت ستارة من

Twitter: @alqareah

الظلال، ولم يعد يُسمع أصوات ضحكٍ من وراء الأشجار. على مضض، انزلق من فوق مركب (مولى الجميلة) وترك التيار يحمله نحو الشاطئ.

ارتدى ثيابه وكأنه إنسانٌ آلى، ولكن حين وصل إلى المكان الذى علّق عليه حذاءه الرياضى لم يجد سوى «فردة» واحدة معلقة على الفرع الرئيسى للشجرة.

لبس روى «فردة» حذائه الشمال وأخذ يثبُ قافزًا باحثًا عن «الفردة» الأخرى. ووجدها أخيرًا. نصف مخفية فى المياه الضحلة تحت الأغصان حيث خمّن أنها لابد قد وقعت.

ومع ذلك حين انحنى ليلتقطها لم يتمكن من التقاطها بسهولة. كان رباط الحذاء مضفرًا بإحكام حول قاعدة ملبسة ببقايا قشرة لإوزة قطبية.

ارتجفت أصابع روى وهو يفك الضفيرة التى عُقدت بدقة وإحكام، وبطريقة فنية تجعل من السهل فكها. رفع الحذاء المشبع بالماء ونظر إلى داخله. لمح سمكة موليت صغيرة لايزيد طولها عن أصبع السبابة، تتحرك وتهتز وتنثر الماء محتجة على أسرها. أفرغ روى السمكة الصغيرة على كفه، وخاض فى المياه الراكدة إلى أن وصل إلى مياه الجدول.

وبلطف وضع سمكة المولیت الصغيرة فى الماء حيث ومضت مرة ثم تلاشت كالشرارة.

وقف روى ساكنًا يصغى بتركيز، ولكن كل ما سمعه كان طنين البعوض، وهمسات المد والجزر الخافتة. وكان الولد قد غادر المكان واختفى.

ضحك روى فى سره وهو يربط حذاءه. إذن فالتقاط سمكة المولیت بأصابع اليدين لا يتطلب حيلةً. فهو بعد كل شىء أمر غير مستحيل.

وجالَ فى خاطر روى أنَّ عليه أن يعود فى يوم آخر، ويحاول مرة ثانية. وأحرى بأن يفعل ذلك ولد يشعر فعلاً بالانتماء إلى فلوريدا.

Twitter: @alqareah

عملٌ رائعٌ

بوسطن جلوب

قصةٌ مرحةٌ ذاتُ بُعدٍ أخلاقيٍّ

ميامى هيرالد

قصةٌ غيرُ عاديةٍ مليئةٌ بروحِ الدعابةِ

(نيويورك) ديلى نيوز

@ketab_n
Follow Me

قصةٌ مُحكمةٌ بشكلٍ استثنائيٍّ

شيكاغو تريبيون

ضحك منَ القلبِ

سانت لويس بوست ديسباتش

قصةٌ قويةٌ ومرحةٌ

هورن بوك مجازين

6 221133 334723